

الزَّخَاوَة  
**Zaghawa**

فَاضٍ وَفَاظِر

تأليف الأخوين  
الدكتور محمود أبكر سليمان  
محمد علي أبكر سليمان الطيناوي

بسم الله الرحمن الرحيم

- ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات  
للعالمين " صدق الله العظيم. الروم الآية 22

## الإهداء

نهدي هذا الكتاب ..

إلى المهتمين والدارسين

في موضوع هذا البحث.

المؤلفان

- 
- الطبعة الأولى - الكويت أبريل 1988
  - جميع حقوق الطبع والملكية محفوظة للمؤلفين
  - تصميم الغلاف والخرايط والمنطاطات من عمل الفنان الطيناوي

الزخاوة ماضٍ .. وهاضر

بسم الله الرحمن الرحيم

## شكر وتقدير

التقدير والعرفان لكل الذين ساهموا بوقتهم وجهدهم وقدموا لنا الكثير من المعلومات التاريخية والوثائق والمستندان التي كانت من أهم مصادر موضوع هذا الكتاب والشكر موصول لآلآية أسماؤهم وهم من ضمن قائمة<sup>1</sup> طويلة لايسع المجال لذكرهم :

| العدد | الاسم                              | العدد | الاسم                          |
|-------|------------------------------------|-------|--------------------------------|
| 1     | لحاج /أدم عبد الرحمن علي دهب       | 15    | السيدي/عبد لرحمن أحمد نور      |
| 2     | لمرحوم/السلطان دوسة عبد الرحمن     | 16    | السيدي/ بشرى جمعة عبد الله     |
| 3     | لحاج/ نور عبد الرحمن بشارة         | 17    | السيدي /آدم ريمه               |
| 4     | لمرحوم /عبد القادر احمد عبد الرحمن | 18    | السيدي/آدم محمد حامد عمر       |
| 5     | لملك/ رحمة الله محمود علي          | 19    | السيدي/ تاج لدين مصطفى فاشر    |
| 6     | لحاج/ حسين ييمان عبد الرحمن        | 20    | السيدي/ أحمد محمد نور          |
| 7     | لمرحوم/أبكر سليمان عبد الشافع      | 21    | السيدي/ إبراهيم فضل حادي       |
| 8     | السيدي/ يوسف شرف لدين عبد الشافع   | 22    | الأستاذ/ إسحق مصطفى إسحق       |
| 9     | لمرحوم/محمود لطيب صالح             | 23    | السيدي/ إبراهيم كتر عبد الكريم |
| 10    | السيدي/ بشارة فاشر عبد الرحمن      | 24    | السيدي/ سليمان عبد الله أوبي   |
| 11    | السيدي/حسين دوسة عبد الرحمن        | 25    | السيدي /محمود جمعة عوجة        |
| 12    | السيدي/ حسين شرف لدين عبد الشافع   | 26    | السيدي/ آدم إبراهيم علي        |
| 13    | الأمير/ بحر لدين علي دينار         | 27    | السيدي/ عز لدين إسحق شوقار     |
| 14    | السيدي/ حجر حسن محمد               | 28    | السيدي/ آدم عباس أحمد          |

<sup>1</sup> وضعت هذه القائمة حسب الترتيب التنازلي لأعمار المذكورين أعلاه.

## المقدمة

يتركز موضوع البحث في هذا الكتاب على تاريخ قبيلة الزغاوة السياسي بشكل عام ومن خلاله نحاول أن نتعرض بشيء من التفصيل على الحياة الإجتماعية والتحقيق في الأصول السلالية لها ، وذلك لفناعتنا بأن دراسة التاريخ من الضرورة بمكان لفهم الحاضر وتكهن المستقبل بإستلهام العبر من الماضي . وحينما أقدمنا على وضع هذا الكتاب كانت تستهويننا آمال في أن الدراسة التحليلية لتاريخ الزغاوة كفيل لأن تثير الطريق لإماطة اللثام عن المعالم البارزة في هذه المعالم السكانية في تلك المنطقة الجغرافية . وتحذونا أهداف ودوافع شتى منها:

1-دافع قومي : الإسراع في تلوين وإبراز التراث الشعبي للزغاوة والذي يساهم في فهم مكونات حياة هذه القبيلة خشية أن يندثر أو يطاله التحريف أو التبديل نتيجة الهجرات خارج المنطقة التي صاحبته التحولات البيئية من جفاف ومجاعات .

2-دافع علمي: إن معظم الكتب التي عنيت بتاريخ السودان عامة أو قبائله بصفة خاصة أمسكت عن الإشارة الى قبيلة الزغاوة ، كما أن الكتب التي ألمحت إليها لم تأت بما يفيد . وفي رأينا أن مثل هذه المعلومات تعتبر حصيلة علمية وإضافة متواضعة وهامة للمكتبة السودانية . ومرجع للمتهمين والدارسين وحافز للمزيد من البحث في المستقبل.

3- دافع شخصي: وهو حلم الطفولة الذي ظل في مخيلتنا ينتظر بشغف اليوم الذي يرى هذا الكتاب النور محتويًا على ماضي الأسلاف وتراث الأجداد الذي كان الوالد- عليه رحمة الله- حريصاً على نقله إلينا عن طريق سرده الشيق للأحداث التي مرت عبر العصور على منطقة الزغاوة في الحرب والسلام. وكان هذا الدافع سبباً رئيسياً لبداية جمعنا لعناصر هذا البحث منذ أكثر من عقدين من الزمان.

إسلوب البحث:

إستمدينا عناصر البحث من مصادر مختلفة وانكفينا منها المعلومة التي وجدناها أكثر قرباً للحقيقة التامة من الوجهة التاريخية، وفي حالة تعذر الحصول على المصدر قمنا بترجيح أكثر الروايات التصاقاً لواقع الأحداث إبانئذ. وتعهدنا على الأناخذ مدرسة بحثية بعينها بل مضينا قدما بإصطفاء وانتقاء الأفضل من أنظمة البحث وصولاً الى الهدف المنشود كما أشرنا إليه عند تناولنا لأغراض هذا العمل.

وسائل مصادر هذا البحث:

إعتمد الباحثان في الحصول على المعلومة التاريخية اعتماداً أساسياً على:

1- الرواة والإخباريين: وهم من لهم معرفة تامة بتاريخ وأصل الزغاوة لأنهم من قبيلة الزغاوة ذاتها ويعتبرون من النقاة ومن هؤلاء:

(أ) زعماء العشائر والإدارة الأهلية من ملوك وشراتي وسلاطين وعمد.

(ب) المعمرين من كبار السن الذين عاصروا بعض الأحداث واحتكوا بالسلف أو الخلف ممن صنعوا تلك الأحداث.

(ج) شخصيات في حوزتها وثائق تاريخية ذات صلة بموضوع البحث.

(د) أفراد من زغاوة تشاد الذين لهم المعرفة بتاريخ الكوبي وستأتي الإشارة إليهم.

وقد إمتدت فترة جمع هذه الحقائق مايقارب الخمسة عشرة عاما ،أخضعت فيها الروايات للعديد من المقارنات والتمحيص واخذ ما يرجح أن يكون الأقرب إلى الحقيقة . وفي سبيل الحصول على المعلومة الصحيحة بدقة كانت تتم مقابلات عدة مع هؤلاء النقاة والايخباريين واحيانا يجمع بينهم للمناقشة لتأكيد الحدث او استبعاده وحفظ هذه المعلومات عن طريق التسجيل على الأشرطة والتدوين والتصوير .

2- النذر اليسير المتوفر في بعض المذكرات وكتب التاريخ عن الزغاوة بوزارة الثقافة والإعلام في دارفور ومتحف السلطان علي دينار بالفاشر .

3- كانت لمعرفتنا التامة بفروع قبيلة الزغاوة بحكم انتمائنا إليها واجادتنا لهجتها ومعايشتنا لحياة أفرادها اليومية ومشاركتنا لهم في مختلف أوجه النشاط البشري في منطقة الزغاوة عاملاً مسانداً ومكملاً لبقية طرق البحث .

4- استوحينا من الموروثات الشعبية كالأساطير والأحاجي والأمثال والأدب العبر والمرامي التي توصلنا إلى معرفة الهوية الشخصية المميزة لأفراد قبيلة الزغاوة وطريقتهم في الحياة والفلسفة التي تحكم مجتمعهم في زمن لم يكن التاريخ فيه مدونا.

5- دققنا في دراسة وتمحيص الانحدار السلالي لقبيلة الزغاوة وذلك بتتبع شجرة النسب لكل فصيلة او خشم بيت ، بدءا بالاصول والفروع التي ينتمي اليها وبيان المجموعات القرابية.

### أغراض البحث وموضوعه:

يحتوي هذا الكتاب بين دفتيه خمسة أبواب رئيسية ، ويشتمل كل باب بدوره على عدة فصول . فالباب الأول عبارة عن لمحات من تاريخ السودان لربط الزغاوة به من الناحية القومية ، كما يشمل أيضا على مدخل لتاريخ قبيلة الزغاوة ويتطرق للكثير من قبائل دارفور - إن لم تكن كلها - وذلك لما لها من تأثير وتفاعل مباشر في شتى مناحي الحياة مع قبيلة الزغاوة ، الأمر الذي حدى بنا إلى تناول باقي قبائل دارفور بشيء من التفصيل . عدد فصول هذا البحث ثمانية.

ويتعرض الباب الثاني الى أصل قبيلة الزغاوة تاريخيا وجغرافية المنطقة التي التي تسكن فيها . كما خصصنا جانبا هاماً لفروع الزغاوة التسعة الرئيسية- كل على حدة - كإدارات منفصلة لكنها جميعاً تنضوي تحت مظلة قبيلة الزغاوة التي تجمع بينهم . وأيضاً سلطنا الضوء على المعالم البارزة لتلك المناطق ميينين الإنحدار السلالي لكل من تلك الفروع والمجموعات القرابية لها ونظم حكمها والظروف البيئية التي طرأت على دار الزغاوة وما تبعها من متغيرات ويتكون هذا الباب من ثلاثة فصول.

ويعالج الباب الثالث كل ما يتعلق بزغاوة الكوبي وتفرعاتها القبلية المتعددة بدءاً بجغرافية المنطقة والنشاط البشري فيها وعدد فصوله ثلاثة . وخصصنا معظم الباب الرابع - الذي يحتوي على تسعة فصول - للتراث الشعبي لقبيلة الزغاوة من خلال تعرضنا لتراث فرع زغاوة الكوبي . وذلك لما للتراث الشعبي من أهمية كبرى بإعتباره المرآة الصادقة لتاريخ

الشعوب ، والأداة الفاعلة لحفظ هويتها وحضاراتها من الإندثار رغم تبدل العصور وتقدم الدهور .

ولما كان للتراث الشعبي "الفلكلور" يشمل كل مناحي النشاط الإنساني وهو الحياة بمعناها العريض ، فإن الكتابة فيه يحتاج إلى مجلد خاص به وإلى دائرة معلومات "إنسيكلويدية" ، لذلك اقتصرنا في تعرضنا إلى الجوانب المهمة فيه كالنظام الإجتماعي واللغة والحداحيد كفصيلة من فصائل الكوبي ولهجتها الخاصة، ونعرج إلى الحرب والسلم كأدارتين مهمتين لتوطيد نظام الحكم .ومن ثم نستعرض العادات والتقاليد الكثيرة التي تحكم حياة القبيلة .ونختتم هذا الباب بموضوع تراثي آخر هو الهمبته عند الزغاوة وادب الهمباتة واغنياتهم ودوييتهم .كما كانت الخاتمة أيضا بالظاهرة التي صارت موضوع الساعة في السودان وهي النهب المسلح وما تشكله من تهديد واطار على أمن المواطنين وتقلق راحتهم في بعض مناطق السودان .

ويتناول الباب الخامس والأخير التاريخ السياسي لزغاوة الكوبي الحافل بالأحداث المثيرة والحروب وعدم الإستقرار وذلك بتعاقب سلاطين الانفو - وهو الفرع الحاكم لزغاوة الكوبي - إلى ان يذهب عبد الرحمن فرتي إلى ابشي حاضرة سلطنة وداي لطلب الحكم ، ثم الصراعات السياسية في تاريخ الكوبي الحديث . ونستعرض لسلطنة هامة من سلطنات زغاوة الكوبي الثلاث وهي سلطنة الكباء . وفي نهاية هذا الباب نتناول دور الزغاوة في الثورة التشادية منذ إندلاعها بقيادة جبهة التحرير الوطني للشادي "فروليننا" ونختتم الكتاب بملحقين لأحداث تاريخية هامة.

وفي الختام نسال الله أن يكون هذا العمل نافعا وان نكون قد وفقنا في إبراز الحقائق التاريخية عن الزغاوة بتجرد تام ودون ميل او محاباة ودون تجريح أو إثارة حفيظة أحد في هذه الدراسة المتواضعة التي هدفت إلى تعريف القارئ على جزء من بلاده ووطنه العربي الكبير كما نرجو ان تكون حافزا للمزيد من البحث والإستقصاء للمهتمين في المستقبل . وبقينا أن هناك معلومات شاردة او مهمة لم نلم بها أو لم يسعها حيز هذا الكتاب . ولكننا نؤكد إخلاصنا في كل ماكتبناه حيث تحرينا دقة

المصدر – رغم قلة المصادر المكتوبة في هذا المجال – وهدفنا التنقيب عن الحقيقة  
والموضوعية.

المؤلفان

الكويت/ديسمبر ١٩٨٧م

## الباب الأول

لمحات من تاريخ السودان وعلاقة الزغاوة بها

الفصل الأول : مدخل

الفصل الثاني : قبائل دارفور وتوزيعها الإداري والجغرافي.

الفصل الثالث : نبذة خاصة عن قبائل شمال دارفور ذات الصلة المباشرة بالزغاوة.

الفصل الرابع : الزغاوة وسلطنة الفور

الفصل الخامس : الزغاوة والمهدية

الفصل السادس : مملكة الفور وعلاقة الزغاوة بها.

الفصل السابع : دخول الإدارة الأهلية في دارفور.

الفصل الثامن : حركات الرفض في دارفور ودور الزغاوة فيها

## الفصل الأول: مدخل

إن تاريخ قبيلة الزغاوة قد ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالممالك التي كانت تجاورها، وأهمها سلطنة الفور في عهدها المختلفة سواء كانت مستقلة أو تابعة إدارياً للحكم المركزي في السودان. ولما كانت قبيلة الزغاوة من كبرى قبائل السوانن، فلا يستقيم الحديث عن تاريخها بمعزل عن تاريخ بقية القطر السوداني وذلك لأن الخيمة الوطنية الواسعة التي تستظل فيها كل القبائل بمختلف سلالاتها العرقية وتباين عاداتها وتقاليدها وتعدد لهجاتها وثنائية خلفيتها الثقافية عربية وأفريقية. وبالرغم مما أشرنا إليه إلا أن السودان ظل عبر السنين الطويلة من تاريخه وحدة متكاملة وامة متماسكة. وبفضل وجود نظام إجتماعي مؤسس ودقيق يحكم أفراد كل قبيلة بما يشبه نواة لحكومة محلية مصغرة التي من خلالها يسهل ارتباطه من الناحية الإدارية بنظام الحكم القائم في السودان. لذا نجد الاحداث والتغيرات التي تشهدها المركزية ينعكس اثرها في منطقة دار الزغاوة كما هو الحال في سائر اقاليم السودان.

وننوه بان منطقة الزغاوة - لإمتدادها الجغرافى الى غرب افريقيا - شهدت صراعات متميزة كماً وكيفاً، مردها الهجرات المستمرة مما كان يعرف بالسودان الغربي او السودان الفرنسي فيما بعد. وهذه الهجرات الوافدة في مجملها اما هروبا من ويلات الحرب أو تزوحا لكسب العيش او مروراً لأداء فريضة الحج. والأمر الآخر ان قبيلة الزغاوة كانت تجاور ممالك عريقة كمملكة وداي وكانم ويرانو وياقرمي وغيرها من ممالك افريقيا الغربية التي كانت تعمل دوما في بسط نفوذها وسيطرتها عليها. كما أن هذه المنطقة - وتشمل دارفور - قد تعرضت لأطماع الاستعمار الأوروبي في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى.

لم تسلم منطقة الزغاوة من هيمنة حكام تركيا العثمانيين وجباة الضرائب من الباشبازق، ولا من جنود خليفة المهدي من الجهادية الذين كانوا يطمحون في التوغل غربا الى دار وداي "مملكة البرهو". وهكذا نجد ان منطقة دار الزغاوة - وهي في شمال غرب دارفور - صارت مسرحاً لمعارك وصراعات عدة إقليمية ودولية جعلت أحداثها

ذات طابع مميز ، الا ان المرء لا يجد اي إشارة عن الزغاوة في تلك المنطقة مدونة في الكتب التقليدية عن تاريخ السودان، حيث يصاب الباحث بالدهشة أن التاريخ العظيم لقبيلة الزغاوة لم يكون ولم تعرفه مناهج الدراسة في السودان.

## الفصل الثاني : قبائل دارفور وتوزيعها الإداري والجغرافي

نبذة عن قبائل دارفور عامة:

تقطن في دارفور عدة قبائل منها العربية وغير العربية.

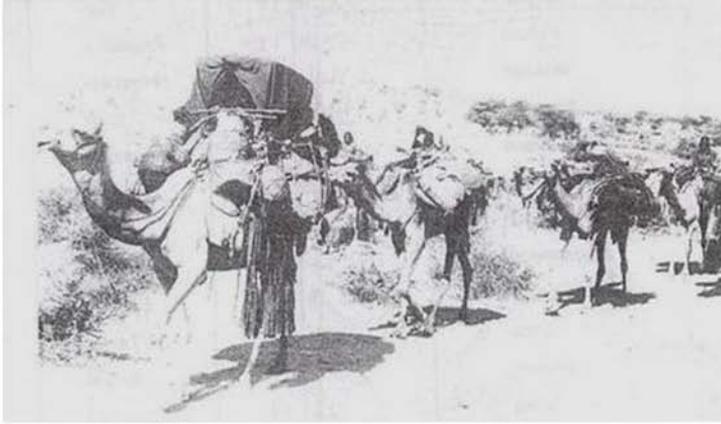
1 - القبائل العربية :

وهي بطون تتحدر من قبيلة فزارة القحطانية ويمكن تقسيمها إلى قسمين حسب حرفتها الرئيسية وهي الرعي:



والمسيرية بفرعيها في دارفور وكردفان و لكن معظمها في كردفان في منطقة رجل الفولة و بابنوسة والمجد وناظرها بابو نمر .

(ب) اما البني حسين فتسكن في شمال دارفور في منطقة السريف وسرف عمرة وهي بزعامة الشيخ آدم حامد . وبقارة الجلول في منطقة القميلاية بجنوب دارفور ويراسها الشيخ حامد إبراهيم.



(حان الرحيل)

وللبقارة ثلاثة مراحييل يشدون إليها رحالهم بأبقارهم من منطقتها طلبا للماء

والكلأ والمراحييل هي:

- 1- دار اريح من منطقة كاس إلى زالنجي ووادي أزوم وسوق ثولو وغرب زالنجي .
- 2- من كيم إلى وادي صالح ومكجر وقبر أم بلداس ووادي أزوم.
- 3- من رهيد البردي الى ترده كلينق وترده أم روق حتى أم دافوق ودار الفنقرو في بحر العرب .

(البقارة يشدون  
الرجال فى إحدى  
مراحلهم)



(ت) الأبالة : وهي قبائل تعنى بتربية الإبل وتسكن معظمها فى شمال دارفور ويطلق عليها رزيقات شمال دارفور . و الجدير بالذكر هنا ان قبيلة الرزيقات بشقيها فى جنوب وشمال دارفور يرجع انحدارها السلالي الى رزق والد ابي زيد الهاللي وهي قحطانية على الأرجح . وتتقسم قبيلة الرزيقات الى ثلاثة فروع رئيسية هي :

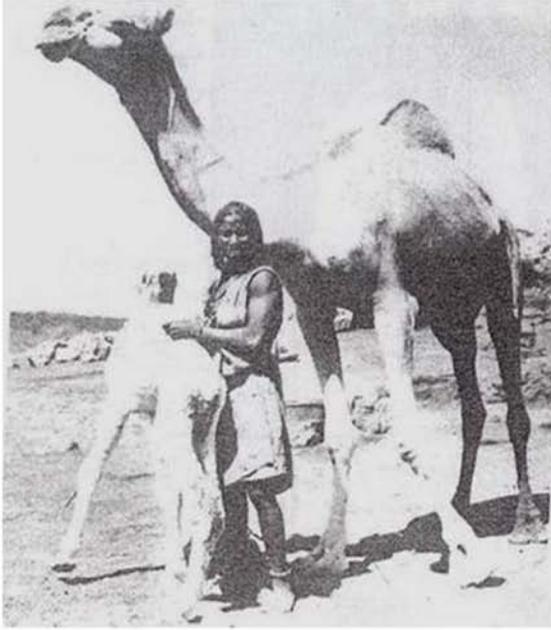
1- المحاميد (الجلول) 2- أولاد محمد 3- المهيرية

وتتكون رزيقات شمال دارفور من :

**الجلول :** وتسمى أيضا المحاميد بزعامة الشيخ هلال عبد الله ومنطقتها أمو الشيخ . وهي ذات إنتشار واسع فى المنطقة الوسطى والغربية والشمالية من كتم ، كما أنها تمثل ثلاثة أضعاف بقية رزيقات شمال دارفور . وللمحاميد خاصة ورزيقات الشمال بصفة عامة اصول وجذور فى تشاد لما كانت تعرف هذه القبائل بعرب شمال تشاد .  
**المهيرية :** و زعيمها الشيخ الدود حسب الله ومنطقتها الغرير شمال كتم بالقرب من الدور .

**العريقات :** ويتزعمها العمدة عبدالله جيريل فى منطقة مصري ودواء جنوب كتم .  
**الزبلات :** وهم عرب سيارا يقطنون ضواحي كبايية بزعامة الشيخ أبكر عبد الباقي .

الزيادية: ولها عموديتان إحداهما في الخريط (الكومة) بزعامة الشيخ جزو والأخرى في مليط بزعامة العمدة صالح عبيد.



(فتاة راعية من رزيقات الشمال)

كان لرزيقات الشمال وضع مالي أفضل من أقرانهم في الجنوب الذين امتنوا تربية الابقار فسكنوا منطقتهم الحالية بعد معارك دامية مع العناصر التي كانت تسكنها فأجلوها واتخذوها موطناً لهم . وتجدر الإشارة إلى ان رزيقات جنوب دارفور قد اختلطت أصولهم مع القبائل الأفرريقية وخاصة الدينكا فآثر ذلك على سحنات بعض أفرادها وذلك خلافاً لما حدث لرزيقات الشمال حيث احتفظوا بنسلهم ولم يختلطوا في زواجهم مع القبائل المجاورة ماعدا الزغاوة و البديات الأمر الذي ابقى على سحناتهم على ماكانت عليها .

إن رزيقات الشمال كعرب رحل "سيارة" لهم ثلاث مناطق (مراحيل) يرحطون إليها في فصل الصيف :

1. عرب شمال كتم حتى أم سيالة يشدون الرحال جنوباً إلى بحر العرب .

2. عرب المنطقة الوسطى (دواء) يرحلون بإبلهم إلى عد الغنم .
3. عرب المنطقة الغربية لكتم حتى جبل مرة فينتظون إلى ام دافوق حيث يقيمون مضاربتهم هنالك .
- وفي موسم الخريف والشتاء (الدرد) فإن هذه القبائل تتجه شمالا إلى منطقة وادي هور "الجزو" حتى الحدود الليبية.



(جمل وعلى ظهره الهودج الذي  
تحمل بداخله العروس)

اما نقاط استقرار العرب الرحل فهي حواضرهم التي نكرنهاها أنفا ، في كل من  
الغريير وأم سيالة ودواء وأموا الشيخ.  
(ج) مجموعات عربية صغيرة لاتتنمي للفئتين السابقتين وهي:

(د) الشناقيط- الفيضان - البديرية- الجوامعة- الهوارة- ترجم- والبزعة (في منطقة أم كدادة وزعيمها الشرتاي عبدالله محمد مختار).



(نساء من رزيقات  
الشمال في زفة  
العروس)

## 2 - القبائل غير العربية:

وهذه تتحدث بلهجتها المحلية الخاصة بها بإستثناء القليل منها - ولكن اللغة العربية العامية هي وسيلة التفاهم المشتركة بين هذه القبائل ببعضها . وتجدر الإشارة ان بعض القبائل في هذه المجموعة لها أصول عربية غير أن تصنيفها كعربية لم يكن دقيقا الامر الذي جعلنا نصنفها في هذه القائمة \* وكبرى هذه القبائل هي:

|           |          |    |          |           |    |
|-----------|----------|----|----------|-----------|----|
| Borgoo    | البرغو   | 13 | Fur      | الفور     | 1  |
| Fallata   | الفلاتة  | 14 | Zaghawa  | الزغاوة   | 2  |
| Masalat   | المسالات | 15 | Masaleet | المساليت  | 3  |
| Kinneen   | الكنين   | 16 | Berti    | البرتي    | 4  |
| Simeyat   | السميات  | 17 | Meedoub  | الميدوب   | 5  |
| Kofout    | الكفوت   | 18 | Tunjoor  | التنجور   | 6  |
| Sinjar    | السنجار  | 19 | Gimir    | القمر     | 7  |
| Gebelmoon | جبل مون  | 20 | Dajo     | الداجو    | 8  |
| Guraan    | القرعان  | 21 | Erenga   | الايرينقا | 9  |
| Girga     | القرقة   | 22 | Tama     | التاما    | 10 |
| Takareer  | التكارير | 23 | Birgid   | البرقد    | 11 |
| Mima      | الميما   | 24 | Borno    | البرنو    | 12 |

\* هذه القائمة عينة توضح معظم القبائل غير العربية وربما كانت هناك قبائل أخرى في نفس التصنيف لم يسعها حيز هذا الكتاب.

### الفصل الثالث: نبذة خاصة عن قبائل شمال دارفور ذات الصلة المباشرة بالزغاوة

تجاور زغاوة السودان قبائل عديدة تسكن شمال دارفور في المنطقة الشمالية الغربية والتي كانت كتم حاضرتها في التقسيم الإداري القديم ومركزها . ومن هذه القبائل :  
 الفور والتجر والتاما في كباكية وكتم والبنني حسين في السريف وسرف عمره . والقمر جنوباً في كلبوس والمسالييت في الجنية . والبرتي والزيادية والميدوب في مليط والكومة والصياح والمالحة .

اما زغاوة تشاد فتحددهم من الشرق الحدود الغربية للسودان (منطقة زغاوة السودان - دار الزغاوة) والبرقو غرباً في بلتين وابشي والقرعان في الشمال في أم شالويا وفدا وفيالارجو وبوركوفايا وجنوباً قبيلة التاما في قريضة والداجو في قوز بيضة.

بعض هذه القبائل التي تجاور الزغاوة تحترف الزراعة وهي مستقرة وبعضها الآخر تسعى الماشية (الإبل والأبقار والأغنام) وهي القبائل الرعوية "الرحل". وكثيراً ما تجمع هذه القبائل بين الحرفتين معاً في سبيل العيش باستقرار. والزغاوة تشبه مثيلاتها من القبائل المجاورة تتخذ من الزراعة والرعي حرفتين أساسيتين وإن اعتمدت بصفة رئيسية على الرعي والترحال.



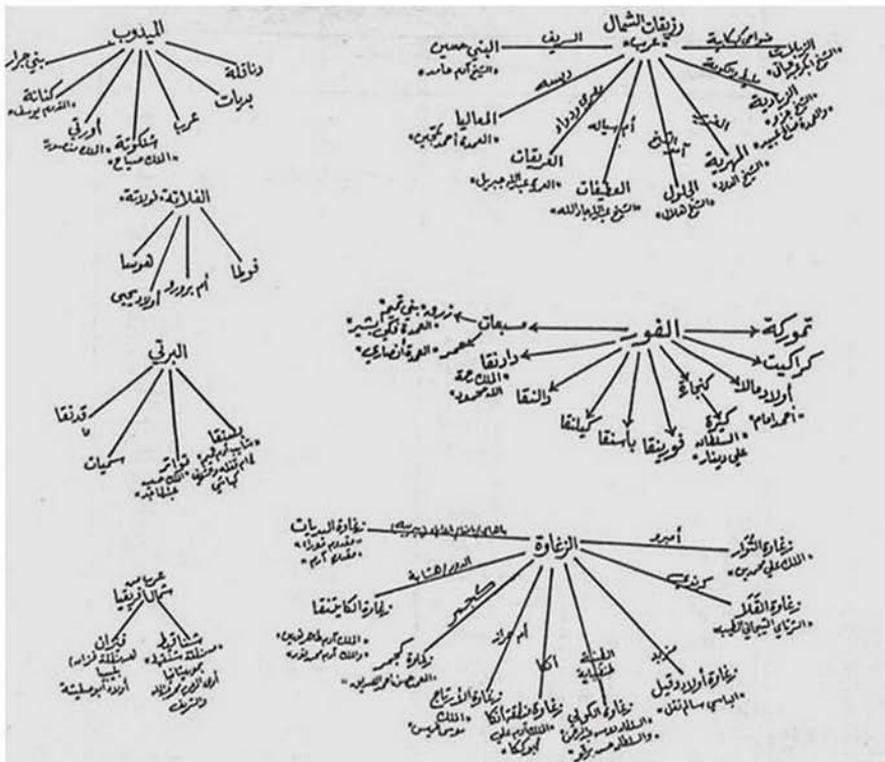
## جدول يبين قبائل شمال دارفور ومنطق سكنها

| القبيلة          | منطقة سكنها                             | القبيلة    | منطقة سكنها                    |
|------------------|---|------------|--------------------------------|
| لفور             | كتم - كورما - طوبلة                     | لجلول      | آمو                            |
| لمساليب          | الجنية                                  | لعطيفات    | أم سيالة                       |
| الجزري           | الصباح - أم كدادة - ملبط الطويشة الععبت | العريفات   | مصري - كتم                     |
| لميلوب           | المالحة                                 | الزيلات    | ككبابية                        |
| الناما           | ككبابية                                 | المعاليا   | كتم إلى نيسه                   |
| لتدجر            | هشابة - كتم - حمرة                      | بني حسين   | السريف - سرف عمره              |
| لفلاته           | الفاشر - كنال - خريبان - شرق مليط       | بني عمران  | شرق مليط - أم قفلة             |
| لداجر            | جنوب غرب طره - شرق نيالا                | بني جرل    | شرق مليط                       |
| لقمر             | كولموس                                  | بني عاطف   | أوقد مراريت                    |
| البرقر           | جنوب الجنية                             | الكركسي    | شرق الكومة                     |
| البرنو           | هيلا                                    | أولاد رشد  | شمال الجنية - سرف عمره         |
| البرقد           | شفنل طوباوي - جبل عدوه                  | السلامات   | كثيفة                          |
| زغاوة لكابنتقا   | الدور                                   | ترجم       | ككبابية                        |
| زغاوة لكومي      | الطبنة                                  | تركة هاروت | ذات إيشار غير محلود            |
| زغاوة لفلا       | كزنوي                                   | الأسرة     | ام كدادة - كنال - الفاشر       |
| زغاوة لتوار      | امبرو                                   | اللبيرية   | من قولو إلى كفوت               |
| زغاوة الارناج    | ام حرز                                  | كفوت       | كفوت - الفاشر                  |
| زغاوة أولاد نقيل | مزبد                                    | لدادينقا   | الفاشر - قوز بينه              |
| زغاوة لتيقيري    | فكا                                     | لتنكارير   | الفاشر                         |
| زغاوة لبيات      | كارو - باهاي - بامنا                    | لهورة      | الفاشر - كريفان (لهولوير)      |
| لقرعان           | شمال الطبنة - الجنية                    | لجرامة     | جبد لسبل - العرش - لكردة       |
| لكنين            | شرق كتم - الفاشر - جبل مزي              | الميمما    | كنال - شفنل طوباوي - ودعة      |
| لسميات           | ج غ الكومة حتى أوقد مراريت              | أوقد       | أوقد مراريت (شرق الفاشر)       |
| لزيادية          | الكومة - شمال مليط                      | مراريت     | أوقد مراريت (شرق الفاشر)       |
| لعمرية           | أم سيالة                                | ولد مانا   | حلة بكس ج ق كورما (طريق لفاشر) |

|   |  |   |                   |
|---|--|---|-------------------|
| البزعة<br>لنصارية<br>لجيدات<br>لبرقوات<br>السناجر<br>لقرقة<br>الابرينقا<br>جل مون<br>لمسالات<br>لكنوز<br>لفيزان<br>الشناقيط | أبو حميرة - أم كدالة - العور<br>أم عشيقات<br>الابيض وام جرد<br>كندر وجنوب مليط (أصلهم برغو أيشي)<br>غرب لجينية<br>در لمسايت<br>در لمسايت<br>در لجيل<br>منطقة نلس - كنبلة<br>الفاشر - مليط وهم من نوبة لشمالية<br>الفاشر والجنينة واصلهم من قران بليبيا<br>الفاشر - مليط - لمالحة - كتم وأصلهم<br>من منطقة شنقبط في موريتانيا | بني فضل<br>الشرفة<br>الطريفية<br>الواحية<br>لكوراة<br>لسناهير<br>أولاد الريف  | تولو (شرق دارفور) |
|   |  | الفاشر - الرطوط - السطيحة<br>الفاشر<br>الفاشر<br>الفاشر - كورتي - أم درمان وهم من لشمالية<br>الفاشر - لشمالية وهم جعليون<br>الفاشر - لجنينة وهم ترك ومصريين من<br>طنطا ولسبوط والفيوم والنقيلية |                   |

### ملحوظة:

1. ربما حدثت تغيرات عدة لمناطق سكنى هذه القبائل أو بعضها نتيجة الهجرات المختلفة انانتجة عن مختلف الظروف.
2. بعض القبائل لها إنتشار واسع ، لذلك يصعب تحديد مناطق سكانها بدقة.
3. ربما كانت هنالك قبائل سقطت أسماؤها سهواً من هذه القائمة.



مخطط رقم (1) يوضح تفرع بعض قبائل شمال دارفور ذات الصلة بالزغاوة

### الفصل الرابع : الزغاوة وسلطنة الفور

أطلق على الجزء الغربي من السودان بدارفور - رغم وجود عدة قبائل ونور أخرى كدار ميديوب ودار القمر ودار التجر ودار زغاوة ودار تاما ودار برتي ودار مساييت وهلم جرا. كما توجد نظارات كنظارة البقارة . وهي مناطق لسلاطات وقبائل عديدة كانت لها ممالك ونظم حكم بعضها سبقت سلطنة الفور - لأن الفور أقاموا سلطنة ذات نظام متقدم مقارنة بباقي المجموعات القبلية التي عاصرتها، وانها كانت معاصرة لمملكة وداي وكانم والهوسا ودولة الفونج . ولقد سيطرت على كردفان حتى التركية السابقة 1821م .





(مقبرة السلطان سليمان سولونق)

### السلطان تيراب و المسبغات

إمتد حكم الفور الى كردفان عن طريق السلطان مسيح (مصبح) وهو من ذرية السلطان بكر ، وكان قد إختلف مع أخيه سليمان سولونق وسافر شرقاً و"صبح" أي سار إلى دار الصباح" اي الشرق حتى كردفان واسس سلطنة المسبغات وحكم من بعده احفاده حتى عهد السلطان هاشم الذي تزامن حكمه مع حكم السلطان محمد تيراب في دارفور (1768-1787) وكانت عاصمته في عين فرح قرب كيبابية . وتجدر الإشارة هنا الى أن السلطان تراب بن علي بكر تنتمي والدته قورية (أو حورية) الى زغاوة الكوي وهي اخت السلطان هاروت بن هلال . وسنفضل ذلك في الباب الخاص بزغاوة الكوي.

لم يخف السلطان هاشم اطماعه في دارفور وهمّ بإسترداد حكم أجداده من بني عمومته ، فوصلت أخباره للسلطان تيراب الذي عاجله بغزو كردفان ، فهرب السلطان

هاشم واحتفى بملوك سنار ، فظل السلطان تيراب يطارده وقلوب جيشه المهزوم حتى دخل امدرمان ثم تقدم وهزم العبدلاب وغنم منهم اكبر تحاساتهم وهي المنصورة . فامتد حكم الفور حتى السودان النيلي الى منطقة الجعليين في شندي اذ استولى عليها بعد معارك ضارية انتصر فيها . وبعد ذلك اخذ السلطان تيراب يفكر في غزو سنار ، لكن جيشه كان قد أوهنه البعد عن الديار وطول مدة الحرب . ثم انتشرت بينهم حمى التيفويد التي اودت بحياة السلطان تيراب.

### السلطان عبد الرحمن الرشيد "شاو دو رشيد"

وهو ابن احمد بكر ، ورث الحكم عن السلطان تيراب عام 1787م وتغل العاصمة من عين فرح الى الفاشر الواقعة على خور تنبلتي والتي كان لاختيارها سبب اذ انها موقع يسهل منه الحكم بعد ان توسعت السلطنة بضم كردفان .

ولاكتشاف موقع مدينة الفاشر قصة تقول إنه كان لشخص يدعى "فاشر" ثور هجر قطع أبقاره ، فكان يغيب نهاره ويجيء للقرية مساء وفي أظلامه آثار الطين والوحل ، فأراد صاحبه أن يعرف المكان الذي يشرب منه هذا الثور ، فتبعه يوماً حتى نخل غابة كثيفة من أشجار السيال وفي وسطها بركة "رهد أو فولة" واسعة مليئة بالماء وعلى جوانبها أعشاب كثيرة ومنها قصب البوص. فكان أول من اكتشف تلك البقعة . عاد فاشر الى ذويه واخبرهم بالقصة ، فصاروا يشربون منها بعد ان سموها "الفاشر".

هذا فقد عاصر السلطان عبد الرحمن نابليون بوتابرت الذي كان يحكم مصر بعد غزوها . وكانت بين الرجلين مراسلات ومكاتبات كما كانت بين مصر ودارفور تجارة عن طريق درب الاربعة فالصحراء الغربية والنخيلة ..الخ.

### مدة حكم الفور

ظلت سلطنة الفور الأولى زهاء القرنين والنصف في حكم متواصل حتى إنتهت بسقوط الأبيض على يد الأتراك المصريين (التركية السابقة) وكان سلطان المساليت في غرب دارفور يتبع لها . وفي الغرب أيضاً كانت النزاعات محتدمة بينها وبين سلطنة وداي التي اتخذت من ابشي حاضرة لها ، وكانت مملكة قوية ذات نفوذ واسع .

وفي القرن التاسع عشر وإبان دخول الحكم التركي المصري للسودان كان على سدة الحكم بسلطنة الوفر السلطان محمد الفضل بن عبد الرحمن الرشيد الذي حكم من 1803 الى 1839م وعلى كردفان المقدم مُسَلِّم الذي كان يتبع إداريا لحكم الفور بالفاشر .

سمع السلطان محمد الفضل أن المقدم مسلم قد جهز جيشاً كبيراً لكي يغزو دارفور وكردفان ، فأرسل اليه مبعوثه ابراهيم ود وير وزوده برسالة هامة يطلب إليه فيها بالمجيئ الي الفاشر للتشاور في أمر الحكم ، وفي نفس الوقت جهز جيشاً عرمرماً مسانداً لمبعوثه تحسباً لرفض المقدم مسلم الحضور إليه .

سلم ودوير الرسالة للمقدم الذي استقبله استقبالا حسناً واکرم وفادته وابدى استعداده للذهاب معه الي الفاشر ، علماً بأن كلاً من السلطان والمقدم يبطن غير ماكان يبديه في حقيقة الأمر . وأخبر المقدم مبعوث السلطان بأن الاتراك قد احتلوا الخرطوم وهم على مشارف بارة قاصدين احتلال الأبيض الأمر الذي يلزم تضافر جهود جيش المقدم مسلم بكردفان وجيش السلطان محمد الفضل بقيادة ودوير لصد الجيش التركي الغازي لكردفان ومن ثم يستعد المقدم لمقابلة سلطان الفور .

اتحد الجيشان بالفعل وقابلا جيش الترك في معركة ضارية وفاصلة في بارة وابلى جيش الفور بلاءً حسناً وقتل فيها ابراهيم ودوير في تلك المعركة غير المتكافئة انتصر فيها الأتراك بقيادة محمد الدفتردار صهر علي باشا لسلاحهم الناري المتقدم مقارنة بالأسلحة التقليدية عند جيش الفور . ودخل الأتراك الأبيض واحتلوها وبذلك انتهى حكم الفور في كردفان . ولم يتمكن الدفتردار من مواصلة فتوحاته الي دارفور نسبة لانشغال الاتراك بحوادث الملك - المك - نمر في المتمرمة وما اعقبتها من اضطرابات ومناوشات في الحدود الحبشية .

الرغاوة وسلطنة الفور

فى دارفور كانت هناك مجموعات قبلية لم تتبع لحكم الفور اطلاقاً رغم الحملات التى كانت يسيرها عليهم سلاطين الفور لتوسعة سلطنتهم حتى عام 1839 وقبل دخول المهديّة فى دارفور و منها قبائل البقارة فى جنوب دارفور و الزغاوة فى شمال دارفور . كانت فروع قبيلة الزغاوة التى تضم الكوبى و قروف-ديرونق و البروقات و القلا و التوار و الأرتاج و النقىرى و البديات و أولاد دقيل و الكجر و الكانتقا - إبان حكم الفور - تعيش فى شتات و تحت حكو عشائرى بحت.

### الزبير باشا رحمة فى دارفور

بعد أن سقط فرع سلطنة الفور فى كردفان اتجهت أنظار الاتراك الى بحر الغزال لوضع حد لتجارة الرقيق البغيضة والتي كانت رائجة هناك حينئذٍ.

### الزبير ود رحمة:

كان الزبير تاجراً من تجار الرقيق الناجحين وقاده ذكاؤه وشخصيته القيادية الى اكتساب ود الملوك والسلاطين فى بحر الغزال الامر الذي جعله من كبار التجار فصارت تلك المنطقة تحت نفوذه وزعامته. وعندما فكر الاتراك فى فتح بحر الغزال عينوا الشيخ محمد البلالي من دارفور ليفود حملة لتأديب تجار الرقيق فاصطدمت قواته مع قوات التجار بقيادة الزبير فانهزمت قوات البلالي الذي قتل فى المعركة. أتارت هذه الحادثة حفيظة الحكومة التركية وأرادت تأديب الزبير غير أنه وظف نكاهه ووسط مدير بربر حسين بك خليفة فعفا عنه الخديوي اسماعيل والذي أمر بتعيينه مديراً لبحر الغزال ، إلا أن مبعوث الحكومة الى الزبير اعترض طريقه عرب الرزيقات ، فما كان من الزبير إلا أن يرحل خطته للذهاب إلى الخرطوم وقرر الإنتقام من الرزيقات فأعد جيشاً قوامه أربعة آلاف جندى و دارت معركة بينه و بين مشايخ الرزيقات فى "شكا" عام 1870م حيث كسب المعركة وفر اثنان من مشايخ الرزيقات وهما منزل

وعليان واحتميا بالسلطان ابراهيم قرض سلطان دارفور آنذاك فطلب الزبير من السلطان ابراهيم تسليمه الشيخين غير أن الأخير رفض ذلك. ولما أحس السلطان ابراهيم بمؤامرة الزبير والحكومة المصرية للقضاء على سلطنته ارسل الحاج ادريس محملاً بالمال نصفه لشريف مكة ليتوسط له لدى الباب العالي والنصف الآخر للإستانة ، إلا أن مساعيه باءت بالفشل ولم تجد فتياً . فدارت معارك بين الزبير والسلطان ابراهيم قرض كان آخرها في منواشي حيث قتل فيها السلطان في 1872م واسدل مقلته الستار على سلطنة الفور الأولى.

وبعد انتصاره في منواشي ، دخل الزبير - الذي كان يلقب بالزبير باشا- الفاشر في 22 رمضان 1292هـ الموافق 1874م ولم يجد فيها مقاومة تذكر ، غير أن حسب الله عم السلطان المقتول قد خرج من الفاشر ومعه بعض الجند واحتفى بجبل مرة لكن حركته اخمدت بدهاء الزبير وقوته حيث تم أسره ونفيه الى مصر وفيما كان الزبير في الفاشر لحق به الحكمدار اسماعيل ايوب الذي قدم بالمدد من كردفان ليجد الامور مستتبة فصار حاكماً على دارفور ، وعقب تلك قامت حركة عصيان وتمرد في جبل مرة لكنها اخمدت في حينها وسرعان ما اندلعت حركة عصيان أخرى حيث أعلن بوش نفسه سلطاناً في كباية وتمرد على حكم الاتراك ولكن الزبير انتصر عليه وقتله وبقي حسن حلمي بك حاكماً في الفاشر .

### نهاية الزبير باشا رحمة:

ومن سخرية القدر أن ينتهي الزبير باشا رحمة بعد كل هذه الفتوحات والدماء التي اراقها من أجل الحكم التركي ان يكافأ بجزء سمنار وتتطوي صفحته في دارفور ويموت منفياً في مصر .

## الفصل الخامس

### الزغاوة والمهدية

نجد أن قبيلة الزغاوة كغيرها من قبائل غرب السودان قد بادرت بمناصرة المهدي ولاسيما فروع زغاوة القلا في كرنوي والتوار في منطقة أمبرو والكوبي في الطينة والأرتاج

في أم حراز ، فهاجر بعض أفرادها منذ الأيام الأولى للمهدية الى قدير وانضم الى جيش الأنصار وحضر جميع المعارك التي خاضها المهدي ضد الأتراك ثم حصار الخرطوم وقتل غردون . وكان دافعهم الإيمان بالإسلام أولاً وتصديق ماكان ينادي به محمد أحمد المهدي مبادئ . وقد استعان المهدي بهؤلاء النفر كوفود لنشر تعاليم المهدي في اوساط الزغاوة . وكان المهدي قد أوفد رجلاً يقال له طاهر اسحق من الزغاوة الى زعيم الحركة السنوسية في واحة جغبوب في ليبيا ليلبغ به ظهور المهدي ويطلب منه التأييد والمبايعة للعمل معاً ضد الكفرة من النصارى الأوروبيين الذين كانوا يهيمنون على بلاد المسلمين والانقضاض عليهم .

وبعد وفاة المهدي واصل الأنصار من أبناء الزغاوة ولاءهم للخليفة عبد الله التعايشي الذي أرسل قواته الى دارفور لاستقطاب ملوك الزغاوة من أجل ارسال الرجال للعمل كجهادية في جيشه ، فكان أبناء زعماء العشائر اول من طلب اليهم بالمثل امام مبعوثي الخليفة .

ولما كان الإسلوب الذي اتبعه اسحق آدم (عثمان جانو) وخلفه محمود وداحمد وعساكره الجهادية في تجنيد المواطنين بالقسوة والاهانة غير المستمدة من تعاليم المهدي التي عرفها الناس فابدوا امتعاضهم واستهجانهم ، وساورتهم الشكوك في مصداقية ما قدم لأجله جنود الخليفة . ولم يكن محمود ودأحمد بأحسن من سلفه ، فاستمر في اخذ الرجال قسراً وقابل أي مقاومة من الأهالي بالشدّة التي تمتلّت بالقتل واحراق القرى والمراعي والمزارع . وقد ترك هذا الإسلوب الفمعي صورة قائمة في نفوس الزغاوة عن المهديّة نفسها . فعلى سبيل المثال كانوا يشيرون الى محمود ود احمد "بترك محمودي" تشبيها له بالباشبوزق من الأتراك.

تمكنت جيوش محمود ود أحمد من ارسال أعداد كبيرة من أفراد الزغاوة الى أمدرمان فإستتركوا في المعارك ضد الإنجليز وابلوا بلاء حسنا واستشهد كثير منهم في مواقع كرري وأم ديكرات . كما حارب بعضهم الآخر في صفوف جيش عثمان دقنة في شرق السودان . وبعد موقعة كرري وأم ديكرات ومقتل الخليفة عاد من بقي حياً الى دار

الزغاوة بينما أثر أكثرهم البقاء ليكون على مقربة من الأرض التي شع منها نور المهديّة .  
ونجد حتى يومنا هذا ان الأنصار من أبناء الزغاوة ينتشرون في رقعة واسعة من  
مناطق النيل الابيض ويتمركزون في الجزيرة ابا وكوستي وربك والدويم وفي شرق  
السودان في القصارف وقرى ونضعيف وجنة بر ، والعزازه



(محمود ود احمد)

اما في كسلا فيغلب فيها الزغاوة من نرية السلطان هاروت الكويباوي . وعلى الرغم من  
احتفاظ هؤلاء بهويتهم القبلية الا ان احفادهم قد نسي معظمهم لغة الزغاوة.  
وللزغاوة في الجزيرة ابا شياخة منذ عام 1922م بزعامة الشيخ جمعة عبد الله  
من فرع زغاوة الأرتاج والمتوفي 1973م وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر كلاً من  
محمد صالح عبد الرحمن وبشرى جمعة عبد الله وكلاهما كان مرشحاً في دائرة الأنصار  
بالجزيرة ابا . وكان الأنصار من الزغاوة قد شملتهم حرب الإبادة التي قادها نظام مايو  
ضد الإمام الهادي المهدي في الجزيرة ابا في 1970م . أما يوسف نصر احمد عبد

الرحمن من زغاوة الكوبي كان من الذين استشهدوا هو وإبنة وغيرهما في يوليو 1976م في الحركة التي عرفت بالمرتقة حيناً وبالغزو الليبي احياناً أخرى وهي الحركة الوطنية التي قادتها المعارضة السودانية من خارج البلاد لتقويض نظام 25 مايو الا ان سوء الطالع قد عمل على افشالها.

## المهديّة

ولد محمد أحمد بن عبد الله في دنقلا العرضي سنة 1843م ودرس العلوم الدينية والفقهية في الخلاوي على أيدي مشايخ ورعين. ثم استقر في الجزيرة متفرغاً لعبادة الله متصوفاً زاهداً . وأصبح له أتباع ومريدون يحدثهم عن اتصال روحه بالعالم العلوي وأنه المهدي المنتظر ، وتعرف على خليفته فيما بعد عبد الله بن محمد التعايشي . وأسر الدعوة حيناً ثم أجهر بها ليؤمن من آمن انصاراً واتباعاً وصدّ عنها من صدّ . فاتجه أولاً الى غرب السودان وكان لحركته هدفان هما:

- 1- ان يرجع الناس للإسلام ويجعلوا القرآن والسنة اساساً.
- 2- أن يكون الدين الإسلامي دستوراً للحكم.

## إنتصارات المهدي:

دارت صراعات بين المهدي والحكومة التركية فانتصر المهدي اول مرة في الجزيرة أبا على جيش الحكومة ثم انتصر على الشلالي باشا الكنزي في قدير . وتوالت إنتصاراته فسقطت باره على أيدي لامير عبد الرحمن النجومي بعد حصاره لها ، ومن ثم سقطت الأبيض سنة 1882م (نفس العام الذي احتلت القوات البريطانية مصر). وهزم الأنصار حملة هكس باشا في واقعة شيكان عام 1883م وسلم سلاطين باشا مديرية دارفور . وسقط الشرق (سنكات-سواكن - طوكر) على أيدي الامير عثمان دقنه .



(الخدوي إسماعيل باشا)

بينما كانت الحركة المهديّة توالي إنتصاراً بعد إنتصار احتل الإنجليز مصر بعد قضائهم على ثورة أحمد عرابي 1882م وعينوا غردون حاكماً عاماً على السودان، علماً بأن غردون هذا كان قد خدم الأتراك كحكمدار عام على السودان ، وله دراية كافية بشئون السودان . فوصل الخرطوم في 18 فبراير 1884م . ثم حاصر جيش المهدي الخرطوم في مارس من نفس العام بقيادة الحاج محمد أبي قرجة (أمير البرين والبحرين) . وهاجم المهدي وخلفاؤه الثلاثة الخرطوم صبيحة يوم 26 يناير 1884م فسقطت الخرطوم وقتل غوردون وبذلك إنتهت هيمنة الأتراك على حكم مصر والسودان .

#### الخليفة عبد الله التعايشي

لم يعيش المهدي كثيراً بعد ذلك اذ عاجلته المنية في يوليو 1885م . ولم يمض أكثر من ستة أشهر من انتصاره بسقوط الخرطوم . فخلفه عبد الله السيد محمد ود تور شين والذي كانت شخصية مثيرة للجدل . ولكن الشاهد انه ربما فكر - بعد وفاة المهدي مباشرة - في كيفية دمج ما بين المهدي المنتظر والمهدي المنتصر وكيفية المحافظة

على هذه الشعلة المتوهجة من الروحية المستمدة من "الحضرة النبوية" والمضي قدماً على ما استته المهدي من منهج . ولكن الاحداث سارت على غير المنوال الذي كان يتوقعه اذ قابلته تحديات جمة.



(الجنرال غوردون)



(قبة المهدي في ام درمان)

ترامت الثورة المهديّة مع ثورة أحمد عرابي في مصر وعبد القادر الجزائري وكانت قد سبقتها الحركة السنوسية ضد الطليان في ليبيا . وكانت القبائل التي انفتحت حول المهدي ترى فيه بطلاً ومخلصاً من براثن التركيّة الجائرة ، وانها كانت تؤمن في قوة شخصيته التاثيرية والدينية التي تتبع من الحضرة النبوية. وانه شخصياً كان مصدر الجذب الشعبي ، لذلك حينما توفي وجد الخليفة عبد الله بن السيد محمد - الذي اختاره بنفسه ليخلفه - صعوبات بالغة لتكملة تلك السجل الناصع الحافل بالانتصارات . وتضاغت قوة الجذب نوعاً ما حول شخصية الخليفة الذي لجأ الى القوة والعنف - وربما كانت له مبرراته فيما ذهب اليه وان اختلفت الآراء حول مبرراته تلك وكانت شخصية الخليفة مثيرة للجدل.

### دوريات العقاب الدموية في الغرب

كان الاعتقاد السائد ان غرب السودان كان موالياً للمهديّة ولكن الأمر كان على خلاف ذلك وخاصة بعد وفاة المهدي ، اذ حدثت صراعات دامية وعنيفة اعتبرها الخليفة ردة بانئة للمهديّة ورفضاً لخلافته . وتعددت الاسباب والمسببات ونسوق هنا بعضاً من تلك الأحداث التي كان مسرحها دارفور :

1- عصيان مادبو قائد قبيلة الرزيقات حيث طارده حمدان أبو عنجة الى حدود الفاشر وأعدم فور القبض عليه 1886م وأرسل راسه الى أم درمان ، ثم ثار عربان الكبابيش بقيادة صالح فضلائه الذي أعدم المهدي أباه في الأبيض رافضاً إستدعاء الخليفة له إلى أمدرمان لذلك قتل صالح بعد حصار طويل 1887م.

2- ثار الامير يوسف بن السلطان إبراهيم قررض ضد الخليفة فأرسل إليه عثمان آدم التعايشي - وكان يسمى "عثمان جانو"- الذي اتبع مايشبه حملات الدفتردار الانتقامية في عهد التركيّة بل وأشدّ عنفاً . وبعد معارك طاحنة قتل الأمير يوسف في

1888/1/25م وأرسل رأسه الى ام درمان . ولم تقتصر حملات عثمان على قبيلة بعينها بل تعدت الى معظم قبائل الرفور .

3- أمر الفور "أبو الخيرات" سلطاناً عليهم بعد مقتل الأمير يوسف على أيدي جنود الخليفة فاعتبر الخليفة ذلك خروجاً على حكمه.

4- في نفس العام ظهر مهدي آخر في منطقة الفور هو الفكي أبوجميمة وأصله من المساليت قد اعتقد اتباعه أنه جاء من شجرة جميزة لكنه في الحقيقة كان سنوسياً يدين بالسنوسية كحركة دينية منافسة للمهدية في المنطقة ، ولم يدع النبوة كما أشيعت ضده آنذاك . وقد استطاع أن يكسب ولاء قبائل تلك المنطقة وقد أوقعت الهزيمة بقوات التعايشي في دارتاما في سبتمبر 1888م ولكنها ما لبثت أن استعادت قوتها في كباكية ، فحشنت 16253 مقاتلاً غير أن هذه القوة منبتت بالهزيمة في 1888/11/11م إثر تحالف قبائل المنطقة تحت زعامة المهدي الجديد . وقد اوضح عامل التعايشي لخليفته بأن " التمرد كان عاماً في دارفور وان المنطقة محتاجة الى اعادة فتح جديد " . وتوفى أبو جميزة بالجدري وخطفه أخوه اسحاق "إساعة" الذي مني بالهزيمة خارج مدينة الفاشر في 1889/2/22م.

5- تارت قبيلة الرزيقات مرة أخرى وشقت عصا الطاعة .

6- رفض التعايشة الإنصياح لتعليمات الخليفة التعايشي وفي فبراير 1888م قتل زعيم التعايشة الغزالي أحمد الأشخاص الذين بعثهم الخليفة اليه ، فأرسل اليهم الخليفة قائده عثمان آدم "التعايشي" يأمره " بإنذار جميع ديار التعايشة وأمرها بالخضوع او التدمير وتجويعهم حتى الإستسلام " .

7- تم ترحيل قبائل البقارة بعد السيطرة عليها وتحت إصرار الخليفة الى ام درمان في 1889/1/2م.

8- تار عربان بني هلبة ثورة عارمة وتم سحقهم في 1889/3/31م.

9- هربت مجموعات من التعايشة التي اسكنها الخليفة عنوة في ام درمان من مقرها ودخلت في قتال جديد.

10- ظهر من صفوف جنود الخليفة في الشرق على حدود الحبشة رجل يدعى آدم محمد ادعى أنه عيسى ابن مريم شخصياً وأكد أن عيسى هو الذي يظهر بعد المهدي والتف حوله بعض قادة جيش الخليفة مما أغضب الخليفة وأمر بإعدام "النبي السوداني" في 1888/12/23م (هذه الظاهرة سقناها من قبيل المقارنة بالمهدي ابو جميزة وهي من ظواهر الرفض) إذ لم تقف حركات إدعاء النبوة حتى بعد المهديّة ففي 1904 ادعى شخص في ضواحي سنجة انه عيسى بن مريم وقام بقطع خط التلغراف وتبعه عدد قليل من الناس . كما ادعى رجل من البرقو في منطقة الفصارف انه ايضا عيسى بن مريم كان ذلك في العام 1907.

مما سبق نرى أن تلك الأحداث الدامية أبرزت دارفور مركزاً للتمرد وظل عثمان آدم بيدير حملته التأديبية ، ولايستثنى قبيلة او دارا حتى 1889/6/23 . ثم بدأ الخليفة يشك حتى في أخلص قادة المهديّة من امثال عبد الرحمن النجومي ، لكنه كان دائماً يستغل الروى الدينية كوسيلة فاعلة واستمد منها قوته في اقتناع الناس واخضاعهم للمهديّة وربما علم انها الوسيلة الوحيدة التي يمكن ان تنفذ اية آراء بواسطتها الى قلوب الانصار والجهادية لايمانهم العميق بالدين الاسلامي ، لكن جام غضبه انصب على اهل الغرب طيلة فترة حكمه ، ربما شعورا منه بأنهم كان من المفترض ان يتبعونه ويطيعونه طاعة عمياء.

ومن الخلافات التي احدثتها سياسة الخليفة في دارفور ان الانصار ناصروا هجاء حسب الله ضد ابكر اسماعيل المسلاتي . وفي حكم القمر خلع السلطان ادريس ابكر هاشم واجلس اخوه حسب الله ابكر هاشم . وفي منطقة الرزيفات ألب الأنصار اساعة العبيد ضد مادبو . ولم تسلم دار الزغاوة من تلك الصراعات والانقسامات ففي دار التور نشب صراع على السلطة بين الأخوين مصطفى بحر ومصمود وذلك بعد ذهاب حجر بحر الى ام درمان . وفي زغاوة الكوبي وقعت معارك دامية بين السلطان عبد الرحمن فرتي والسلطان راكب المدعوم من المهديّة في صراع على السلطة في دار كوبي .

لما أحس الخليفة أن دارفور لن تخضع لإمرته رغم حملات التفتيل وسفك الدماء ، عمد الى زرع بنور الفتنة والشقاق بين القبائل المختلفة وبين افراد القبيلة الواحدة بل وبين افراد الأسرة الحاكمة كما رأينا ، وذلك عن طريق خلق سياسة فرق تسد . كما فرض حربا اقتصادية على سكان دارفور بتجريعهم وحرق مزارعهم وقراهم وابادة بهائمهم وسلبيها . وكان من اساليبه التأديبية ايضاً ارغامهم للانخراط في صفوف الجهادية وتهجير الاهالي من مناطق سكناهم فاقترنت المهديّة في اذهان الناس بدارفور بالظلم والبطش وسفك الدماء ، فانصرفوا عن نصرتها ، الأمر الذي عجل يسقوطها.

### سقوط المهديّة وبداية الحكم الثنائي

في سبتمبر 1898 حدثت واقعة كرري شمال غرب ام درمان بين الجيش الانجليزي المصري الغازي بقيادة كتنر وجيوش المهديّة بقيادة الخليفة عبد الله وولده شيخ الدين واخيه يعقوب وعلي ود حلو ومن الامراء عثمان دقنة وابراهيم الخليل وعثمان ازرق واحمد فضيل في معركة غير متكافئة رغم شجاعة الأنصار وصمودهم البطل الا انهم هزموا شر هزيمة وقتل الالوف وجرح الوف آخرون . وانسحب الخليفة مع بعض الأنصار جنوباً.

ثم توالت المعارك غير المتكافئة ففي الشكابة قتل الخليفة شريف وكل من الفاضل وبشرى ابني المهدي في العام 1899 كما قتل الخليفة عبد الله وابنه شيخ الدين والامير ودطو والامير احمد فضيل في ام ديبكرات على يدي ونجت باسًا وأسر الأمير عثمان دقنة . وافل نجم الدولة المهديّة بمقتل الخليفة عبد الله ليشهد السودان بداية الحكم الثنائي الذي استمر حتى استقلال السودان في 1956م.



(مقتل الخليفة عبد  
الله التعايشي في  
موقعة أم دبيكرات)

## الفصل السادس : مملكة الفور وعلاقة الزغاوة بها

### علي دينار :

تضاربت الاخبار عن كيفية رجوع علي دينار الى دارفور بعد معركة كرري . فالرواية الأولى تشير الى ان كثيرا من القبائل التي هجرها الخليفة من دارفور وارغمها على السكتى في ام درمان قررت العودة الى ديارها لاسترداد امجادها بإعادة تأسيس ممالكها وعشائرها . واجتمع من بقي حياً من أبناء قبائل دارفور وتشاوروا في أمر من يصلح لحكم دارفور بدلا عن حسين ابو كودة الذي نصب نفسه سلطانا مطلقا على الفاشر وحكم بنفس اساليب جهادية خليفة المهدي .

وفي طريقهم الى دارفور استقر رأيهم على إختيار علي بن زكريا بن السلطان محمد الفضل المشهور بعلي دينار سلطانا على عموم دارفور . وكان من ضمن الذين شاركوا في هذا الاختيار من قبيلة الزغاوة الملك مصطفى بحر من زغاوة توار (امبرو) والشرتاي الزين صالح من زغاوة قلا (كرنوي) والسلطان حسن نوقي من زغاوة الكوبي (الكبيقاء) والسلطان راكب مقو من زغاوة الكوبي وآخرون ، وهم من الذين كانوا قد اخذتهم جيوش الخليفة عنوة كجهادية في صفوفها.

اما الرواية الثانية فتشير الى انه في آخر ايام المهديّة وضع علي دينار في مايشبه الاعتقال مع الملازمين لما لوحظ عنه من عدم الولاء والاخلاص للمهديّة . وغادر ام درمان قبل معركة كرري بيوم واحد ومعه بعض اصحابه . وتجمع حوله ما يقرب الالفين من فرسان دارفور الذين يمثلون قبائل شتى وهو في طريقه الى الفاشر . على كل فقد تمكن علي دينار من الوصول الى السلطة في دارفور سواء تسلّمها من ابي كودة او ابراهيم الذي بعثه كشنر ليحكم دارفور حتى يعمل على فتحها فيما بعد . ومما تجدر الإشارة هنا أن سلاطين الفور كانوا قد توارثوا الحكم ابا عن جد الا علي دينار حيث توفى والده زكريا الذي لم يكن سلطانا الا ان جده محمد الفضل كان سلطانا . ويمم السلطان الجديد صوب دارفور وفي معيته جيش مكون من ابناء دارفور العائدين من الحروب الجهادية حتى وصلوا منطقة سبلي شمال شرق مدينة الفاشر حيث اراحوا ركائبهم . وكان حسين محمد ابو كوة حاكما في الفاشر قد جهز جيشا لملاقاتهم . ودخل علي دينار والسلطان ابوكودة في نزاع على السلطة وارسل كل من الرجلين ممثلا عنه للتفاوض مع الطرف الآخر . فأرسل ابو كودة الخطاب التالي نصه الى علي دينار :

### بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين سيدنا محمد وصحبه وسلم وبعد من عبد ربه السلطان حسين بن السلطان محمد عجيب الموقر عند الله لأجر حسن . سيد ملوك العرب والعجم أطال الله عمره وإبقاه آمين .سلسلة الطاهرين الي أختينا المذكور السلطان على دينار أبقاه الله آمين . لقد بلغنا اخباركم من الاجوية الواردة وغير ذلك . لقد حضرتم من ام درمان . والاجتماع في دار آبائنا واجدادانا . قد حضروا معك من رؤس اهل دارفور فيهم - محمود علي الداندقوي وخاطر ابراهيم الفوروي والدومة صالح البرتاوي والزين صالح دنكس الزغاوي وابكر عمر البيقاوي واحمد رشيد التجراوي . ولقد بلغت الخيانة منكم والمولى عالم بما في الضمانر . ان جنتم الى عمار الدار قبل كل شئ انزلوا في

محللتكم التي كنتم فيها . وارسلوا لنا ناسات معتمدة يؤمن فيهم الصداقة وحديث السير . يبلغونا بأخباركم ونحن نبلغكم باحوالنا . وان جنتم الى خراب الدار فاعلموا يقينا . لو اجتمع اولكم وأخركم ولو تاججت بقاء الارض نارا تتعلى نثبت ولانتولى حقا علينا وبالنبي المرسل . وان مات احد منا او متكم مسئولين انتم غدا بين يدي الله . وباعمالكم محاسبون ويزداد الذين ظلموا . والله اعتمادي والسلام" . أه .

صورة طبق الأصل من الخطاب الذي ارسله ابو كودة للسلطان علي دينار وهو على مشارف عاصمة دارفور (الفاشر) . وقد كان ابو كودة نصب نفسه سوطاا على البلاد في فترة المهديية التي خلت من السلطنة . تلك الفترة التي هاجرت فيها الناس للمبايعة ونصرة المهدي بام درمان] . أه .

ولما لم يذعن السلطان ابو كوده بتهديدات السلطان علي دينار هجم الاخير واستولى على الفاشر بون مقاومة تذكر اذ كان ابو كودة قد غادرها قبلئذ قاصدا جبل مرة الحصين . واتخذ السلطان علي دينار من الفاشر عاصمة لسلطنته وبدأ في توطيد حكمه . اما السلطان المخلوع أبوكودة فقد أقام في منطقة جبل مرة ووجد العفو والرضا من السلطان علي دينار وقلده منصبا اهليا وعاش سعيدا بقية سني حياته .

#### إدارة السلطنة:

قسم السلطان سلطنته الى أربع مقدمات وعين في كل منها مقوما \_ (المقوم يعني مقدم) - على النحو التالي :

1) المقوم شريف : مقوم الشمال 2) المقوم آدم رجال مقوم الجنوب 3) المقوم الدمنقاوي: مقوم الغرب (منطقة جبل مرة) 4) المقوم محمود الدانتقاوي مقوم مركز الفاشر وضواحيها . وكان حكم السلطان علي دينار فرديا مطلقاً لانائب له ولا ولياً لأمره وان اتسم ببعض اللامركزية من حيث التقسيم الاداري .

#### العاصمة:

الفاشر كانت عاصمة السلطنة كما ذكرنا أنفا . وكانت تتكون من أحياء قليلة من برنجية وهو الحي الذي يسكن فيه الجيش الأول ، والحملة والقبّة وتمباسي وزنفو ومركا

وخير خنقا و أولاد الريف (وهو الحي الذي سكن فيه أفراد جيش التركية السابقة الذين سرحوا ويقوا في الفاشر وتزوجوا من بناتها) .

خطاب ابوكوية للسلطان على دينار

بسم الله الرحمن الرحيم

والعلاء والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين سيدنا محمد وصحبه  
وسلم وبعد .

من محمد ربه السلطان حسين ابن السلطان محمد عميد الموقر عند الله  
لأحر حس .

سيد ملوك العرب والمسلم الحكام الله عمره وابقاه آمين .  
سلسلة الطاهرين . الى اخينا المذكور السلطان على دينار ابقاه آمين .  
لقد بلغنا اخباركم من الاجوبة الواردة وغير ذلك . لقد حضرتهم  
امدرياس . والاحتجاج في دار ابا ثنا واخذادنا . وقد حضروا معك من  
روث أهل دارفور فيهم - محمود على الدارنقاوي وخطاط ابراهيم الفواوي  
والدوسه صالح البرتاوي والزين صالح دنكر الزقاوي وابكر عمر اليقاوي واحمد  
رشيد التحراوي . لقد بلغت الخيانة منكم والمولى عالم بما في الضائير .  
ان جئتم الى عمار الدار قبل كل شيء انزلوا في حلا تكم . التي كتتم فيها  
وارسلوا نغاسات معتده يوش فيهم الصداقه وحديث السير . يبلغونا  
ياخباركم ونحس نيلفكم باحوالنا . وان حتمت الى حراب الدار فاطمونا .  
بقينا . لو احتج اولكم واخركم ولو تاجعت بقا الارض نارنا تنعل . نشبت  
ولا يتولى حفاطينا وبالنسب المرسل . وان ما اعدنا اوتنكم سوئس  
انتم ضد الجين يدي الله . واقبالكم محاسبين ويزداد الزين ظلموا .  
والله اعلم بالحق والعدل . والسلام .

صوه طبق الاصل من الخطاب الذي ارسله ابوكوية للسلطان على  
دينار وهو على مشارف عاصه دارفور ( الفاشر ) . وقد كان لابوكوية نصب  
نفسه سلطانا على البلاد في فترة المهديه التي خلفت دارفور من السلطنة .  
تلك الفترة التي هاجرت فيها الناس للسامية ونصرت المهدي بامدرياس .

ارسل لك صورة من خطاب ابوكوية الذي ارسله للسلطان على  
دينار قد رحله الفاشر .

الملك رحمه الله محمود

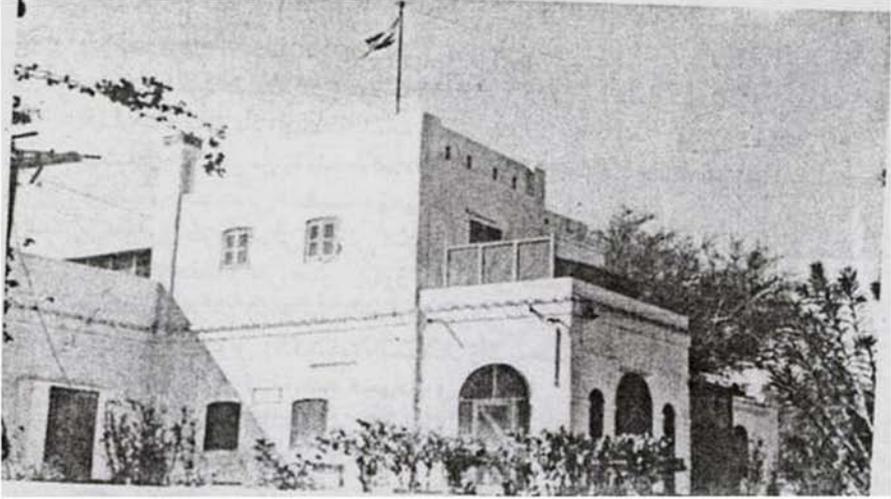
## الجيش:

كان جيش السلطان منظماً وعلى غرار جيش المهدي ويتكون من البرنجية وهو الجيش الأول والمقاديم ومن زعماء العشائر بجيوشهم والتنظيمات الأخرى من رؤوس المئات (راس مية قائد تحت إمرته مائة مقاتل) والجهادية أو "العيال قورو" اما قواد جيشه فهم : (1) رمضان براء (2) محمود الدادنقاوي (3) سليمان ود علي (4) المقنوم شريف (5) الدمنقاوي (6) آدم رجال (7) سالم ابو حوه الزغاوي.

وزود الجيش بفرقة موسيقية ( بروجية ) لها الكثير من الآلات الموسيقية كالنحاس والصفارات القوية (بوري) والكيما والفتنق والبيدي (نقارة صغيرة ذات وجهين) والكوري والأم كيكي . وفي الفرقة حذاء للسلطان ويسمى الموقاي وهو حسب الله الذي يضرب " الكزوروك". وتقام الزفة مرة كل عام وهي مناسبة لعرض القوة ولقباس ولاء وطاعة زعماء العشائر للسلطان.

### بيت السلطان وقصره:

لبيت السلطان سور كبير وعال به ثلاث بوابات أشهرها وراية عبد السيد وباب الحريم الذي يحرسه بركة كبسور فخصص قسماً لسكناه في قصره المشيد من طابق واحد وعمل سقفه من خشب الصندل الزكي الرائحة وبه غرف كثيرة ويقال إنه بني بدم الثيران وحسانها ! وقسم آخر لنسائه كما خصص قسماً ثالثاً لإمائه وخدمه ، أما القسم الرابع فكان اصطبلا للخيول ومخازن للسلاح والمهمات كالسروج و ركاب الخيل والدروع والكساوي والزي الحربي والنحاس الذي كان عددها 32 أكبرها تسمى منصورية ، هنالك مطامير وشون للغلال (صوامع تحت الأرض ) . أما القسم الخامس فقد خصص للكتابة برئاسة الفكي السنوسي .



(قصر السلطان علي دينار في الفاشر)

#### حروياته:

كان زعماء القبائل والسلطين يحكمون قبائلهم المنقبة الولاء وان بعضها تتبع للسلطان وبعضها الآخر لم تفعل. ومن أكبر المشاكل التي واجهت السلطان حاجته للجبخانة في وقت كان فيه المد الفرنسي يقترب من الحدود الغربية لسلطنته عام 1914م ابان الحرب العالمية الأولى . وثورة الفكي سنين زعيم التاما في كبايية الذي قاتل السلطان كثيرا لعدة سنوات . وعمله الدؤوب لاختضاع البقارة (معاليا - رزيقات - هبانية ويني هلبة) الذين كثيرا ماكانوا يحتمون بحكام كردفان وخاصة زعيم الرزيقات موسى مادبو كما فعلت قبيلة الزيادة بالرحيل عن دارفور واحتمائها بالكبايش الذين تعدوا على حدوده الشرقية . كما عمل بشتى الطرق لتطويع بعض فروع قبيلة الزغاوة والمسايلت فكانت حروباته كثيرة جداً.

#### حرب الفكي سنين "التاما"

واجهت حكم السلطان علي دينار حروب كثيرة لكن أطولها وأشهرها كانت ثورة الفكي سنين حسين زعيم قبيلة التاما في كباكية 1900 والتي كانت ثورة دينية قوية . وكان الفكي سنين يمثل آخر معقل للمهداية في دارفور ، كما كان أنصارياً متشدداً حارب مع محمود ود احمد الذي ترك له 155 بندقية عند رجوعه الى ام درمان لنجدة الخليفة عبد الله . فناصر الفكي سنين السلطان علي دينار عداء شديداً وجاهر بتحديه له واستعداده لمنزلته شخصياً. فما كان من السلطان إلا ان ارسل جيشاً بقيادة كيران (وهو فارس من الرزيقات وهو الذي قتل قتل ابراهيم علي من قبل) لمحاربة الفكي سنين ولكن الاخير هزمه شر هزيمة.

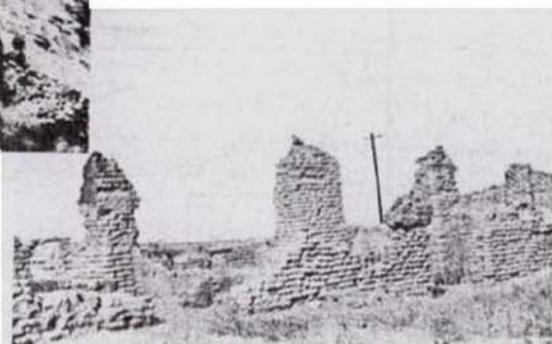
وغزت جيوس السلطان ديم الفكي سنين ثلاث مرات خلال العام 1901 الى 1903 لكن جيش التاما الباسل القليل العدد الجيد الاعداد كان دائماً يوقع الهزائم بجيش السلطان ويرده على أعقابه . وذاع صيت الفكي سنين في كل أنحاء دارفور إذ كان يهاجم عدوه في وضح النهار حيث كان يتقدم جيشه راكبا جواده ، وبجواره زوجته (قمره) على ظهر بعير بداخل ثبورية . ونحاساته محمولة على الجمال وهي تضرب ، ويحيط به جيشه المكون اكثره من المشاة بحرابهم وينادقهم في نصف دائرة وفي شكل هلال . وكان يبلغ عدوه بوقت هجومه النهاري لكي يستعد لملاقاته ، دلالة على شجاعته وانفته في عدم مباغاة خصمه ويكبر "الله اكبر والله الحمد" وعرف عنه عدم قتله للنساء والاطفال.

في سنة 1908 حشد علي دينار قوة كبيرة بقيادة آدم رجال (الذي هو شقيق قمره زوجة الفكي سنين)! ويساعده محمود الداينقاوي وحاصروا الفكي سنين في ديمه الحصين المحاط بالاشجار والاشواك والذي يصعب اختراقه لانهم رأوا عدم امكانية هزيمته بالمجابهة . فاتبعوا معه سياسة الحصار والتجويع لمدة عام كامل والفكي سنين يرفض الإستسلام . والجدير بالذكر انه كان ضمن جيش السلطان - الذي يتكون من عدة قبائل في دارفور - جموع من زغاوة الكوبي على رأسهم دوسة بن السلطان فرتي الذي حارب ثلاث سنين متتالية وفيها قتلت زوجاته برصاصات طائشة.

وفي سنة 1909م رأى آدم رجال عدم جدوى الحصار والانتظار والسلطان في الفاشر يتحرق شوقاً لسماع الأنباء التي تسره بعد أن نفذ صبره . فشن هجوماً قويا على ديم الفكي سنين فاخترق حصان حسب الله مامي - من زغاوة الكويي - الشوك فاتحاً بذلك مدخلا الى الدير حيث قتلوا الفكي سنين بعد مقاومة شديدة من رجاله الذين أتروا الموت على البقاء . وحُملَ جثمانه الى الفاشر حيث ارسل السلطان علي دينار رأس الفكي سنين ورايته الى سلاطين باشا في الخرطوم . اما بقية جثمانه فقد دفن في الفاشر جوار مكاتب رئاسة التربية والتعليم الحالية.



(اطلال قصر السلطان شاو  
دور رشيد في عين فرح )



(آثار جامع شوبا في كيبكيبية)

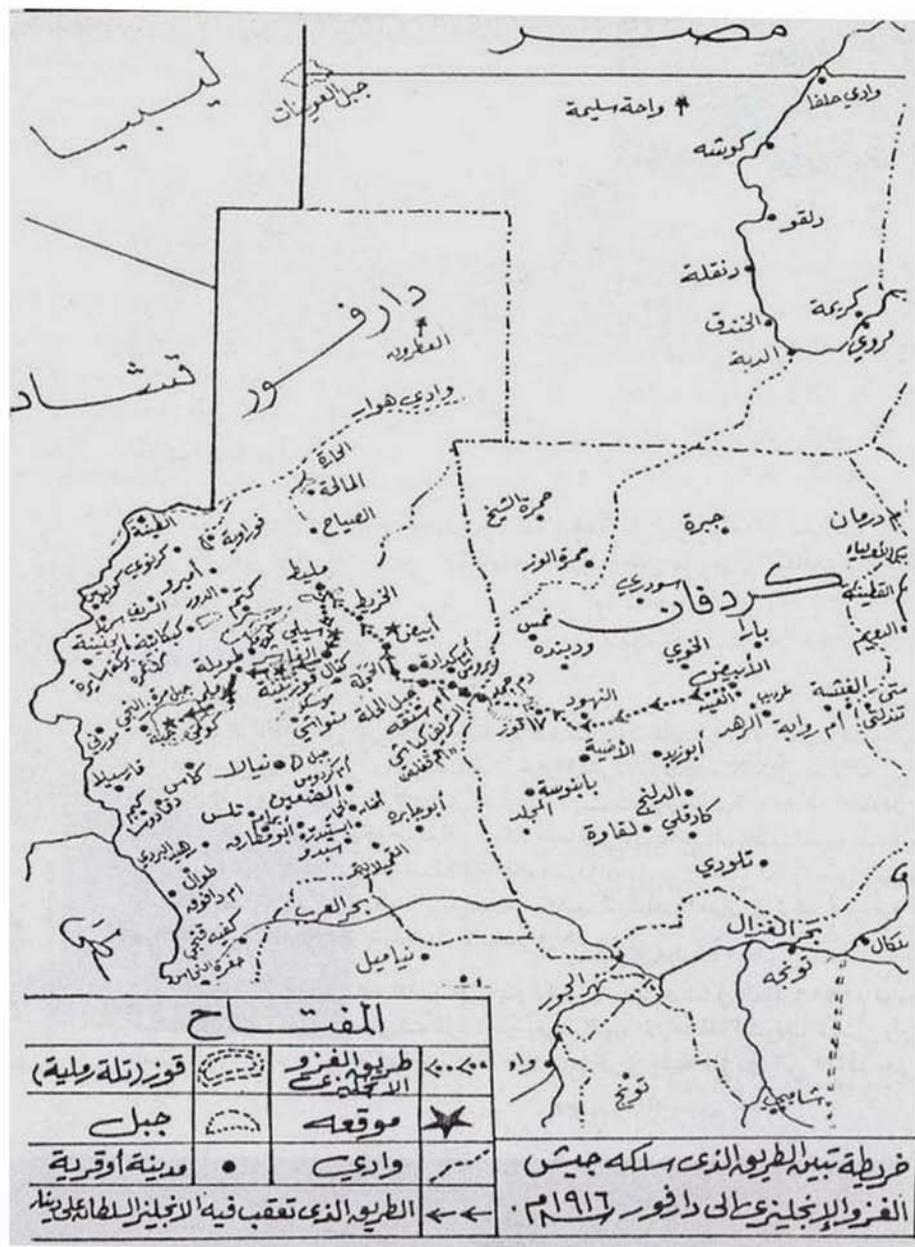
### حرب المساليت:

دخل جيش علي دينار في حرب جديدة ، هذه المرة في جبهة دار المساليت ، الا ان السلطان تاج الدين تمكن من الحاق الهزيمة به . وانتقاماً لهذه الهزيمة قتل علي دينار السلطان أبكر إسماعيل عبد النبي 1888-1905م شقيق السلطان تاج الدين . إسماعيل عبد النبي 1905-1910م.

### حربه ضد الإنجليز :

كان السلطان علي دينار على علاقة طيبة مع سلاطين باشا المفتش العام لحكومة السودان ، وهو تمساوي سبق ان عمل في دارفور . وذكر للسلطان مرارا في مراسلاتهما ان الفضل يعود اليه في اعادته الى دارفور ولحكم آبائه . وكان علي دينار التقاه في ام درمان حيث كانا فيما يشبه الاعتقال التحفظي بأمر من الخليفة عبد الله التعايشي ، فدخل الرجلان في هدنة غير معلنة حينما على أن يدفع السلطان الجزية السنوية الى الحكومة في الخرطوم. وبالمقابل يتمتع باستقلالية حكمه دون تدخل من احد . لكنه احس فيما بعد ان دفع لمسلم الجزية للنصراني لايجوز مطلقا . لذلك بدأ يكاتب السلطان العثماني في تركيا يخبره فيه استعداداه للزحف شرقا للجهاد المقدس ومحاربة حكومة الانجليز في السودان.

لما احس سلاطين باشا باتصالات علي دينار الخارجية جهز جيشا في العام 1916م قوامه 3 آلاف جندي بقيادة كلي باشا . فسلك طريقه غربا مارا بغرب النهود الى منطقة الشرف كباشي وأم شنقة ف جبل حلة وأبيض ثم الحجرة غربي ام كدادة ، وبعد ذلك تبع طريق مليط المؤدي الى الفاشر حتى منطقة سيلبي.



(خريطة لطريق القرو الانجليزي لدارفور)

## موقعة سيلبي:

وفي اليوم الثاني والعشرين من مايو 1916 طفت طائرتان للانجليز فوق الفاشر للاستكشاف والقاء المنشورات تحت على الاستسلام . وتجمعت لدى السلطان الاخبار بواسطة عيونہ بان " الترك جو في سيلبي" فقرر أن ينقل المعركة بعيدا عن الفاشر بعد ان تباحث مع قاداته.

خرج جيشه الذي يتكون من الفرسان الخيالة والمشاة ويقوده أربعة من كبار قاداته وعلى رأسهم رمضان علي "بُراء" . وشتوا هجوما قويا على جيش العقيد كلي وهارولد ماكمايكل والمعاون الميجر هيلستون. وفي النقعة الواسعة المسمى سيلبي التقى الجمعان فاستبسل جيش السلطان بلاء حسنا . سقط في المعركة اكثر من 400 جندي بين قتيل وجريح ، في معركة غير متكافئة حيث عمل السلاح الأبيض والبنادق مثل الرمنتون والكرميل وابو ستة وابو لفتة واخرى صنعت مطيا ، مقابل المدافع والمكاسيم والبنادق الآلية الحديثة ن فصدتهم حصدا وهم يتدافعون نحو المدافع بشجاعة وحماس منقطع النظر . وانجلى الموقف بهزيمة جيش السلطان وسقط قائده الشجاع رمضان بُراء ونائبه سليمان ود علي المعروف بولائه الشديد للسلطان . أما كبير مستشاريه محمود الدانقاوي فقد وضعه السلطان في الحبس لعدم تمكنه من إيقاف زحف الجيش الغازي في بدايته . ولما سقطت الفاشر سرحه الانجليز مع آخرين من حبسهم.



(صورة جامع السلطان علي دينار في الفاشر)

### موقعة جبّة:

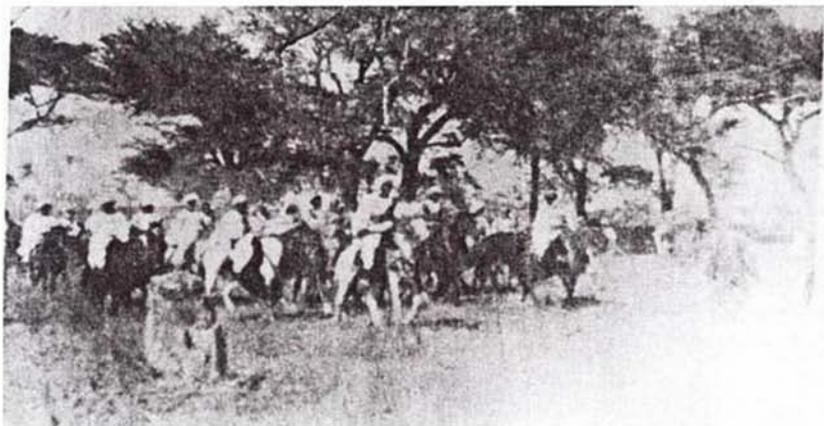
غادر السلطان علي دينار الفاشر بايعاز من مستشاريه وممن نجا من رجاله في معركة سيلبي . ففصد جبل مرة الحصين للاحتماء فيه وتنظيم جيوشه لمواجهة الانجليز . وكان معه كثير من اولاده من ضمنهم زكريا وعثمان وعباس كما خرج معه الكثيرون وقلوبهم شتى حيث خنله بعضهم الذين تظاهروا بالخروج معه ولم يفعلوا كما قفل بعضهم راجعا خلصة عند وصوله قوزبينه ونهبوا بيته وقصره.

يقول بعض الرواة ان السلطان عدل عن رأيه في الذهاب الى جبل مرة وحاول الرجوع الى الفاشر للمقاومة من هناك غير أن بعض خصومه من قادة جيشه حالوا دون

ذلك وامطروه بوابل من الرصاص ، فتابع سيره على مضض نحو جبل مرة . وعلى أية حال فإن موقف السلطان تازم في قوزيينة حيث قصفتهم احدى طائرات الاستكشاف على حين غرة فنكونت سحائب من الدخان وفرزت الدواب ومات كثير من رجاله وهرب آخرون . فتابع السلطان سيره ويات ليلته في وادي "طويلة بالقرب من الآبار" . ولما وصل ركبه الى "ملم" أشار الى بعض خلسائه الذين لم يحنثوا بيمينهم بالعودة الى أهليهم . وكان السلطان دوسة عبد الرحمن فرتي من زغاوة الكوي و"راس مية" في جيشه ممن اشار اليهم بذلك .

وصل السلطان على دينار ورجاله جبل مرة ونزلوا في وادي جبة المجاور لمنطقة كولمي ، في حين عسكر جنود هدلستون - وكان يسمى المرفعين ابو حجل - ومكمايكل في موقع ليس ببعيد ، آتين اليه عن طريق كبايية . وحدث ان خان السلطان بعض رجاله الذين افشوا لهدلستون اسراره وتكتيكه .

ففي فجر يوم الاثنين 1916/11/6 لم الموافق 1336هـ كان السلطان ورجاله يؤدون صلاة الصبح حين اطلق عليهم النار وانفضوا منها وتفرقوا اصابع سبا ، وأردى السلطان قتيلا فسقط من حصانه وقتل معه أخلص اتباعه . ويمقتله ضمت دارفور الى عموم السودان بعد صمود لم يشهد التاريخ الحديث له مثيلا اذ ظلت 18 سنة مستقلة عن حكم الاستعمار .



(صورة رجال السلطان القتيل يتجهون نحو موقع مصرعه في جبة يتقدمهم صهره حسن سبيل راجلا)

## أسباب الهزيمة:

كان من أبرز أسباب هزيمة جيش السلطان علي دينار عدم تماسك الجبهة الداخلية إذ كان الشعور بعدم الرضا الناتج من القهر و الظلم والحسم السريع بالقصاص بأخص قواده مثل آدم رجال وسالم ابوحوة وخلافهما كان سائدا . وان الجيش كان مكونا من قبائل عديدة ، وفي نفس الوقت غير متجانسة ومتنافرة . ومن بقي من القواد يُكْرَهُون على أداء قسم الولاء والبقاء في حوش السلطان لمدة طويلة دون تمكنهم من الرجوع الى زويهم مع مراقبتهم الدائمة لهم علما بأن معظم قادة جيشه من زعماء العشائر او ابنائهم (اولاد ملوك وسلاطين) الذين يرون انهم ليسوا اقل شأنًا من السلطان نفسه احيانا.

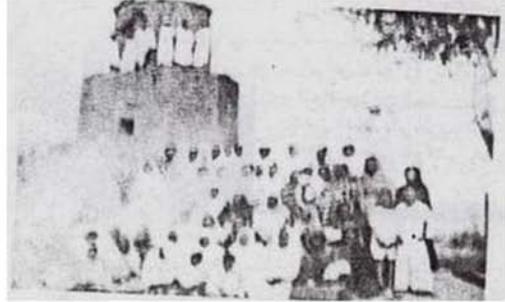
## الفصل السابع :

### دخول الإدارة الأهلية في دارفور.

في معرض حديثنا عن دخول الإدارة الاهلية في دارفور يجدر بنا ان نعرض بايجاز لدخول الادارة الاهلية في السودان والظروف التي أدت الى تطبيقها . فالمنتبع لتاريخ السودان يجد الاحداث تسارعت في كل من السودان ومصر عقب مقتل السير لي استاك حاكم عام السودان في القاهرة في 19 نوفمبر 1924 مما حدى بالانجليز بتقليص النفوذ المصري في ادارة السودان توطئة لإنهاء الإزواجية فيها لكن الأمور تتفاقم أكثر بقيام ثورة 1924 بقيادة الضباط السودانيين من اعضاء جمعية اللواء الأبيض ويزعامة علي عبد اللطيف وعبد الفضيل الماظ ورفاقهما ، والتي اعقبتها سياسة القمع والارهاب وخطط الانجليز في انخال الادارة الاهلية في السودان في تلك السنة . وهي نظام يعتمد اساسا على زعماء العشائر المحليين في المساعدة على إدارة هذا البلد المتزلمي الاطراف.

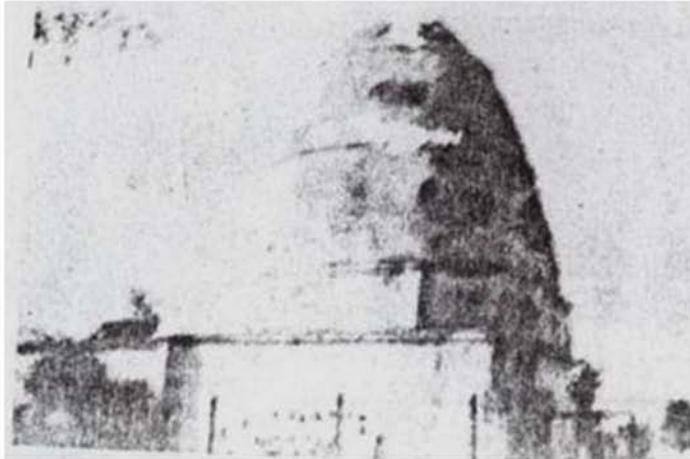
وبدأ السير ريجلند ونجت - الذي جاء بعد كيتشنر - واللورد كرومر في تعيين شباب من الانجليز مأمير وضباطا ومفتشين لتكوين اول نواة للسلك الإداري في السودان

. كما عمل هؤلاء بالاستعانة بزعماء العشائر في تكوين ادارات اهلية تتاط اليها جباية الضرائب والفصل في النزاعات القبلية والنظر في القضايا، وتساعدهم على فرض الامن وتنفيذ سياسة الحكومة بحذافيرها على الطريقة التي تريدها السلطات الانجليزية.



(صورة نادرة تجمع معظم ابناء لسلطان علي دينار)

(صورة تجمع بعضاً من أبناء لسلطان علي دينار وهم  
: الأمير بحر لدين والأمير لتجاني والأمير عب لمطلب والأمير بكر)

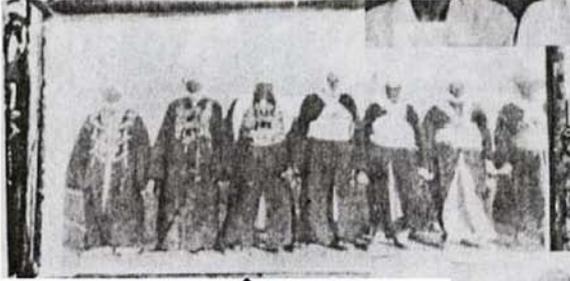


(صورة القبة)

## إدارة الفاشر بعد مقتل السلطان

بعد مقتل السلطان علي دينار في نوفمبر 1916 ودخول الانجليز انتفت سلطنة الفور فصار الحكم مجزأً بين القبائل وانحسر جزء منه في الفاشر . فعمد الانجليز على طمس حكم الفور نهائياً باسناد الادارة الجديدة لشخص من غير اسرة السلطان القليل او من قبيلة الفور ايضاً لذلك عين المستر كلي قائد جيش الغزو محمود الدانقاوي ملكاً على مدينة الفاشر وضواحيها . وقسم بقية دارفور الى خمسة مراكز بدلا عن المقدمات التي كانت معمولة بها في عهد السلطان علي دينار وهي مركز شمال دارفور ( و عاصمته كتم) وشرق دارفور (ا و عاصمته أم كدادة) وجنوب دارفور ( و عاصمته زالنجي) ودار مساليت ( و عاصمته الجنينة) وجعل لكل مركز مفتشاً انجليزياً ماعدا دار مساليت - لانها منطقة حدودية فكان يدير شئونها معتمد كما كان الحال في شرق السودان (بورتسودان) وحلفا بشمال السودان . اما مركز الفاشر فكان يدير شئونه مفتش الرئاسة .

(الجالسون من اليمين السلطان عبد الرحمن  
بحر الدين (دار المساليت) - الناظر بابو نمر (المسيرية)  
عثمان اسحق آدم (نائب برلماني سابق من كتم)  
الواقفون من اليمين: علي نمر علي جلا (شقيق الناظر  
بابو نمر) - الملك رحمة الله محمود (الفاشر) - حسن تاج  
الدين (نائب برلماني سابق من الجنيبة).



(صورة تجمع بين العديد من زعماء العشائر  
في دارفور وهم يتزويون بكساويي الشرف  
والسيوف الميري)

هذه الصورة اخذت لبعض زعماء الإدارة الاهلية في  
شمال دارفور 1932م من اليمين لليسار

1. المقدم يوسف محمد شريف كتم
2. الملك محمد بن آدم صبي (أميرو)
3. الشرتاي آدم تميم (مليط)
4. السلطان دوسة عبد الرحمن (الطينة)
5. الشرتاي الطيب صالح (كرونوي)
6. الملك عبد الرحمن حسب النبي (حمرة)
7. الملك محمد نور (هشابة)



وكان لاختيار الادارة البريطانية لمحمود الدادنقاوي ملكا على الفاشر اسباب وهي  
انه كان مقرباً من السلطان علي دينار وله معرفة تامة بشؤون البلاد كان قائدا ومستشارا  
للسلطان كما كان الحال بالنسبة لاسلافه مع سلاطين الفور قبل علي دينار. وتجدر  
الاشارة الى أن محمود الدادنقاوي كان رهن الاعتقال من قبل السلطان علي دينار في  
آخر أيامه لأن الأخير اتهمه بالقصور في صد الهجوم الذي شنّه ونجت باشا على  
الفاشر .

آلت ادارة مدينة الفاشر وضواحيها الى امرة الدادنقاوي واستمرت فترة حكمه من  
سنة 1916 الى 1922 ف خلفه اخوه ( من ابيه ) الفكي صالح الذي عرف بالعمدة صالح

. وبوفاته عام 1940 عين محمد محمود ملكا غير أنه توفي في الحجاز عام 1944 ليتولى اخوه رحمة الله محمود الحكم من بعده في نفس العام ويعتبر من أطول ملوك الدانقا حكما حيث امتدت فترة حكمه زهاء ربع قرن من الزمان حتى صفت الإدارة الاهليه في مايو 1969 بواسطة حكومة مايو العسكرية برئاسة محمد جعفر النميري.



(الملك رحمة الله محمود)



(نماذج براءات كساوي الشرف)



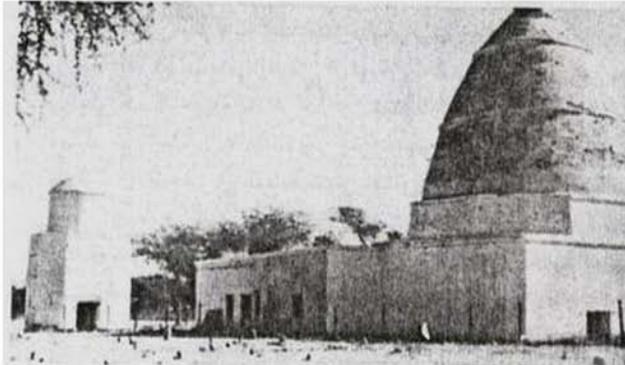
### حدود ادارة الفاشر وضواحيها:

تمتد إدارة الفاشر وضواحيها الى حدود كبايية وزالنجي وشرق جبل مرة غربا ، وحدود نيالا عند وادي موسكو جنوبا وحدود ام كدادة شرقا ، وحدود دار البرتي في مليط وحدود كتم شمالا.

ان حديثنا عن ادارة مدينة الفاشر وضواحيها لا يكتمل دون اعطاء نبذة عن الفاشر في عجاله، وذلك لأنها كانت الحاضرة التي شهدت كل الأحداث الهامة عبر التاريخ و كانت مهد حضارة سلطنة دارفور في عهدها المتعاقبة عوضاً على انها ظلت عاصمة لمديرية دارفور ثم لإقليم دارفور في السنين الأخيرة.

### الفاشر:

تكنى الفاشر بأبي زكريا اشارة الى السلطان علي دينار وابنه الاكبر زكريا وكانت مدينة الفاشر في الماضي تتكون من أحياء قديمة حافظت على اسمائها وهي:



(قبّة زكريا علي دينار في لفاشر)

برنجية - خير خنفا - مكركا - زنفو - القبة - الحملة او الرديف Royal Defence Forces (R.D.F) إشارة للجيش البريطاني الذي كان يتخذ من هذا الحي تكنات له - أولاد الريف - حلة تاما - حجر قنو - حلة دادينقا . أما من الناحية الإدارية فقد كانت الفاشر مقسمة الى ثمانية أقسام ويطلق على كل منها "ربع" . وكان لكل ربع شيخ ، وهو المسئول أمام الملك . وفي السنين الاخيرة بمجت هذه الأرباع الثمانية لتصبح أربعة أرباع وليست ثمانية أرباع!!! ولكن يبدو ان الخطأ الشائع خير من صواب غير مألوف ، إذ ظل سكان الفاشر يعملون بالتسميات القديمة والارباع الثمانية !! ونلاحظ مما سبق أن كلمة الحي الحديثة احتلت مكان الحلة التي كانت تستخدم حتى لوقت قريب .

واتسعت رقعة مدينة الفاشر مؤخرا وشملت أحياء أخرى مثل : حلة فيزان - حلة التجانية - حلة الزيادة - حلة كفوت - حلة شوبا - حلة الهوارة - حلة الجوامعة - حلة الواحية - حلة الطريفية - حلة الميدوب - حلة الأسرة - حلة النكارير - الكرانك - الخمسة بيوت - اربعطاشر بيت - حلة الوكالة - حلة المعهد - حي القاضي - حي المصنع - حي الوحدة - حي الأميرية - حي الكمانن - التيمانان - خورسيال - ديم سلك - الربع الخامس - شالا الثورة شمال - الثورة جنوب - اشلاق البوليس - اشلاق الجيش - زقلونا - دبة الشجيرة - المواشي - حلة أبوشوك - حي الشانوي - حي معهد التربية - المدفعية - حي الامتداد - حلة الشرفة .



## دور قبيلة المساليت في محافظة على أرض و حدود لسودان

بدون أي شك، هناك أهمية قصوى للحدود الإقليمية في القانون الدولي وفي العلاقات الدولية، و في هذه العجالة يمكننا القول إن فضل الحفاظ على حدود السودان الغربية - بعد الله سبحانه و تعالى - يرجع إلى الدور المتعاطف لقبيلتي المساليت و الزغوة في نضالهما ضد الغزو الفرتسي الإستعماري الذي كان يطمع في توسيع دائرة نفوذه و بسط سلطته و ضم أرض السودان إلى الجزء الفرانكوفوني الإفريقي المتاخم في تشاد و إفريقيا الوسطى و خلفها. و ذلك - بلا أدنى شك - سيضع العبء علينا لنفرد حيزاً مقدراً من هذا الكتاب لقبيلة المساليت العريقة و الواسعة الإنتشار و الذائعة الصيت و ذات العلاقة الوطيدة عبر التاريخ بقبيلة الزغوة - موضوع هذا الكتاب "الزغاوة ماض و حاضر". و في هذا الصدد من المهم إعطاء بعض المعلومات الأساسية لهذه المجموعة القبلية - بحجم الشعب - عشيرة المساليت. و بعد هذا القول، إن موضوعاً متعلقاً بقبيلة المساليت سوف يحتاج حتماً إلى كتب و أسفار لإستيعابه. و مع ذلك، فإن إعطاء وصف موجز للموضوع - من باب جهد المقل - جدير بالإعتبار.



السلطان عبدالرحمن بحر الدين (أدوكا) أمير سلطان دار مساليت (1951-1998م)

## قبيلة المساليت

قبيلة المساليت من كبرى القبائل في السودان و لها إنتشار واسع و تتمتع بإرث جهادي تاريخي أغفل التاريخ والمؤرخون كثيراً من تلك الفصول التاريخية الخالدة التي لعبتها القبيلة عبر هجراتها الطويلة التي دامت قرون قبل أن تستقر في موطنها الحالي بالسودان بدار مساليت في غرب دارفور في العام 1870م وقد استطاعت قبيلة المساليت وبعد معارك طاحنة وطويلة أن تستأثر بمساحة واسعة من الأرض تمتد من الجنينة الى غرب جبل مرة عند منطقة بركة سايرة وشمالاً حتى الحدود مع كتم وحتى وادي قمر غرب ابشي وجنوباً حتى نهاية نولة تشاد. و حدود دار المساليت شاسعة مترامية الأطراف ظلت قبيلة المساليت تحميها وتحافظ عليها الى أن انضمت نهائياً للسودان بموجب "اتفاقية قلاني" التي أتمتها المساليت طوعاً وبمحض إرادتها في عام 1920م. و للمساليت إنتشار واسع في الشريط الممتد من بحيرة تشد غرباً ، إلى حدود السودان مع أثيوبيا شرقاً وبتمركزون في دارمساليت التاريخية في ولاية غرب دارفور الحالية ،. وللمساليت تواجد في شتى أنحاء السودان و لا سيما في ولاية جنوب دارفور في منطقة قريضة تحت قيادة الملك محمد يعقوب نصرالدين وجوغاتة الزرقا تحت قيادة السلطان عبدالرحمن بخيت، وفي جبال النوبة بولاية جنوب كردفان ، ومنطقة الجزيرة بين النيلين ، وفي ولاية القضارف جنوباً وشرقاً ، في قري متصله إلى حدود أثيوبيا .

## سلطنة المساليت

يعتبر السلطان هجام حسب الله ، المؤسس الأول لسلطنة المساليت، في عهد الأتراك ثم انتقلت السلطنة السلطان من هجام حسب الله (1874-1883م)، إلى الفكي إسماعيل عبد النبي (1883- 1888م) الذي نقلها باختياره إلى ابنه السلطان أكبر ، الذي أوصل المملكة الوليدة إلى مكان الصدارة من قريناتها من السلطنات القديمة فخلفه أخوه السلطان تاج الدين إسماعيل عبد النبي(1905- 1910م ) الذي هزم الجيش الفرنسي الغازي في معركتين فاصلتين تاريخيتين (معركة كريندنق ومعركة دروتى لعامي 1910 و 1911م) فتولى بعد استشهاد ابن أخيه السلطان بحرالدين (أدوكة) بن أكبر إسماعيل عبد النبي(1888-1905م) في الحكم الذي عقد اتفاقاً مع الفرنسيين ،أصبحت بموجبه دار مساليت مستقلة تحت حكم سلطاتها . وقد أقر

الإنجليز الذين استعمروا السودان ذلك الاتفاق . فجمعوا لدار مساليت وضعاً خاصاً من الاستقلال والحكم الذاتي ، مما يتيح لهم خيارات ، إقامة دولة مستقلة ، أو الانضمام إلي تشاد ، أو الانضمام إلى السودان . وفأثر المساليت الانضمام إلى السودان و بذلك كان للمساليت الفضل في إضافة أرض غنية ذات مساحتها شاسعة إلى الأراضي دولة السودان . ثم تولى العرش بعد وفاة السلطان بحرالدين أندوكة ابنه السلطان عبد الرحمن بحر الدين أبكر (1951-1998م ) ثم تلاه ابنه السلطان الحالى سعد عبد الرحمن بحر الدين أبكر منذ 1999م حتى الآن. و للمساليت نظام إدارى دقيق يربط القبيلة برباط لا يهمل فيها فرداً واحداً وسط العشيرة بحيث يكون الشكل الإداري هرمياً بادناً بالسلطان و يليه الفرش أو الغد ثم الدمالج ثم الشيوخ ثم الخلفاء. و وفقاً لما أوردها الأستاذ جمال حسن أحمد عن الزعامات القبلية بدارفور عبر القرون يأتي التقسيم الإدارى لدار المساليت التى تشمل فروعاً غير المساليت - قبل تصفية الإدارات الأهلية بواسطة نظام مايو - تحت قيادات الفرش على النحو التالى:

| المنطقة             | الفرشة           |
|---------------------|------------------|
| ( بمنطقة مورنى )    | 1. فرشة المساليت |
| ( بمنطقة مستريه )   | 2. فرشة المسلات  |
| ( بمنطقة سريا )     | 3. فرشة ارينقا   |
| ( بمنطقة ام طجوك )  | 4. فرشة المهادى  |
| ( بمنطقة ابوسروج )  | 5. فرشة اسنتفورى |
| ( بمنطقة تندلتى )   | 6. فرشة مدنفورى  |
| ( بمنطقة كنوبى )    | 7. فرشة قرقه     |
| ( بمنطقة فروبرنقا ) | 8. فرشة سيينار   |
| ( بمنطقة صليعة )    | 9. فرشة جبل مون  |

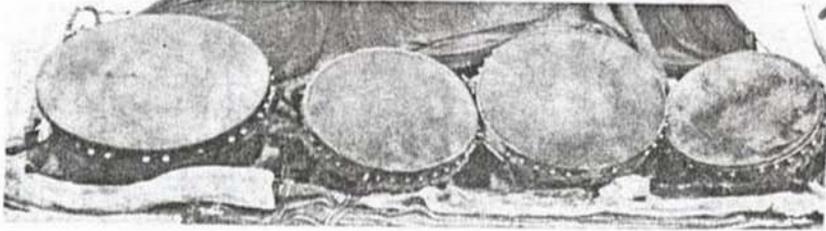
علماً بأن سلطنة دار القمر فى كوليوس و سلطنة زغاوة الكيفا فرع السودان فى تنضباى كانتا تابعيتين لإدارة دار المساليت حتى تم إلغاء ذلك بعد الإستقلال.

و تجدر الإشارة إلى أن الإدارة الإنجليزية قد تجنبت أن يكون لها وجود ملحوظ داخل مدينة الجنيّة - على وادي كجا - التي أصبحت العاصمة الجديدة لدار المساليت و لها وضع خاص - بدلاً من العاصمة القديمة في درجّيل كما أسسوا في عام 1919 حاميتهم العسكرية عند منطقة كرينك شرق الجنيّة ، و في عام 1921م - و بعد موافقة السلطان بحر الدين أكبر إسماعيل - انتقلت الإدارة الإنجليزية إلى منطقة "أرمتا" بشمال شرق مدينة الجنيّة فظلت تلك القاعدة حتى جلاء الجيش البريطاني، لتكون مدينة الجنيّة "الجنيّة بلد و لا دار مسكين" في يد السلطان بحرالدين أندوكة سلطان عموم دار المساليت تنفادها الإدارة البريطانية التدخل في شأنها، كنوع من الحكم الذاتي.

### نحول الادارة الاهلية في دار الزغاوة

نشأ النظام القبلي في دار الزغاوة منذ القدم ونما بطريقة فطرية حيث كان لكل فرع من فروعها زعيم عشيرة يسيس أمور إدارته بالعرف والموروث. وكان أفراد القبيلة يحتكمون إليه في النزاعات ويستشيرونه في الملمات الكبيرة . وفي الجانب الآخر يصدر رئيس القبيلة توجيهاته الى مواطنيه في قراهم من وقت لآخر عن طريق مناديه من الملتزمين واهل مشورته من عطية القوم . وكان من سلطاته تغريم الجاني وحبسه لمدة يقرها ثم اطلاق سراحه متى شاء . وكان يتوجب على المواطنين دفع العشور والزكاوات . وكان من واجباته حفظ النظام في حدود منطقتة والتصدي لاعداء القبيلة ومحاربتهم او التفاوض معهم حسب ما تقتضيه الظروف. ولكن في اغلب الاحيان كانت الممالك الكبيرة تتوسع على حساب القبائل المجاورة وتحتويها وتفرض هيمنتها عليها وتلزمها بالاذعان لتسلم بطشها وسلبها . وعادة ماتفرض عليها إتاوة مالية في شكل ماشية تدفع سنويا للمملكة المعنية.

وفي عهد سلطنة الفور الثانية (1899-1916) كان زعماء عشائر فروع الزغاوة يتبعون إداريا لمقدم الشمال الذي كان مسئولاً عنهم امام سلطان دارفور . وكان المقدم يجتمع بهم مرة في العام في قرية فتابرنو قبل ان تنتقل منها إلى كتم بشمال دارفور في ماكان يعرف بالزفة<sup>2</sup> حيث ياتي اليه زعيم كل قبيلة بفرسانه على الجياد والجمال في ازهى وابهى استعراض للقوة . وفي نهاية العرضة يعقد المقدم لقاء معه ويحملهم توجيهات السلطان وأوامره فيعودون بعدئذ الى اوطانهم.



(لنحاس رمز لحكم ولسلطة لدى لزغاوة)

وعندما استحدثت الانجليز نظام الحكم غير المباشر في السودان 1924 عن طريق الحكومات المحلية وجدوا ان النظام القبلي في منطقة دار الزغاوة متطورا ومؤسسا . وكل ما فعلوه هو ان اضعوا عليه الشرعية من جانبهم بتطبيق قانون المحاكم الاهلية لعام 1932 ودعوه ببعض المناصب في هيكل وظيفي بسيط ، اذ اصبح في كل ادارة محكمة اهلية من الدرجة الثالثة يرأسها زعيم القبيلة . يناط اليه فض المنازعات والفصل في القضايا الصغيرة . أما القضايا الجنائية الكبرى فتحول الى مفتش المركز في كتم ليفصل فيها . كما عين في كل محكمة كاتب واعضاء محكمة ومجموعة من الكوادر عرفوا بالخبراء لحفظ النظام والقبض على الجناة والمتهمين وحراسة المحبوسين . و لأول مرة فرضت ضريبة القطعان والدقنية فأصبح من سلطات الإدارة الاهلية الجديدة تقدير تلك الضرائب والعوائد وتحصيل الإيرادات وارسالها الى الرئاسة في كتم . وتم ادخال وظيفة مندوب في ادارة و اوكل اليه القيام بجمع الضرائب والايادات من افراد القبيلة الذين يقطنون في مناطق خارج نطاق سلطة زعيم عشيرتهم . وبذلك أصبح في كل من

(2) كلت الزفة في شمال دارفور تعام في منطقة فتابرنو حتى سنة 1955م. بعدها صارت تعام في كتم عند انتقال المقدم يوسف الهابند الاستقلال عام 1956.

ام حراز وامبرو ومزيد وكرنوي والدور والطينة وانكا محكمة اهلية رئيسها وقاضيتها زعيم  
العشيرة . الا انه في بعض الاحيان يعين شخص آخر ينوب عنه ويقوم بمهام القاضي  
في الاحوال الشخصية . ولما طرأ توسع في نظام الحكومات المحلية أنشئت وظيفة  
مساعد ضابط اداري لكل مجموعة قبلية في حاضرة من حواضرها فكان ان اتخذ من  
أمبرو مقراً له وذلك لوقوعها في وسط دار الزغاوة . وقد روعي في تعيين مساعد  
الضابط الاداري ان يكون من ابنائها . ولذلك كان اختيار حسين دوسة من ابناء الزغاوة  
متماشياً مع تلك السياسة . واستمرت الإدارة الاهلية في دار الزغاوة على هذا المنوال  
حتى صفيت في مايو 1969م.

## الفصل الثامن

### حركات الرفض في دارفور ودور الزغاوة فيها

ظل دور الزغاوة من الحركات المناهضة لصور الظلم والاستبداد في الحكم على  
النطاق الاقليمي والقومي بارزا رغم محاولة الإستعمار عزل منطقة الزغاوة عن بقية  
مناطق دارفور بتطبيق سياسة المناطق المقفولة وصولا الى تحييدها وابعادها عن مسرح  
الاحداث وابقتها في بوتقة معتمة حيال ماكانت تدور من حركات وطنية .

ان فكرة محاولة عزل دار الزغاوة عن مراكز صنع الاحداث عند المستعمر نبعت  
مما تكونت لديه من قناعة خلال تجربته مع سكان المنطقة بانهم أناس صعبو المراس  
وقويو الشكيمة وتغلب عليهم حدة الطبع . وكثيرا ما فطنوا على حقوقهم (حقانيين) علاوة  
على طموحهم المضطرد نحو التعبير مع الإحفاظ على تقاليدهم الأمر الذي يجعل  
اختلاطهم لعناصر اخرى سرعان ما يولد فيهم روح الثورة وعدم الانقياد للسلطة . وتشهد  
على هذا القول التقارير التي كتبها المفتشون البريطانيون الذين تعاقبوا على مركز شمال  
دارفور و عاصمته مدينة كتم أمثال مور و تشارلس وغيرهما .

وجد ان الزغاوة قد فطنوا الى ماكان مدير لهم من مكر ، فعمدوا الى أساليب  
وحيل لكسر الطوق ، وكانت تجارة المواشي اكثرها فاعلية حيث اصبح من الممكن للفرد  
السفر خارج دار الزغاوة والاحتكاك بغيره من مواطني دارفور من أهل الحضر في

الفاشر ونيالا والجينية . ثم تعدت اسفارهم مديرية دارفور فشملت الأبيض وأم درمان ومصر التي كانت الأسواق الرئيسية في تلك الأيام . ونرى ان الاتجار بالماشية كانت بمثابة تأشيرة الخروج من الحدود الوهمية التي رسمها المستعمر وحرّم اجتيازها . ولازم رواج هذه التجارة تنامي الوعي عند افراد الزغاوة ودبت في اوساطهم الرغبة في التعليم ، فأوفدوا أبنائهم الى مصر منتظمين في رواق دارفور في الأزهر الشريف . وكان الزغاوة خلال عملهم هذا بتفادون المرور بكتف مقر الادارة البريطانية التي قننت السياسة المشار إليها آنفاً . وكانوا يسافرون سالكين درب الاربعين الى كل من ام درمان ومصر . هذا بالإضافة الى سفرهم الى بلاد المغرب العربي في شمال افريقيا عن طريق العطرون والعيونات وواحة الكفرة وبذلك غنموا ثمرات الاسفار كما ذكرها الامام ابي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي:

تغرب عن الاوطان في طلب العلا      وسافر ففي الأسفار خمس فوائد  
تفرّج همّ واكتساب معيشةٍ      وعلّم وأدب وصحبة ماجدٍ

فاكتسبوا معرفة بالبلاد وعادات أهلها .

كما خبروا عن حركات التحرر فيها . والطبقة التي حظيت بالتعليم احست بالروح القومية وتشبعت بحب الوطن وكراهية المستعمر واستوعبت اهداف مؤتمر الخريجين . اما في النطاق القومي السوداني نعلم ان كثيرين من افراد قبيلة الزغاوة قد انخرطوا في صفوف المهديّة وعملوا كملّزمين وانصار محاربين وشهدوا حصار الخرطوم وقتل غوردون كذلك شيكان وكرري وام دبيكرات ومنهم من استشهد فيها ومن بقي منهم سحب ركب علي دينار الى دار فور واصبح "رأس مائة" فيما بعد وحارب الانجليز في موقعة سيلبي برنجية و ضمن جيش السلطان كما شهدوا واقعة جبة . ويمرور الزمن تنوعت اساليب التجارة عند الزغاوة بجانب الاتجار بالماشية فأثر بعضهم الاستقرار في المدن واتّباع سبل العيش السائدة عند اهل الحضر . وكانت

الفاشر اكثر المدن اجتذابا لهم الا ان ظاهرة انتشارهم توسعت سريعا ومتزامنة مع طفرة الوعي السياسي والاقتصادي .

وكان إنخراط ابنائهم في التعليم النظامي عاملا هاما في ذلك . اما التحول الاجتماعي والاقتصادي السريع الذي لازم التغيرات البيئية في منطقة الزغاوة في العقد الأخير من هذا القرن واضح للعيان

### موقف الزغاوة من حركتي أبو حمزة والسحيني

تفاعل بعض دارسي القرآن (الحيران) من أبناء الزغاوة مع حركة الفكي ابو حمزة بدار تاما في كبايية المتاخمة لدار الزغاوة لما احسوا بعدالة ثورته ضد ماكان يقوم به الجهادية من جنود الخليفة عبدالله التعايشي تحت امرة عثمان جانو من قتل للابرياء واستباحة للحرقات وسلب للاموال وحرق للمزارع وانكاء نار الفرقة والشتات بين افراد القبائل دون تمييز . وعلاوة على ما أشيع من ان الخليفة عبد الله في ام درمان قد امر بغلق طريق دارفور المؤدي الى الحج ، فانخرط افراد من قبيلة الزغاوة مع رصفائهم من قبائل البرقو والبرنو والمساليب والتامة والترجم والاستفور وبنى هلبة والقرعان وزغاوة البديات وأيرينقا في صفوف جيش أبي حمزة الذي تمكن من إحراق الهزيمة بعد الأخرى على جند الخليفة بقيادة الأمير محمد بشارة . ومن خلال معاركه هذه اطلق خصومه شائعة مفادها انه ادعى النبوة لتتفير الناس من حوله الا ان اتباعه ظلوا على ولائهم له لعدم تصديقهم للاشاعة ، ولعلمهم بان ماكان ينادي به أبو حمزة يوافق الشرع ، اذ كان يقول بان المسلمين يجب الا يقتلوا اخواتهم المسلمين ظلما . واعتبروا ما يقوم به جيش الخليفة آنذاك في دارفور بغياً وخروجاً على تعاليم الدين الاسلامي الحنيف يستوجب مقاومته .

اما ثورة السحيني في عام 1921 لم يكن اشتراك الزغاوة فيها اشتراكا مباشرا وذلك لبعده مهد الثورة من دار الزغاوة الا اننا لانستبعد انتظام بعض الزغاوة الذين نزحوا الى جنوب دارفور وشرقها واستوطنوا مدينة نيالا وضواحيها مثل قرى ام كدوس وعريدياية

وشعيرية وخلافهما فيها . ونسوق هذا القول انطلاقاً من معرفتنا للوفاق المشبعة لثورة الفكي السحيني من رفض تولى غير المسلمين على مقاليد الحكم في دارفور ودفع الضرائب الباهظة . وكانت مقاومة اساليب المستعمر الانجليزي في بسط سلطته باذلال المواطنين و تعذيبهم و سلبهم أبسط حقوق الإنسان أيضاً من الأسباب المباشرة لإعلان الجهاد و استنفار كل قبائل جنوب دارفور المسلمة لحمل السلاح لنيل إحدى الحسينيين . و على الرغم من أن السلاح الأبيض لم يكن متكافئاً مع السلاح الناري الذى أشهره الإنجليز و أعوانهم على السحيني و اتباعه و مع ما تبع ذلك من إخماد الثورة و إعدام قائدها الروحي فى الثالث من أكتوبر عام 1921 م إلا أن الأثر الذى تركته الثورة ظل عميقاً و صداه بعيداً أيقظ فى النفوس الحمية الوطنية المفعمة بالإيمان النابع من الدين الإسلامى .

### إنتفاضة الفاشر

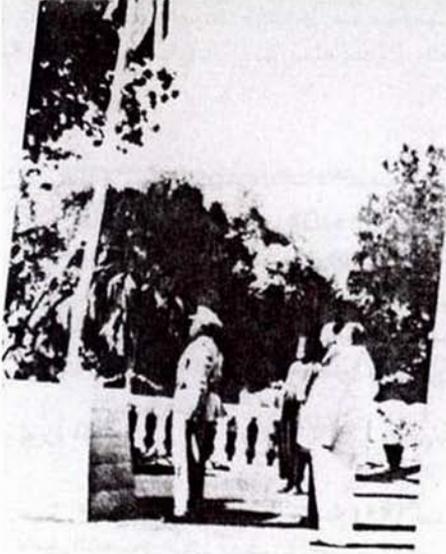
شهدت مدينة الفاشر الكثير من الحركات و الإنتفاضات قبل و بعد الإستقلال و هى ثورات ضد الظلم السياسى و الإجتماعى على مر السنين . فى عام 1953 إجتاحت مدينة الفاشر إنتفاضة كبرى اشترك فيها المواطنون من كل القطاعات . و كانت ثورة شعبية عارمة اشتعلت بفضل الروح الوطنية المطالبة بالإستقلال التى تنامت آنذ فى كل السودان . و كان قادتتها من طلبة دارفور بالأزهر الشريف حيث عاصروا أحداث ثورة يوليو المصرية عام 1952 فعانوا متشبعين بروح الثورة و الحس الوطنى فآثاروا الحماس فى نفوس مواطنى الفاشر عن طريق الندوات و الليالى السياسية المحرصة على مقاومة الحكم الأجنبى بكل الطرق و الوسائل وصولاً إلى نيل الإستقلال الحر الكامل و الإستعداد للتضحية بالنفس و النفيس . و فى هذا الجو المشحون بالوحدة الوطنية و الإيمان بعدالة المقصد خرجت جماهير مدينة الفاشر على اختلاف قبالتها - و منها الزغاوة - و انتمائها الجزبية فى إنتفاضة هادرة جابت شوارع المدينة تتنادى بالويل و

الثبور و عظام الأمور للمستعمر إن لم يغادر البلاد و يترك الأمر لأهلها ليقرروا مصيرها وصولاً إلى السيادة و العيش الحر الكريم.

و التفت الجماهير الغاضبة فى ساحة المديرية فتصدت لها قوة البوليس لكنها لم تستطع إيقاف الجموع الهادرة و قام نفر من شباب مدينة الفاشر - و كان من منهم أبو القاسم حاج محمد و عبدالرحمن محمد حسن طويل و يوسف محمد نور و محمد محمود و صديق محمد بشير و جبريل أحمد موسى - بإنزال العلم البريطانى من ساريتة و إحراقه و سحقه تحت أقدام الجماهير. و هنا تدخل الجيش الإنجليزى و حال دون وصول المتظاهرين لمقر المفتش الذى انسحب خفية و توارى عن الأنظار و اجتمع بأركان إدارته لبحث ما يمكن فعله إزاء ما حدث فقرروا ضرب مدينة الفاشر و "تلجئها" إنتحار المفتش كان برداً و سلاماً على الفاشر و أهلها إذ لم يستطع المفتش تحمل الصدمة التى نتجت عن حرق العلم البريطانى فى سابقة لم يحدث لها مثيل فى تاريخ بريطانيا العظمى تلك الإمبراطورية التى لم تغب عنها الشمس.

و تتابعت الحركات المناهضة للإستعمار البريطانى فى دارفور و كانت معظمها تقع فى المناطق النائية و أخرى تأخذ طابعاً شخصياً محضاً يسهل على الإدارة الإنجليزية قمعها فى حينها بحجة الإخلال بالأمن و تتكتم تلك الإدارة عن أخبارها الأمر الذى تجعل منها و كأنها موهلة فى المطية أو وصفها - زوراً - بأنها حركات عنصرية لها نوايا و للأسف كان بعض أبناء المنطقة من نوى المنافع الذاتية و النفوس الضعيفة قد جعلوا من أنفسهم عوناً للمستعمر و أبواقاً له فأحاطوا حول المسؤولين هالة من القداسة و الطاعة العمياء الأمر الذى جعل أولئك المسؤولين يستغلونهم ضد مواطنيهم ككلاب للحراسة و ضرب بعضهم ببعض.

و انسحب هذا الحال حتى بعد الإستقلال و مجئ الحكومات الوطنية المتعاقبة فتوالت هذه الحركات المناهضة التي خرجت من برائث الإستعمار الأجنبي لتقع فى أحضان إستعمار من نوع آخر - إستعمار داخلى هذه المرة - وطنى فى ظاهره و لكنه إمتداد للسياسة الإستعمارية البغيضة.



تم رفع علم السودان خفاقاً معنأً  
الإستقلال فى 1956/1/1 و بيدو فى  
الصورة السيدان إسماعيل الأزهرى و  
محمد أحمد محجوب

### جبهة نهضة دارفور

#### دواعى قيامها

تنامى عند أهالى دارفور - و لا سيما الفئات المتنفذة - أن حرماناً سياسياً قد لحق بهم فى عهد الحكم الوطنى إذ لم تتورع الأحزاب السياسية بتصدير أشخاص ليسوا مقيمين فى دارفور ليترشحوا كنواب فى الدوائر الإنتخابية المخصصة لمناطق دارفور . وكان هؤلاء نفر من النواب "المصدرين" لا يعلمون شيئاً عن مشاكل و متطلبات المناطق التى ترشحوا فيها الأمر الذى جعل تمثيلهم لها غير حقيقى كما كان فى أغلب الأحيان أن ذلك "النائب" لا يكلف نفسه مجرد الحضور إلى دائرته المزمعة حتى أثناء المعركة

الإنتخابية و الإقتراع لأنه متيقن بأن مجرد "الإشارة" من زعماء الأحزاب الدينيين يجعل الناخبين يصوتون له دون التحقق من هويته.

و حيال هذا الوضع قررت مجموعة من المثقفين و الطلاب من مناطق دارفور المختلفة مقاومة هذا الإستغلال السياسى بتكوين تنظيم سياسى مستقل سمي "جبهة نهضة دارفور" و كان من أهم أهدافها منع عملية تصدير النواب إلى دارفور و توير المواطنين و توعيتهم بضرورة الحرص عند الإدلاء بأصواتهم لمرشحي الأحزاب و ذلك عن طريق التحقق من هوية و مدى إقامة المرشح بالمنطقة التي يريد أن يكون ممثلاً لها. و كانت الأهداف تشمل أيضاً إزام الأحزاب السياسية ترشيح أشخاص يمثلون الدوائر الإنتخابية تمثيلاً حقيقياً يشترط فيهم الإقامة المستديمة في المنطقة. كما ويتطلب من المرشح العمل ببنود ميثاق الجبهة التي تتضمن مطالبة الحزب الذي ينتمي إليه بالموافقة على تنفيذ برنامج جبهة نهضة دارفور الخاص بحل مشاكل المنطقة بغية الرقى بها و تطويرها.

وكان مفترضا من نائب الدائرة المتمسك بميثاق جبهة نهضة دارفور - في حالة عدم قبول حزبه بما ذكر أعلاه - أن يهجر حزبه وينضم الى الحزب الذي يوافق على تنفيذ مطالب دائرته .

كانت جبهة نهضة دارفور مصدر اشعاع و تبصير سياسي قلبت موازين الاحزاب التقليدية وايفظتها من تماديها في الغي والظلم والاستغلال ، ومن ممارسة الاساليب الفاسدة في العمل الديمقراطي . كما كانت جبهة نهضة دارفور عنصرا مؤحّداً وجامعاً للمواطنين في دارفور رغم تباين انتماءاتهم الحزبية وخلافها .

ثورة أكتوبر :

عندما اندلعت ثورة أكتوبر 1964 ضد الحكم العسكري الأول برئاسة الفريق ابراهيم عبود ، دخل الشعب في سائر دارفور في اضراب وعصيان مدني ثم خرجت جماهير الفاشر عن بكرة ابيها في مظاهرات هادرة تهتف مطالبة برحيل العسكر

عن حكم البلاد . فاتجه المتظاهرون إلى رئاسة القيادة الغربية لتسليم خطاب الى الحاكم العسكري لمديرية دارفور في سلسلة بشرية طلائعها في المديرية وأخرها في ميدان النقعة . وما ان وصلوا الى مشارف القيادة حتى فتح عليهم العسكر النار من أسلحتهم الرشاشة فجرح الكثيرون كما قتل بعضهم الآخر .

ولم تتوقف المظاهرات والاحتجاجات بل اشتدت ضراوة حتى أعلن عبود تنحيه وعسكره عن الحكم وتسليمه السلطة للشعب في 21 اكتوبر 1964 .



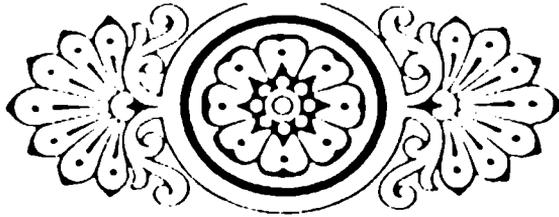
(صورة جزء من سوق حجر فنو في لفاسر ويقع قرب لنقعة لتي شهدت انتفاضات عديدة)

الباب الثاني  
أصل الزغاوة تاريخياً

لفصل الاول : ممالك الزغاوة تاريخياً .

الفصل الثاني : جغرافية دار الزغاوة .

الفصل الثالث : فروع قبيلة الزغاوة .



## الفصل الأول : ممالك الزغاوة وتاريخها

في هذا الفصل نعرض الى فروع قبيلة الزغاوة التسعة ونورخ لها على قدر الامكان فيما يختص بأصولها وتفرعاتها العشائرية وأنظمة الحكم عندها علاوة على حدود إدارتها والقبائل التي تعيش فيها وعمودياتها والمعالم الهامة فيها من قرى وجبال وأودية .

وإدارات الزغاوة "حسب ترتيبها الأبجدي" هي :

- 1- دار الأرتاج
- 2- دار زغاوة البديات
- 3- دار زغاوة التوار
- 4- دار زغاوة اولاد دقيل
- 5- دار زغاوة الفلا
- 6- دار زغاوة الكاينتقا
- 7- دار زغاوة الكجر
- 8- دار زغاوة الكوبي
- 9- دار زغاوة منطفة أنكا (النيقيري)

تشير هنا الى أن الزغاوة يطلقون كلمة بييري على أنفسهم وهي تعني الزغاوة ، ثم يصنفون البييري الى ثلاثة أقسام كبيرة هي :

(أ) ويقي

(ب) توباء

(ت) كوياراء

ويشمل الويقي الفروع التالية : الأرتاج والفلا والتوار والنيفيري وأولاد دقيل والكجر والكايتنفا. أما التوباء فهم البديات ، أما الكوياراء فهم زغاوة الكوبي . وسوف يرد التفصيل عن كل قسم بما فيها ديرونق و قروف إضافة إلى الزغاوة غير الناطقة بلسان الأم البيرياء - في الفصل الثالث من هذا الباب .

مدخل :

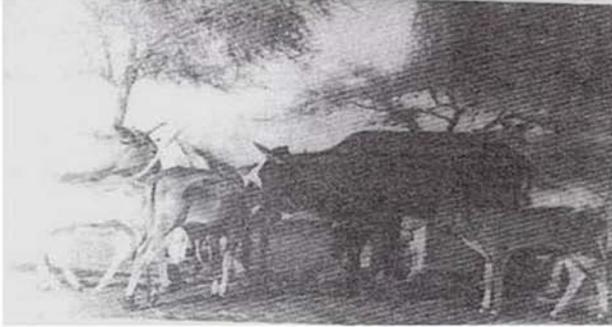
في الباب الأول تعرضنا لتاريخ السودان في عجالة وشيء من التركيز على الجزء الذي له صلة وثيقة بالأحداث التي كان مسرحها دارفور . وكان هدفنا من ذلك إبراز دور قبيلة الزغاوة - موضوع الكتاب - في صنع الحدث أو التأثير به طالما عاشت هذه المنطقة منذ أمد بعيد .

الزغاوة وتقسيماتها :

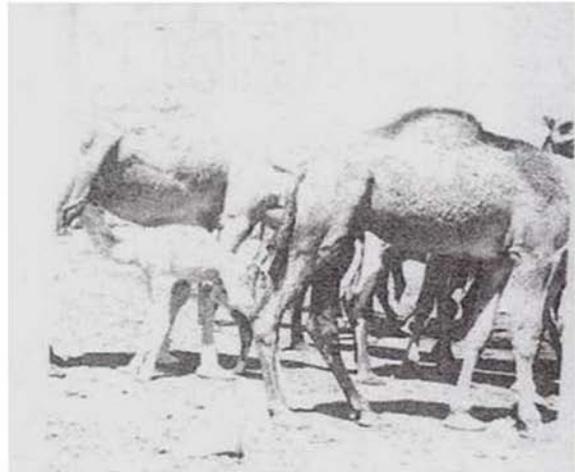
يمكن تقسيم قبيلة الزغاوة أو البييري الى تسعة فروع رئيسية وهي : زغاوة الارتاج-زغاوة البديات-زغاوة التوار- زغاوة اولاد دقيل - زغاوة الفلا - زغاوة الكايتنفا - زغاوة الكجر - زغاوة الكوبي- زغاوة النيفيري. وكل من هذه الفروع تكون مجموعة متكاملة بيطونها وعشائرها وفصائلها . وتتكلم كل فروع قبيلة الزغاوة لغة واحدة هي " البيرياء - Beria" ، وكغيرها من قبائل السودان فإنها تتخذ من اللغة العربية وسيلة للتخاطب على النطاق القومي السوداني .



- 2- إن قبيلة الزغاوة تتحدر من بني ابي زيد الهلالي وسكنت - كما سبق- في جنوب مصر وتابعت هجرتها إلى ليبيا والسودان وتشاد . وذلك قبل أكثر من سبعة قرون .
- 3- في حوالي القرن السابع الميلادي (656هـ) ، عقب الفتنة الكبرى بين بني أمية وبني هاشم هاجرت جماعة محايدة من المسلمين إلى مصر واستقر بهم الحال في منطقة الزقازيق حيناً ، ولما لم تطب لهم الإقامة أثروا الرحيل الى ليبيا واستقر الجزء الأكبر من تلك المجموعة في منطقة واحة الكفرة ، ويقول



(أبقار الزغاوة)



(إبل الزغاوة)

الرواة ان احد زعمائهم أصبح سلطانا عليهم وعرف ب (عبد العزيز ) سلطان الزغاوة في الكفرة ويعتبر الليبيون - بصفة رسمية - ان الزغاوة احدى القبائل الليبية .  
4- هناك قبيلة الزعبي التي تسكن منطقة درعا في سوريا تضع على ابلها نفس اوشام قبيلة الزغاوة يقال إن لها أصولا تلتقي والزغاوة .

مثال لتلك الاوشام التي توضع في الإبل :

(أ) وشم عشيرة الأنفو من زغاوة الكوبي



(ب) وشم زغاوة أولاد دقيل



(ج) وشم قبيلة الزعبي في سوريا

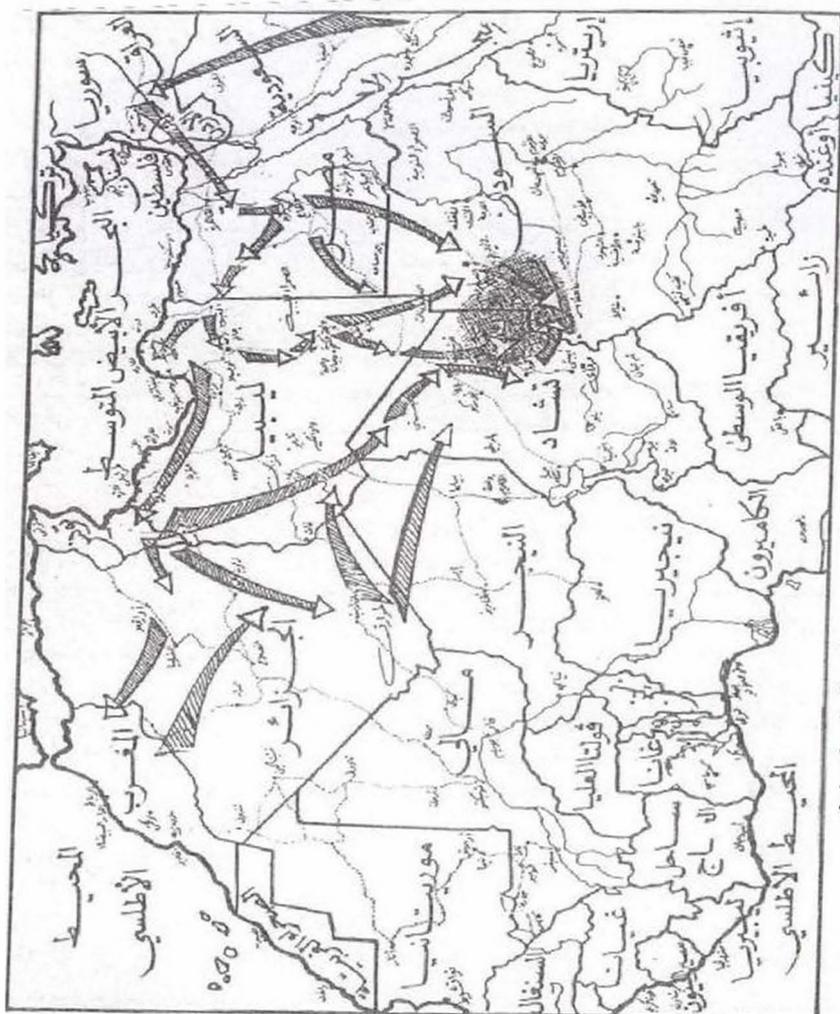


5- توجد قبائل في الجزيرة العربية والخليج العربي تماثل او تقارب قبيلة الزغاوة من حيث تسميتها مثال ذلك قبيلتي الزعبي والزعبي ، كما توجد قبيلة الزعابي و الزغاوى في الكويت.

6- توجد آثار قرب مطار بنينة في بنغازي بليبيا وهي عبارة عن أطلال لمسجد قديم يسمى مسجد القصر الطويل ، رسم على احجارها الضخمة كل أوسام قبيلة الزغاوة كما وجبت هذه الآثار (الأوشام) أيضا في الجبل الأخضر عام 1974م.

7- في مدينة أنطاكية على الحدود التركية السورية توجد قبيلة تسمى الزغاوة يعمل أفرادها في مهنة الحدادة.

مما تقدّم يتضح لنا أن كل الروايات تتفق على أن قبيلة الزغاوة تتحدر من  
 اصول ليبية بصفة خاصة وشمال افريقية بصفة عامة.



\*خريطة رقم (4) تبين هجرات قبيلة الزغاوة.\*

## الفصل الثاني : جغرافية دار الزغاوة

تعد قبيلة من كبرى القبائل في السودان من حيث الانتشار المكاني . وهي من القبائل الحدودية التي لها فروع في كل من تشاد وليبيا والسودان . ففي السودان تتخذ من المنطقة الشمالية الغربية في دارفور موطناً لها ، وهي تقع بين خطي طول 20° و 25 1/2° شرقاً وخطي عرض 13° و 20° شمالاً وتحدها من الغرب جمهورية تشاد ومن الشمال الصحراء الممتدة حتى ليبيا ومصر ، ومن الشرق كتم ومليط ودار الميذوب ومن الجنوب دار القمر في كولبوس ودار مساليت ودار البني حسين في السريف وحتى حدود كباكية .

اما في تشاد فتحدها من الشرق الحدود الغربية للسودان (منطقة زغاوة السودان ) والبرقو (وداي) غرباً في بلتين وابشي ، والقرعان شمالاً في بوركو و فادا (أم شالوبا) وفايا لارجو و فايا . وجنوباً قبيلة التاما في قريضة والداجو في قوزبيضة .

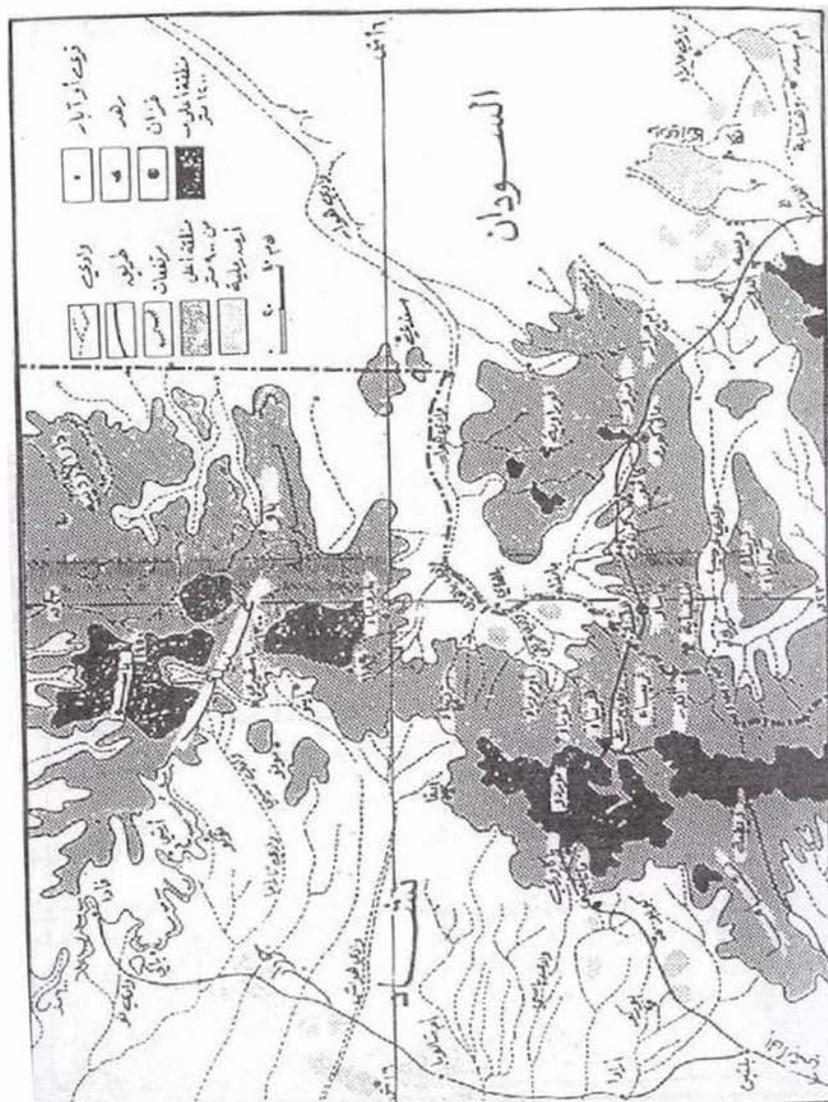
وتقع هذه المنطقة ضمن نطاق المناخ شبه الصحراوي في الجزء الشمالي والسافانا في الأجزاء الوسطى وتتميز بالمناخ المداري . اما في الأجزاء الجنوبية فتطغى عليها عوامل السافانا الغنية (في الزمن الذي نؤرخ له) وتهطل الأمطار فيها في فصل الخريف بين شهري يوليو و اكتوبر وهي ما بين خفيفة الى متوسطة في معدلها السنوي بين 125 ملم و 375 ملم في السنة وان شحت كثيراً في خلال العقد الأخير لموجة الجفاف التي شملت منطقة غرب أفريقيا أو الساحل .

أما الغطاء النباتي السائد في المنطقة فينكون من بعض الأشجار الشوكية مثل السدر والطنضب والسرح والهجليج والهشاب والسيال والطلح والكثر والكداد والحميض والصهب (سيو) . وتتمو الحشائش في موسم الأمطار فتكسو الأرض خضرة لكنها لم تلبث ان تجف بعد انقضاء فصل الخريف . وهذا الغطاء النباتي يكون في مجمله الكلا

للماشية التي تعتمد عليها قبيلة الزغاوة . وتجدر الإشارة بأن هذه المنطقة تنخر بوجود الكثير من الأودية والخيران مثل وادي الطينة ووادي كرنوي ووادي أمبرو و وادي الدور ووادي مزيد ووادي فوروية ووادي تريباء . وهذه الأودية تشكل في مجملها روافد لوادي هوار الذي كان في الماضي رافداً هاماً من روافد نهر النيل ويصب قرب النخيلة . ولكن للعوامل البيئية المتغيرة وما صاحبها من زحف صحراوي أدى الى دفنه ليصبح رافداً تحتياً لنهر النيل . ويطلق الزغاوة اسماً آخر على وادي هوار هو "نيو" نسبة لكثرة الرمال الناعمة فيه .

وفي هذه الأودية (واودية منطقة الزغاوة في تشاد ) توجد أشجار باسقة وكبيرة من الحراز والقرض والعرييب والجميز والحميض . والملاحظ ان كل فروع قبيلة الزغاوة اقامت حواضرها في مثل هذه الأودية لأسباب عدة أهمها وفرة مياه الشرب للإنسان والحيوان كما تعمل هذه الأودية كأحزمة طبيعية واقية .

وإذا تتبعنا تضاريس هذه المنطقة نجد ان السطح فيها يتكون من سهول رملية منبسطة واخرى مرتفعة (تلال او قيزان) وتتخلها المرتفعات الناتئة المتأكلة بفعل التعرية وهي جبال كثيرة نعرض لها عند تحدثنا عن فروع قبيلة الزغاوة .

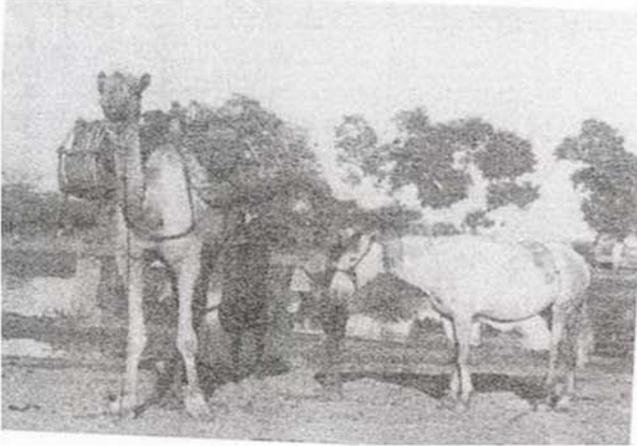


\* خريطة رقم (5) تبين جغرافية دار الزغاوة



### الفصل الثالث : فروع قبيلة الزغاوة

في هذا الفصل نتحدث بشيء من الإسهاب لفروع قبيلة الزغاوة التسعة والإدارات التابعة لها كأنظمة سياسية لعبت دوراً تاريخياً مهماً في هذا الجزء من السودان, كذلك أسماء زعماء عشائرها لأنهم آخر من كانوا في الحكم وبأيديهم السلطة الفعلية قبل تصفية الإدارة الأهلية في مايو 1969م.



(الجمل والحصان  
من أهم وسائل  
النقل عند الزغاوة)

وتتنظم قبيلة الزغاوة - كما اسلفنا - في تسع ادارات اهلية هي:

|                | حاضرتها        | زعيمها                               | الادارة     |   |
|----------------|----------------|--------------------------------------|-------------|---|
| Um Haraz       | أم حرز         | لملك موسى خميس                       | دول الأرتاج | 1 |
| Karow/ Bardaba | كارو وباردبا   | لملك فورحسن/المقنوم مورا/المقنوم أرم | دول لبنيات  | 2 |
| Umbaroo        | أمبرو          | لملك علي محمدين                      | دول لتوار   | 3 |
| Muzbed         | مزيد           | لباسي سالم نقل                       | دول ولادقيل | 4 |
| Korni          | كروني          | لشراي لتيجاني الطيب                  | دول لقلأ    | 5 |
| Dor            | لور            | لملك آدم طاهر نورين                  | دول سويني   | 6 |
| Kajmer         | كجر            | لعمة حسن أحمد لصديق                  | دول كجر     | 7 |
| Tina           | لطينة أو توناء | لسلطان نوسة عبد لرحمن                | دول لكوبي   | 8 |
| Anka           | أنكا           | لملك آدم علي أبو ككا                 | دول لتيفيري | 9 |

|         |        |                     |          |    |
|---------|--------|---------------------|----------|----|
| Titubai | طنظبای | لسلطان حسن برقر حسن | دار کبکا | 10 |
|---------|--------|---------------------|----------|----|



السودان (ليبيا) والى داخل السودان سعياً للماشية . والثانية : هجرة مستديمة مثال ذلك ان من الزغاوة من نرح من منطقتهم الأصلية إلى :

1- خارج مديرية دارفور مثل ذلك الكجر وأقليات في الدويم والجزيرة أبا والفضارف (جنة برة) وحلفا الجديدة والسوكي (المهلة) والمازين وبعض هذه الهجرات كانت منذ سنين طويلة .

2- داخل دارفور واتخذوا من كتال وشنقل طوباي وشعيرية وخزان جديد وام كروس ونيالا وعريداية ومنطقة شرق دارفور في كل من بروش والطويشة واللعيت جارالنبى وعطاش موطننا منذ زمن بعيد .

3- نزحوا الى مدن دارفور وتبدلت نمط حياتهم واستقروا بها والمدن هي :

الفاشر - نيالا - الجنيينة - كتم - مليط - ككبائية - جبل مرة - زالنجي .

4- هجروا مناطقهم نهائياً الى مدن السودان الاخرى كالخرطوم وامدرمان وغيرها

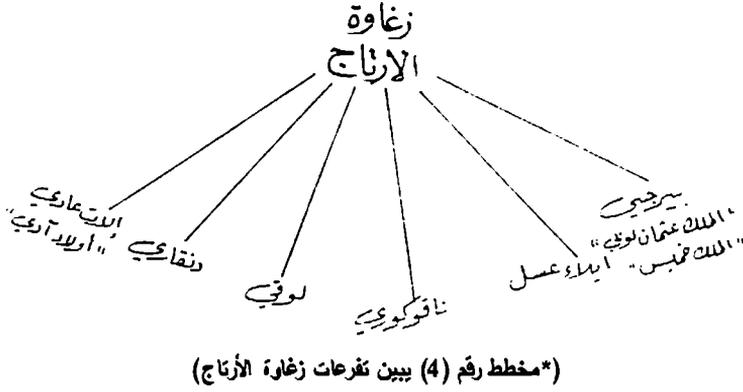
وفيما يلي تستعرض فروع قبيلة الزغاوة حسب ترتيبها الأبجدي :

## (1) زغاوة الأرتاج (Artaj)

### الاصل ونظام الحكم

الارتاج او الأوناي فرع من فروع قبيلة الزغاوة وينحدر أجدادهم من أصول ليبية وهاجروا الى السودان مع باقي فروع الزغاوة في القرن السادس عشر الميلادي . وحاضرة مملكتهم هي ام حراز وزعيمهم الملك موسى خميس . وتعتبر دار الأرتاج أكثر منطقة شهدت تغييراً فى نظام الحكم على نطاق دارفور كلها . والأرتاج من أكثر فروع قبيلة الزغاوة ديمقراطية في الحكم . إذ يتم عزل الملك وتعيين غيره اذا رأوا فيه اعوجاجاً

او انحرف عن جادة الصواب أو أنه لا يصلح للحكم لاي سبب من الأسباب ، لذلك  
فالحكم عندهم غير وراثي .



#### التركيبية السكانية :

كما في المخطط أعلاه ، فإن الأرتاج تتكون من عشيرتين رئيسيتين هما بيرجي والأت عادي وعشيرتين أصغرهما ايلاء عسل وناقوكوري . ويقطن دار الأرتاج الكثير من بطون قبائل أخرى تكون بمجملها تقلا سكانيا وسياسيا بطريقة ملحوظة وهذه الفروع هي :

دقاري - اولاد سنون - قشطاوي - اشنقية - للاوي - اولاد شرارة ( ومنها الملك موسى خميس لذلك فهو من غير الأرتاج ) - تاوقي - لوقية ويطون من التوار (عقبا - دقيل - دوري).

ودار الأرتاج كغيرها من دور الزغاوة الأخرى تتمتع بتداخلات قبلية كثيرة مثلا دقاري (النيقري) أصولهم مرتبطة بزغاوة الكوي ، وشرارة من العرب الرحل (أولاد راشد) ، اما الوقاء فأصلهم من البرتي . وجميعها انصهرت في مجتمع واحد في دار الأرتاج .



(\*صورة لشيخ من منطقة الأرتاج)

### الأرتاج ودار سويني :

عند دراستنا لهذه المنطقة وجدنا ان تداخلا شديدا قد طرأ بين ادارة الأرتاج والسويني ، وقد لازم ذلك لحقب تاريخية عديدة . ولذا نقوه بان الحديث عن دار الأرتاج لا يستقيم ويكتمل بمعزل عن الكلام عن دار السويني في الدور ولاسيما في عهد الحكم البريطاني الذي كان يلجأ الى حل المشاكل والخلافات عند افراد قبيلة الارتاج حول الحكم من خلال ادارة السويني. و كثيراً ما أقدمت على إخضاع الأرتاج تحت إمرة حكام الدور لحين تسوية الأرتاج لنزاعاتهم على السلطة. و قد تناولنا في هذا الجانب بشئ من لتفصيل في معرض حديثنا عن إدارة السويني في هذا الباب ويمكن للقارئ الرجوع اليه.

### تسلسل الحكم :

تتابع على حكم الارتاج كثير من الملوك قبل التركية السابقة مرورا بالمهدية والاستعمار الانجليزي وانتهاء بالعهد الوطنية بعد استقلال السودان . وقد عرف الملك ادريس اول حاكم لدار الأرتاج .

كانت دار الارتاج تتبع لدار السويني في الدور بزعامة الملك طاهر نورين لمدة طويلة . ولم يكن الارتاج على وفاق مع ملك السويني لما كانوا يحسون به من غبن جراء سياسة الشدة التي اتبعها الملك طاهر حيالهم ، لذلك لم يرضوا بحكمه فقاوموه

واشتكوه لدى السلطات المسئولة التي لم تحل مشكلتهم بل كانت دائماً تقف مع الملك طاهر وتتناصره ضدهم .

تكررت شكاوي الأرتاج مطالبين بفصلهم عن إدارة السويني واستحداث إدارة خاصة بهم . ونقلوا مظلمتهم الى المفتشين الانجليز الذين تعاقبوا على شمال دارفور ومنهم مستر مور الا ان جهودهم ومحاولاتهم ذهبت ادراج الرياح . وبعد الاستقلال قابل الأرتاج علي أبو سن مدير دارفور آنذاك وعرضوا عليه شكاوهم . ومر وقت طويل حتى أستجيب لطلبهم وفصلوا عن دار السويني وذلك في عهد الملك آدم طاهر نورين الذي خلف اباه في الدور . والجدير بالذكر ان الأرتاج كانوا يعزلون كل ملك لهم يتم تعيينه عن طريق الملك طاهر نورين .

وكان أول ملك للأرتاج بعد الفصل هو الملك عثمان لوبي وهو من فرع البيرجي لكن مواطنيه قاموا بتتحيته وعينوا الملك خميس ود منّا من نفس فرع البيرجي لكنه عزل هو أيضا واعيد الملك عثمان لوبي مرة اخرى ولم يطل في الحكم حتى نحي من منصبه واعيد تعيين الملك خميس ود منّا للمرة الثانية ايضا لي عزل نهائيا عن الحكم . والملاحظ ان الحكم اتحصر في عشيرة البيرجي حتى ذلك الوقت .

وعاشت دار الأرتاج فترة من عدم الإستقرار السياسي مرة اخرى بوصول الملك محمد عاشوره الى الحكم لكنه لاقى مصير من سبقاه ليحل محله الملك بخيت يعقوب حوالي 1954م حيث أطيح به و عين الملك محمد وادي عبدو خلفاً له في العام 1956 وعزل هو ايضا كمن سبقوه .

### الأرتاج يبحثون عن ملك جديد :

عقد زعماء الأرتاج اجتماعاً عاصفاً في كتم لاختيار ملك جديد لهم ، وبعد مداوات كثيرة استقر رأيهم على تعيين موسى خميس ملكاً على عرش أخواله (أمه أرتاجية) علماً بأنه من قبيلة شرارة . وكانت لاختياره أسباب عديدة منها أن الأرتاج جربوا حكماً من معظم بطون قبيلتهم ولم يرضوا بهم اذ عملوا على عزل معظمهم -

كما رأينا - والسبب الآخر أن الملك موسى كان يتمتع بمواصفات الحاكم الناجح وان لم يكن من الأسرة الحاكمة وقد توسموا فيه قدرته على توحيد كلمة الأرتاج بعد كل تلك السنين من النضال في سبيل الإنفصال عن إدارة السوييني والخلافات الداخلية التي ادت الى زعزعة الحكم وعدم استقراره . بقي الملك موسى خميس عند حسن ظن من اختاروه كما انه يعد من أطول ملوك الأرتاج حكماً في تاريخ أم حراز حتى صفت الإدارة الاهلية في مايو ١٩٦٩ .

وشم الأرتاج :

كان لبطون الأرتاج الأربعة وشم واحد لماشيتهم حتى درج الملك خميس ود منه فعمل على فصل الأوشام على النحو التالي :

- (أ) اختار للبيرجي وشم توتوماني الذي يرسم هكذا (ب) لبطون الأرتاج الأخرى ( ايلاء عسل - ناقوكوري - إلات عادي) وشم كاودة

(ج) لقبيلة الشراة هذا الوشم ١١٨

النحاس :

بعض ملوك الأرتاج مالكين للنحاس الذي يضرب في المناسبات المختلفة كالاعياد . ولأن دار الأرتاج تجاورها الكثير من القبائل غير الزغاوة لذلك نجد تأثير تلك القبائل واضحا عليهم مثل العرب والسوييني والفور واكتسبوا بعضا من عاداتها .  
عموديات دار الأرتاج :

1- عمودية البيرجي : وهي تحت إشراف العمدة محمد جمعه وحاضرتهم في اوقا شرق ام حراز ، وتقع في وادي امبار .

2- عمودية إلات عادي : فى المنطقة الجبلية التي تقع جنوب شرق أم حراز وعمدتها حسب النبي حيدار الذي عاصر كلا من الملك بخيت والملك محمد وادي عبو والملك موسى خميس . وحاضرتها في غسانة .

3- عمودية لئل : وتقع شرق أروري وجنوب ام حراز وتقع مزبد شمالها وأمبرو غربها . وحاضرتها قرية لل ( منطقة جبلية بها أبار ) وعمدتها محمد آدم عبد الله .

4- عمودية أم مراحيك : وتتخذ من ام مراحيك حاضرة لها وعمدتها الخليفة عمر جار النبي من قبيلة الدنفاري ويغلب عليها فرع اللوقي .

بعض المعالم البارزة في دار الأرتاج :

القرى والحلال :

أم حراز - أم مراحيك - أروري - لل .

الجبال والأودية :

جبل ترينقي (ترينقي هاء) - وادي أمبار (وادي أم مراحيك).

## (2) زغاوة البدييات "Bideyyat"

الاصل ونظام الحكم :

البدييات او التواء وفرع كبير من فروع قبيلة الزغاوة ويرجح ان تكون كلمة البدييات نابعة عن ارتباطهم بالبادية . اما تسميتهم بالتواء - "Toba) فهي مشتقة من التيو Tobo إشارة إلى إندارهم السلاي من تلك القبيلة الليبية المعروفة . وبحكم طبيعة حياتهم البدوية وترحالهم بابلهم سعياً وراء الكلاً والماء اصبحت رقعة المنطقة التي يعيشون فيها واسعة تخطت حدود السودان وتشاد وليبيا . وهم اقرب الى القبائل

العربية الرحل في دارفور من حيث اسلوب حياتهم وسحناتهم وقوامهم ، ويتحدثون بلغة زغاوة ذات لكنة متميزة من حيث الخفة في النطق والسرعة في التكلم مع وجود بعض الكلمات الخاصة بهم والتي لانجد لها مرادفات في لهجة باقي فروع الزغاوة .

### أقسام البديات

تنقسم البديات الى فصائل عدة هي :

- 1-قلي قيرقى : وموطنهم في منطقة فوراوية (ويه) بدار قلا .
- 2- بروقات : وهم ينسبون الى الفرعان وموطنهم فاذا وفايا لارجو و وادى نوم في شمال تشاد .
- 3-كودياراء : وموطنهم في باهاي شمال الطينة .
- 4-ارديبه : وموطنهم في بامناء شمال الطينة وارديبية في شمال شرق تشاد .
- 5-سقيراء : ولها ثلاثة بطون هي بيكي و اقوميبي ومايقيراء .
- 6-بيرياراء : وهي أكبر هذه الفصائل وتنقسم الى أربع عشائر (بطون) هي : برونقا وادينقا وأوراراء وكورياراء ولها انتشار واسع في معظم إدارات الزغاوة و لكن مركز ثقلها وموطنها في بيريبه بشمال تشاد. أمّا رئاسة بديات السودان متفرقة ومعظمها في كارو بينما عاصمتهم في تشاد هي برداباء.
- 7-مامياء..

### الإنحدار السلالي :

عرف من أجداد زغاوة البديات سليمان الملقب "توريه تيربو" والذي يعني سليمان نو الطاقية البيضاء وهو جد بديات البيرياراء . ويقول الرواة إنه قدم من تونس عن طريق الصحراء الكبرى على ظهور الإبل ومعه زوجته و أخ له أعرج في رجله اليسرى يدعى احمد وسكنوا في جبل حريز قرب شنقل طوباي وهو الجبل الذي ورد ذكره كثيراً فى أشعار ودوبيت البديات . ولأن تلك المنطقة كانت تكسوها الغابات وملأى بالحيوانات المتوحشة والمفترسة ، لم يرق لسليمان المقام فيها ، لذلك ترك اخاه وزوجته هناك وسار

بإبله الى السافل ليستكشف منطقة اخرى تلائم حياته البدوية . فوصل منطقة كبسارو قرب أمبرو الحالية حاضرة التوار وحط رحاله في وادي كبسارو . وكانت منطقة امبرو ارضا فضاء خالية من السكان ولمّا تأت إليها فروع قبيلة الزغاوة من بقاء وعقابا وويكورا . الخ . ثم رحل شمالا واقام مضاربه في منطقة شقي كارو التي هي عاصمة هامة للبيديات . وانتقل بين أم جرس وكودة في رحلات مكوكية متتالية يجوب فيها المنطقة واختط حدوداً مع القلي قيرقي .

وقضى 16 سنة على هذه الحال لم يرجع فيها الى اخيه وزوجته الذين تركهما في جبل حريز . لكنه ظل يتزوج في كل منطقة يحل فيها وينتقل الى منطقة اخرى فكثرت زوجاته وأولاده ن فتشأت معظم عشائر البيديات وبطونها طبعاً لهذه المناطق التي سكن فيها ابناؤه واحفاده من البيديراء وهم البرونقا والكوريراء والإدينقا والأوراء .

بعد تلك السنين الطويلة عاود سليمان الحنين الى زوجته الاولى واخيه . فشد اليهما ليجد أخاه قد تزوج من زوجته وانجب منها ولدين ن وكانا قد ظنا انه مات لأتھما لم يسمعا عنه طيلة تلك المدة بعد ان انقطعت اخباره . غضب سليمان من اخيه وقفل عائدا فسكن في كاروسنيه وحفر بئرا "سانية" هناك واسكن اهله وذهب مرة اخرى الى كورياء ثم عاد الى كارو ومكث فيها ما بين 16 الى 20 سنة ليرجع الى كورياء وقد صار مُعَمَّرًا ومات في جبل دولبيه .



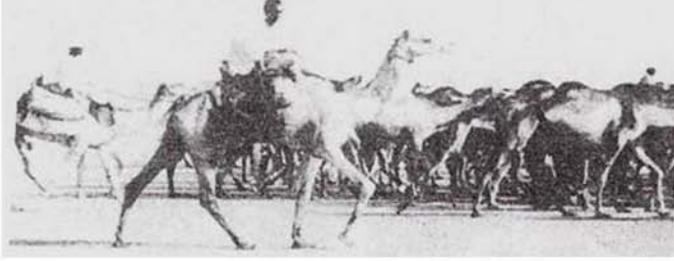
## ملحوظة :

يقال إن زغاوة الاريدياراء والبويراء والأورديو من أصل زغاوة البديات وهي ذات علاقة بالكوبي كما يقال إن احمد شفيق سليمان توريه تيريو أنجب ولدين أحدهما جد التجور (أهل بوه) في كتم ، اما الآخر فلا يعرف عنه شيء.

## إدارة البديات :

زغاوة البديات تعد من الفروع القبليّة ذات الإنتشار الواسع . وفي الماضي كانت لها إدارة قبليّة واحدة مثل زغاوة الكوبي حتى تم تقسيم المنطقة الى السودان الفرنسي والسودان الإنجليزي 1924م فبقي جزء كبير من زغاوة البديات والكوبي في تشاد والجزء الآخر في السودان . ونتيجة لهذا التقسيم نشأت إدارتان للبديات . ففي السودان اقيمت ادارتهم في منطقة كارو بزعامة الملك فور حسين من بديات الكورياراء التي هي عشيرة متفرعة من البيرياراء ولها حدود مع الطي قيرقي .

إن معظم بطون البديات انتشرت في دار الزغاوة 1903م كما نزح جزء من الإدينفا من كارو الى اللعيت جار النبي والطويشة (دار عطاش ) في حدود كردفان عام 1916 واستقروا هناك . وكانت هذه الإدارة من الإدارات الكبيره في شمال دارفور كما كانت مثار اهتمام واعجاب كبيرين في مناسبة الزفة التي كانت تقام في كتم كل عام . وكان الملك فور يتمتع بقوة الشخصية وحسن تنظيم رجاله الفرسان وارتبط بعلاقة المصاهرة مع الملك محمد بن آدم صبي زعيم التوار في أمبرو حيث زوج الأخير إحدى كريماته . وكان أيضا ذا حظوة ومكانة خاصة لدى المستر مور المفتش الانجليزي المسئول عن شمال دارفور وقتذاك مما جعل بعض رصفائه من رؤساء إدارات الزغاوة يحسدونه على مركزه فعملوا على إضعاف إدارته .



(رعاة من زغاوة لبديات  
يسعون مرلاً من الإبل)

يقول الرواة إنه في 1953 دبر حاسدوه خطة ومكيدة تقضي برحيله عبر الصحراء الى وادي هوار وزينوا له الاستقرار هناك وتوسعة حكمه حتى حدود ليبيا ومن ثم يرحل الى حدود تشاد ليوحد البديات ويكون له مملكة كبيرة تضم رقعة واسعة من السودان وتشاد . فوافق الملك فور على الخطة بحسن النية ، وطلب من رجاله واسرهم الرحيل معه واستعمل بعض الشدة والقوة لارغامهم فتبعه معظمهم مكرهين وقاومته فئة قليلة ضمت أوبي كورتينق وحامد ذياب تنقاي وآخرين . وعندما وصلت قوافل الراحلين الى وادي هوار تعرضوا الى عطش شديد فمات الكثير من الرجال والنساء والأطفال . وصاروا في وضع مزر حيث لم يتمكنوا من الوصول الى تشاد او الرجوع الى كارو .

سمع مفتش كتم ، المستر مور بالواقعة فأخذ اورطة من الهجانة لاغائة من بقي على قيد الحياة واستطاع ان ينقذ بعضهم الذي كتبت له النجاة اما الملك فور الذي عرف المؤامرة بعد فوات الاوان وندم حيث لاينفع الندم - فنجا بجلده الى تشاد ومعه بعض اقاربه وخصائه ، لأنه علم ان المستر مور كان ينوي القبض عليه ومعاقبته بالموت . اما حكمه فال الى الملك نور من نفس اسرة الكورياراء.

عاد الملك فور - الذي فقد حكمه - الى دار الزغاوة بعد عام واحد ومات في منطقة بوة في ضواحي كتم 1954م. ولم يزل حكم البديات في كارو حيث انتقل الحكم بعد الملك نور الى ابراهيم موكي الذي تقدم به العمر وصار كفيفاً ثم خلفه علي سليمان.

وفي تشاد أقام البديات أكبر مقومية لهم في بارداباء في المديرية الشمالية، بينما ظلت فئات أخرى في مديرية بلتين تتبع إدارياً لسلطنة الكوي هناك بزعامة السلطان عبدالرحمن حقا.

و هناك مجموعات من البديات لهم عموديات لكنهم يتبعون لإدارات أهلية عند فروع الزغاوة الأخرى مثل بديات الإردبية الذين يتبعون لإدارة زغاوة الكوي في الطينة ورئاسة عمودياتهم في بامنا تحت أمرة إينا نيفي ديك . ومنهم من يتبع لإدارة التوار . أما القلا الذين هم من أصل بديات البيرياراء فلهم إدارتهم المعروفة في كرنوي وزعيمهم الشرتاي التيجاني الطيب صاح . وللبديات تداخلات قبلية أخرى مع إدارات الزغاوة الأخرى مثل لولاد دقيل في مزيد والنيفيري في انكا والارتاج في ام حراز .

### أوشام البديات :

نورد هنا بعضاً من الأوشام الخاصة بزغاوة البيرياراء الذين هم أحفاد سليمان توري تيربو الأربعة وتتحد أوشامهم من ان جميعها لاتخلو من حردي أبو ويرمز اليه بالشكل (𐎒𐎗) ، وقوادي ورمزه 8 ، والدوقولة ويرمز اليه 7 أو بالتداخل فيمابينها كما يلي :

- |    |  |
|----|--|
| 𐎒𐎗 | 1) كورياراء : ووشمهم (حردي أبو ومورتارقوي) |
| 𐎒𐎗 | 2) إدينفاء : ووشمهم هو وشم الكورياراء      |
| 𐎒𐎗 | 3) برونفاء : ووشمهم (دوقولة وحردي أبو )    |

4) اوراراء : ووشمهم (مروتارقوي وحردي أبو و دوقولة ) 𐎒𐎗 والملاحظ أن هذا الوشم يجمع بين الأوشام الثلاثة السابقة . ووشم الأوراراء يوضع في شدة "الجمل" . الجدير بالذكر ان أوشام بعض بطون البديات وبقية الزغاوة تشترك بطريقة أو أخرى فمثلاً :

- |    |  |
|----|--|
| 𐎒𐎗 | الأورديو يوشمون ابلهم هكذا (قوادي + دقوله) |
| 𐎒  | الإردبية ويوشمون ابلهم هكذا (ميري)         |

ويستعمل باقي البطون اوشام مثل :

تدوي : 

حردى أبو : 

موريتار قوي : 

تمساح : 

قاباي : 

سينابوري للمامياء 

قوادي : 

سوقورداي : 

سيرى (سيف) : 

ويستعمل كثير من فروع قبيلة الزغاوة اوشام خاصة للبقر والغنم فوشم الانقو (الكوبي) الكدام وهو قطع جزء من الأذن اليمنى واحداث شقين في الأخرى

والكودياراء قطع عرضي لنهايتي الاذنين   وهكذا .

عموديات البديات :

لبديات عموديات كثيرة منها مافي السودان ومنها الاخرى في تشاد لذلك يصعب حصرها بدقة . فالحاكم عندهم يسمى المقنوم وفي مناطق اخرى ملك ويتبع لادارته عمد يطلق عليهم ابناء نذكر منهم المقاديم والملوك والعمد وهم جميعا مسئولى البديات .

- 1- مقدم موراء
- 2- مقدم أريم
- 3- ملك فور حسن
- 4- ملك محمد نور
- 5- ايناء ديبي حنتو
- 6- ايناء ايقاء
- 7- ايناء نيفي ديك
- 8- ايناء نمبور
- 9- ايناء اراما
- 10- ايناء حورقي

### نظام الحكم :

يتبع الزغاوة البديات في حكمهم نظاما اشبه ما يكون بالوراثي الا انه في كل الحالات لا يخرج عن دائرة العشيرة لذلك اذا تعذر الحصول على الوريث الشرعي للحكم يختار شخص من نفس الاسرة او العشيرة .

### معالم هامة :

نذكر من المناطق الهامة في دار البديات

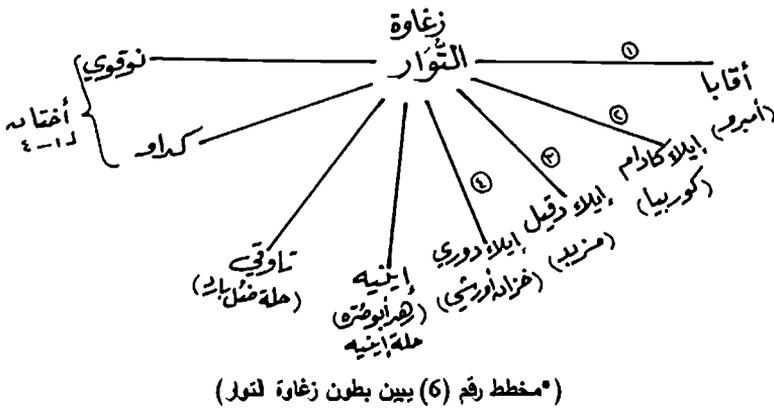
- برداباء - سرديباء - باو - ايقا - باكاوري - كيراماراء - نيو - كورباء - أم جرس -
- ام سوقاط - كوده - كارو - شقي كارو - باهاي - بامناء - ايشميه - بير دواني -
- موردي - باقوكويناء - هيري كويناء .

### (3) زغاوة التَّوَّار (Tu-WER)

الأصل :

التوار فرع من فروع قبيلة الزغاوة وتعتبر العقابا أكبر عشيرة فيها ومنها ينحدر ملوك التوار الذين ينسبون الى محمد البرناوي . وقد عثرنا على وثيقة بخط الفكي بحر ضو البيت بحر مكتوبة بالعمار "الدواة" ويرجع تاريخها الى عام 1926 ونصها :

"الأقابا" (محمدين آدم صبي بحر بن النعمان بن مي بن جعلوا فسقي بن تابت بن محمد الحاج بن القسير بن محمد البرناوي) . هذه المخطوطة توضح لنا الانحدار السلالي للأقابا (عقابا) . وهي العشيرة الرئيسية ومنها الأسرة الحاكمة من نرية الملك بحر . ويقول الرواة والاحباريون ان اولاد البرناوي اهمم تدعى نومه وهي عريبة من بني هلال . والحاكم عندهم يعرف بالملك او "ايلاء" . وحاكم دارتوار هو الملك علي محمدين وحاضرتها أميرو .



من المخطط أعلاه نجد أن زغاوة التوار يتفرعون الى أربع فصائل (بطون) رئيسية هي : الأقبابا و إيلاء كادام و أولاد (إيلاء) دقيل وإيلاء دوري . اما من الناحية العشائرية فإنهم ينقسمون الى ثمان عشائر باضافة اينية و تاوقي و كاداو و نوقوي والأخيرتان اختان لبطون التوار الاربعة الرئيسية .

العاصمة : الملك بحر هو مؤسس مملكة التوار حيث أقام حاضرتة في "جانق" الواقعة قرب بئر قوندي كيساي على مسافة قريبة من شمال شرقي امبرو . حيث ظلت عاصمة عامرة حتى نقلها حفيده الملك محمدين الى امبرو والتي لم تزل حاضرة التوار الى يومنا هذا .

### نظام الحكم :

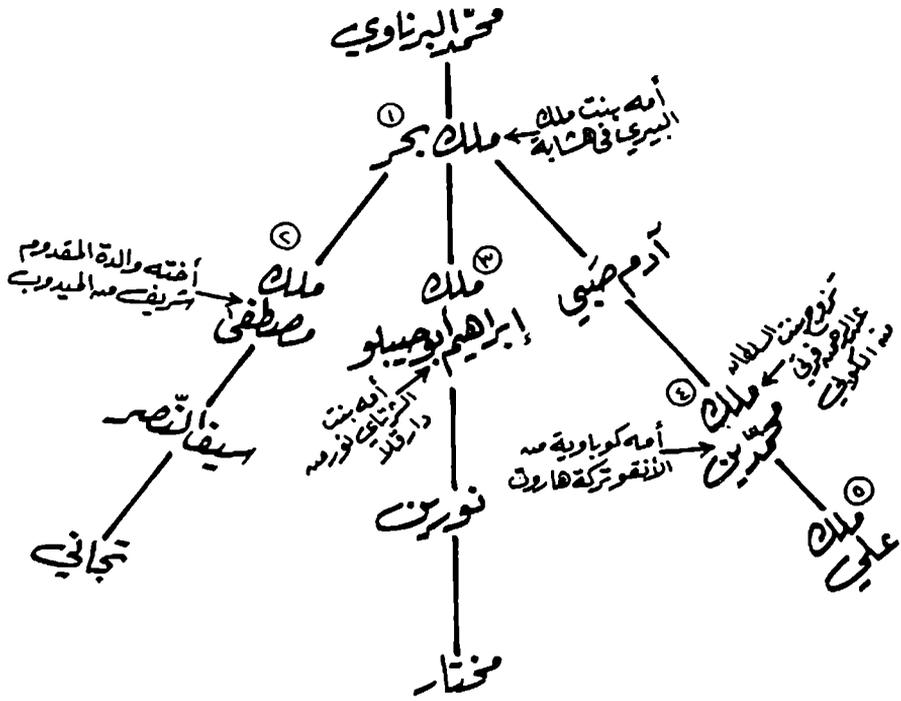
نظام الحكم عند التوار وراثي ينتقل بالتبادل بين بطونها الثلاثة عقابا ودوري ودقيل . لكن الامور لم تستمر على هذا المنوال اذ استأثر العقابا بالحكم مما حدى بكجمر المنحدرة من ايلاء دوري الهجرة الى كردفان . ولم يكن ايلاء دقيل احسن حظا من كجمر اذ حرموا ايضا من دورهم في تولي الحكم مما جعلهم يشقون عصا الطاعة على حكم بني عمومته العقابا في امبرو وبغية الانفصال عنه - كما سنرى . حيث نقلوا شكاوهم الى المفتش الانجليزي في كتم ، لكنهم لم يحصلوا على ماكانوا يطلبونه إلا عند استقلال السودان عام 1956 فقد اصبح لأولاد دقيل كيان منفصل في مزيد.

### تسلسل الحكم :

عرف الملك بحر العقباوي المنحدر من سلالة محمد البرناوي اول حاكم لمملكة التوار حيث عمل على ارساء قواعدها ووطد أركانها وعند وفاته خلفه ابنه مصطفى الذي حارب في صفوف جيش المهديّة وشهد كرري 1898 ضد الغزو الانجليزي . وهو من الذين شاركوا في تنصيب السلطان علي دينار في حكم



تميزت فترة الملك محمد بن بأنها كانت طويلة مقارنة بمن سبقوه من ملوك التوار ، وشاهدت الكثير من الأحداث . وقد روي انه من أجود الملوك الذين زامنوه واكرمهم على الإطلاق كما عرف عنه الدهاء والكياسة.



(\* مخطط رقم (8) يبين ملوك زغاوة التوار)

وكان يحظى بمكانة مرموقة لدى المقنوم يوسف شريف ممثل السلطان علي دينار بشمال دارفور ، اذ كان يتقدم ملوك الزغاوة وفرسانهم عند الموكب السنوي الذي يعرف بالزفة أو الملمة . وهذه الخصوصية تتبع من صلة القرابة التي تربطه بالمقنوم شريف عن طريق المصاهرة حيث كانت زوجة المقنوم شريف والد المقنوم يوسف شقيقة الملك مصطفى بحر عم الملك محمد بن . هذا بالإضافة الى أنه من اكبر ملوك الزغاوة المعاصرين له سنا . الامر الذي اهلته الى القيادة . ومما يؤكد هذا ان السلطان دوسه اخذ مكانه في رئاسة السن بعد عزله.

شهدت ادارة دار التوار في عهد الملك محمد بن فتره من الازدهار والافتاح على فروع القبائل والادارات الاخرى عن طريق المصاهرة وهي نمط من صنوف الدبلوماسية في تلك الايام . فقد تزوج من كريمات كل من السلطان عبد الرحمن فرتي من زغاوة الكوبي ، والملك فور من زغاوة البديات وايضا تصاهر مع قبيلة القرعان ، كما زوج بناته بالمثل لفروع من الزغاوة وقبائل اخرى .

وبالرغم مما اشرنا اليه من ايجابيات عهد الملك محمد بن الان كثيرا من الجدل قد دار حول حكمه ، وذلك لما شهدته هذه الفترة من احداث جسام ادت الى عدم الاستقرار . فقد اخذ عليه شدته واعتداده المفرط بنفسه وعدم سماع الرأي الآخر النابع من اهالي مملكته عند احتكامهم اليه في المظالم والحقوق الامر الذي اثار حفيظتهم . فقرر البعض منهم الهجرة الى خارج حدود دار التوار واتخذوا من منطقة جنوب دارفور ملاذاً فحطوا رحالهم في كل من مارالا و ام كردوس وعريدياة قرب نيالا ولبدو ومهاجرية وشعيرية وشنفل طوباي وكتال وخزان جديد وغيرها . وكانت عشيرتا ايني وكاداو من بطون التوار التي بادرت بمغادرة منطقة دار توار هرباً مما ادعى من سلبات حكم الملك محمد بن .

حاول الملك محمد بن استمالة اولئك النفر الذين لجأوا الى دار الصعيد بغية ارجاعهم ، فبعث اليهم اخاه محمو آدم صبي في سنة 1943 مندوباً في منصب الدمج الا انه لم يفلح الا قليلاً ، الامر الذي جعله يتخذ القوة بدلا عن الحسنى لاجبارهم على العودة . فاتخذ محمو ضروباً مختلفة من الترغيب والترهيب ، ولكنها تعثرت ولم تنتم فبقيت اعداد كبيرة من زغاوة التوار الى يومنا هذا يشكلون جزءاً من سكان شرق وجنوب دارفور .

تتابعت الاحداث وبينما كان الملك محمد بن يعمل على اعادة الامور الى نصابها اعلن اولاد دقيل "إيلاء دقيل" بزعامة اسحق العصيان ورفعوا شعار الانفصال عن ادارة التوار واقامة ادارة خاصة بهم في مزبد " اشيمي" . فأبوا دفع ضريبة القطعان والدقنية لمناديب الملك محمد بن وصعدوا مطالبهم الى المفتش البريطاني لشمال دارفور بكتم .

وكان لهم ما أرادوا بعد لأي وجهد شديدين ، فكونوا ادارة يرأسها الباسي سالم تفل في مزبد لتكون منافسة لادارة بني عمومته العقابا في امبرو . وبذلك فقد الملك محمد بن جزء عزيزاً اقتطع من مملكته .

وفي الجانب الآخر كانت الخلافات الداخلية في الاسرة الحاكمة بدأت هي الأخرى تطل برأها لتتخر في بنية حكم العقابا . اذ احس بعض أفرادها بأن الأمور كانت تتسارع لتفويض حكمهم ، ورأوا ان السكوت حيا لها لايجوز ، وان تبديل الحاكم بمن هو اكثر حكمة امر لا بد منه .

وفي هذا الجو المشحون بالتممر والخلاف كانت الشكاوى والتقارير هي الاخرى ترد وتترامى الى مسامع مستر مور في كتم . فما كان منه الا ان تنخل وامر بعزل الملك محمد بن عن حكم دار توار ووضع رهن الإقامة الجبرية في كتم . وأوصى بتعيين ابنه علي الذي كان يعمل كاتباً في مكتبه آنذاك بدلا عن ابيه في عام 1951 . وقد اطلق الزغاوة على هذا العام سنة العمدة " عمدة بيبي " اشارة الى موجة إقالة الدمالج وتعيين العمدة بدلا عنهم لأول مرة . هذا فقد انتقل الملك محمد بن الى رحمة مولاه في منفاه بكتم .

ولكل تلك الأسباب التي سقناها علاوة على موقع امبرو في وسط دار الزغاوة اكسبت دارتوار اهمية خاصة احتفظت بها لسنين عدة حتى انها - فيما بعد - اصبحت مركزا لكل ادارات الزغاوة يمثل المفتش فيها مساعد ضابط اداري .

وفي اوج حكم الملك محمد بن طلب منه الانجليز ارسال ابنائه لغرض تلقي التعليم في الخرطوم ، جريا على العادة المتبعة حينذاك والقاضي بأن لابناء الملوك الحق والاولوية في دخول المدارس القليلة جداً في عموم السودان ، على ما عداهم من ابناء الاهالي . فبعث اليهم ابنه علي الذي صار كاتباً للمفتش البريطاني بكتم وملكا بدلا عنه فيما بعد كما رأينا . ثم طلب منه الانجليز ارسال المزيد من ابناءه لنفس الغرض ولكنه في هذه المرة خشي على أولاده ، فبحث فيمن يمكن ارسالهم بدلا عنهم . فكانت الفرصة الذهبية التي اتت من حيث لا يحتسب من نصيب كل من محمود بشير جماع

وسليمان مصطفى ابكر وتجاني سيف النصر مصطفى الذين اصبحوا فيما بعد الرواد الاوائل من متعلمي الزغاوة فصار بعضهم قادة على نطاق اقليم دارفور وعلى النطاق القومي .



( \* محمد بشير جماع الطالب بكلية غوردون الجامعية يتوسط كلا من محمود الطيب صالح عضو أول برلمان سوداني نائباً عن دار الزغاوة و بشارة نوسة نائب السلطان نوسة )  
اخذت هذه الصورة في 1955 في الخرطوم)

#### حدود دار توار :

دار التوار بلد مترامي الأطراف تحدها دارقلا غرباً وشمالاً مع الأرتاج والقلي قيرقي وجنوباً مع البني حسين وشرقاً مع دارسويني . وتنقسم الى عدة عموديات اكبرها عمودية اورشي التي كان اول من انشأ قرية فيها أبكر آدم جلوك وتتفرع منها أربع عموديات صغيرة يشرف عليها كل من :

1- العمدة جمعة نرجع .

- 2- العمدة محمد عبدالله كندك وشيخهم صالح ابراهيم حسن في حلة اورشي .
- 3- العمدة شيخ علي داوود في انابجي حلة جمعة ابو .
- 4- العمدة كجوك في كوريبا .
- 5- العمدة أ بكر عبد الله في حلة تنفة .

معالم دار توار :

القرى والحلال : امبرو - تاوييه - ضل ضل - أراوماراء - حربة جونق - جانق - كوريبا - أودوميه - شرطي - ماراء - عشيه تير - من بيه - ابولحاء - هاتوقو - حلة جمعة - أورشي - نوركويلاء - حجاج - هنفو - كورنق - موس .

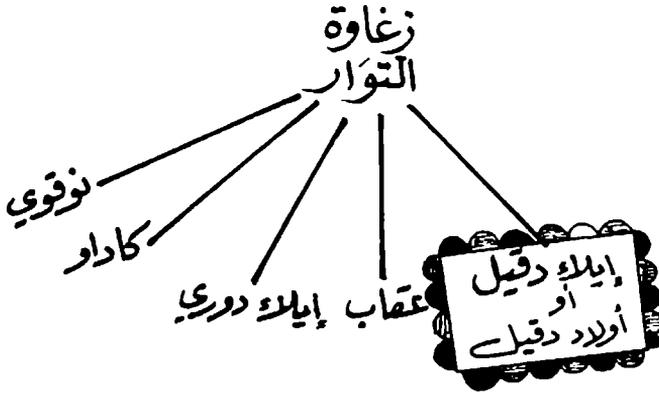
الخزانات والحفائر : خزان أورشي - خزان كورفو - حفير ابوقمرة - خزان امبرو .

الدواكي : دونكي أبو لحاء - ساني كارو .

#### (4) زغاوة أولاد دقيل (ILA-Digail)

الأصل ونظام الحكم :

أولاد دقيل او ايلاء دقين من فروع قبيلة الزغاوة وهم يكونون مع العقابا "أقابا" وإيلاء نوري وإيلاء كاداو ونقوي قبيلة التوار الحاكمة في أمبرو . وزعيمهم الباسي سالم نقل ، تجدر الإشارة هنا الى ان كلمة باسي تعني الملك وينفرد أولاد دقيل بهذه التسمية عن سائر فروع الزغاوة . اما نظام الحكم فلم يصنف بعد ما اذا كان وراثيا . وتعتبر ادارة اولاد دقيل الادارة الثالثة لزغاوة التوار بعد ادارة العقابا في أمبرو ، وادارة الكجمر في كردفان . وحاضرة اولاد دقيل هي مزبد التي يطلق عليها الزغاوة ايضا أشيمي وهي ملتقى طرق برية تؤدي الى مصر عن طريق درب الاربعين كما تقود الى ليبيا وبها سوق كبير للماشية يفد اليها التجار من جميع الاصقاع .



( \* مخطط رقم (9) يبين تفرع زغاوة اولاد دقيل )

**حكم أولاد دقيل :**

يقول الرواة انه في زمن هجرات الزغاوة التوار وهم أربعة اخوة : ايلاء دقيل والعقابا وايلاء دوري وايلاء كاداو ومعهم اختهم نوقوي وسكنوا في منطقة نوم كور شرق خزان اورثسي وسط الجبال . وحدث ان عمّت المجاعة في تلك المنطقة ، فاضطر الاخوة الهجرة الى الصعيد ماعدا دوري الذي رفض السفر وأثر البقاء ، وقضى المهاجرون مدة طويلة في دار الصعيد واشتاقوا لآخيهم فقرر كاداو واخته نوقوي العودة الى دار الزغاوة للبحث عن اخيهم دوري الذي انقطعت اخباره عنهم الا ان أخويهما عقاب ودقيل رفضا الفكرة وايبا الرجوع ظنا منهما ان دوري ربما لقي حتفه من جراء المجاعة .

وصل كاداو واخته المنطقة ووجدا اخاهما دوري على احسن حال ، فأقاما عنده حيناً من الدهر . وبعد فترة من الزمن عاد عقاب ودوري الى اخوتهم في دوم كورو ، لكنهما لم يبق لهما المقام في منطقتهم القديمة فرحلا ثم افترقا فسكن العقابا وذريته في هنعو الواقعة شرق امبرو ليكونوا ادارتهم هناك . بينما رحل اولاد دقيل الى منطقة ابعد من ذلك وحطوا رحالهم في منطقة جوتاراء ذات شجرة الحراز الكبيرة التي تتوسطها ، وأسسوا قرية سوروي الواقعة غربي مزبد عند آبار كورتي . وكانت مزبد أنثى مضارب

لقبيلة العطاوية العربية الراحلة ، حيث نشبت حرب ضروس بين اولاد دقيل والعطاوية حيث اضطر افراد قبيلة العطاوية للجوء عن المنطقة تحت هجمات اولاد دقيل المتكررة على دامرتهم ، فأعلن اولاد دقيل مزيد عاصمة لهم منذ تلك الواقعة . وقد عرف من زعمائهم آنذاك العمدة كجوك اسحق الذي كان دملجاً حتى عام 1951 حيث عزل الدمالج وعين بدلاً عنهم العمدة ، وهي السنة التي عرفت بسنة العمدة .

#### أولاد دقيل وإدارة التوار :

بعد ان استقر اولاد دقيل "إيلاء دقين" في مزيد صاروا يتبعون لإدارة التوار لأكثر من ربع قرن قبل أن يطالبوا بالإنفصال عنها لتكوين ادارة خاصة بهم منافسة لإدارة بني عمومتهم من العقابا في أميرو . وكان اسحق اول من تزعم قومه واشتكى الملك محمد بن آدم صبي العقباوي للمستتر مور مفتش شمال دارفور في كتم . وكان إسحق هذا رجلاً شديداً المراس ، قوي الشكيمة كثير الحجج ، دائم الحضور لدى المفتش شاكياً مفاضياً حتى قال فيه المستر مور قولته المشهورة " إسحق تامراء .. حطو كومراء .. عقيد الشوشرة" !! دلالة على كثرة شكاويه وتزعمه للدقيل . وعلى الرغم من محاولات اولاد دقيل ومسايعهم إلا أن المفتش لم ينصفهم بل كان يقف مسانداً للملك محمد بن من منطلق السياسة البريطانية التي تلجأ الى اخماد أي حركة تنم عن روح استقلالية لدى المواطنين عموماً تحسباً لما قد تجر إليها من تطلعات عظمى كالمناداة بالحرية وتقرير المصير على النطاق القومي والإنفكاك من الإستعمار الإنجليزي ، و لكن سرعان ما انقلب على الملك محمد بن وعزله ، وبشر أولاد دقيل بفصلهم عن إدارة التوار إلا أن وعده لم ينفذ إلا عند استقلال السودان في 1956م ومجئ علي أبو سن مديراً لدارفور حيث تحقق ما أرادوا باعطائهم محكمة فرعية في مزيد وإدارة تحمل اسمهم .

#### أولاد دقيل يختارون حاكمهم :

بينما كانت وفود اولاد دقيل يعسكرون في كتم لعرض قضبتهم سمع بهم رجل يدعى سالم تغل من اولاد دقيل يقيم متتقلاً بين ام كدادة ومليط فاتاهم وانضم اليهم وتبرع لهم بجملة الذي قدم على ظهره للمجتمعين الذين قاموا بنحره وأكل لحمه مما جعلهم ينظرون اليه نظرة اكلاب واحترام لشهامته وكرمه .

ودارت المشورة فيما بينهم لاختيار الحاكم الذي يتولى امرهم فقال احدهم أن سالم تغل ابن عمهم وانه ظل بعيداً عن ديارهم مقيماً في أم كدادة ومليط ، وانه جاء إليهم لمشاركتهم ومساندتهم في وقت الشدة و رأى المجتمعون كرمه وتقديره لعشيرته ، وأضاف انه يقترح أن يختاروا سالم تغل حاكماً لأولاد دقيل . إستحسن الحاضرون و وافقوا عليه في الحال فدرجوه وخلعوا عليه لقب "باسي" الذي يماثل كلمة ملك ، لكنهم لشدة حساسيتهم مع الملك محمد بن اختاروا لقباً مختلفاً عن مسمى ملك التوار . فصار الباسي سالم تغل أول حاكم لإدارة دقيل الجديدة بينما أبقوا العمدة كجوك في منصبه بعد تقويته تقديراً لجهود أبيه إسحق ونضاله الطويل .

القبائل التي تعيش في إدارة اولاد دقيل :

يوجد فرع من العقابا في مزبد يسمى عقابا دوقي هاء مي كما يطلق عليهم

"بييفيروكابي" . وتوجد عشائر لفروع أخرى عديدة .

عموديات اولاد دقيل :

تنقسم إدارة اولاد دقيل إلى عدة عموديات يرأسها كل من :

- 1- عمدة كجوك اسحق في حلة دبر شبيقي .
- 2- عمدة مادبو عثمان في حلة عيش ناو .
- 3- عمدة النور في حلة شيري تير .
- 4- عمدة جلبا اسحق خاطر في حلة هاء ميي .
- 5- عمدة هري حماد في مزبد .
- 6-

المعالم البارزة في دار اولاد قيل :

## القرى والحلال:

مزبد - نوس قبلي بيراء - جاواء - مارو - دوس بيه تير - جيفي - شيري تير -  
عيش بره - عيش نام - هاماراء - هي مبي .

## الجبال :

نوقيلي - اركاكوروس - جوء أوروء - عيشة هاء - هاشي قولي - اركوري هاء ميه .  
الوديان :

وادي مزبد - وادي أو دول - وادي حُمر سوراء - وادي اركاكوروس - وادي زرق -  
وادي باميشي - وادي بي كي - وادي مقرب - وادي إيرماء - وادي جوتارقاء - وادي  
جواد أوشيمي - وادي هوار .  
الدوانكي : نونكي الوخايم - نونكي الحوش .  
الآبار : تي كويلاء في وادي هوار - بئر مزبد .

## (5) زغاوة الفلا (Gala)

الفلا فرع من فروع قبيلة الزغاوة . وتسمى المملكة "دارقلا"

## الأصل ونظام الحكم :

الأسرة الحاكمة للفلا هي الكاليبا ، ونظام الحكم فيها وراثي والحاكم يسمى الشرتاي أو  
وحاضرتها كرونوي . وإن كرونوي مركبة من مقطعين -"كر" ويعني زريبة و"نوي" اسم  
إمرأة كانت تسكن المنطقة قبل تأسيس حاضرة الكاليبا فكرنوي تعني "زريبة نوي" . أما  
الأصل أو الإنحدار السلالي فإن عشيرة الكاليبا والبيريراء والنتجور أبناء رجل واحد وهو  
سليمان الملقب ب "توري تيربو" - اي ذي الطاقة البيضاء - من البدايات - وزعيم الفلا  
هو الشرتاي التيجاني الطيب صالح عبد الكريم عبد الشافع بواري ... الخ .

## حدود ادارة الفلا :





كمندي والميرا وهذه البطون برئاسة العمدة محمد نور حربة ورناسة العمودية في مورشيقي .

## 2- عمودية القلي قيرقي (قليقيراء)

وتقع شمال كرنوي وهي ذات مساحة كبيرة . والقلي قيرقيراء من أولاد بكر وتتكون من جوا - إيما - دارما - و حاضرتها في فورايوة التي تسمى أيضاً "ويه " ويتزعمها العمدة دابو هاشم . وسميت قلي قيرقي نسبة لأخوين كانا يسكنان في قرية واحدة فاختلفا ورحل أحدهما ليشتيد قرية خاصة به فسميت "قلي قيرقي" التي تعني بلهجة الزغاوة : الذي فرق القرية".

## 3- عمودية البقاء (بقاء) :

وتقع شمال كرنوي وتتكون من سبعة بطون هي : تديبي - انيبري - كوجا - إردى - أدارا - قلي بقيرا - ورناسة العمودية في كاموا وعمدتها طاهر حريقة . والجدير بالذكر أن الأكوراء فرع من البقاء وكانت لهم عمودية خاصة بهم قبل 1951 في دارونق برئاسة الملك تركاوي .

## 4- عمودية البيرياراء :

مما تجدر الإشارة هنا أن البيرياراء والكاليبا شقيقان أما التجور فأخويهما من أبيهما وأصلهم من زغاوة البدايات وهي قبيلة كبيرة - كما رأينا - والتي تسكن عدة مناطق في السودان وشمال شرق تشاد وتتكون من ثلاثة فروع رئيسية هي : اتينفا - برونفا - و كورياراء (وهم الأغلبية ) ويسكنون كارو وشمال مزبد ورناسة العمودية في حرمبا وعمدتها صالح خميس.

## 5- عمودية القبائل :

من إسمها تدل على أنها تتكون من بطون وعشائر عديدة تتوحد في عمودية واحدة ، فمن قائل أنها سبع او تسع . ويختب العمدة باختيار جماعي . والعشائر هي : البورّا - احورا - شقيرا - تمانا - كوتارا - تابارا - أولاد دابو - وأيضاً سينّا (سنيراء) و

بيقيه ورئاسة العمودية في هلالية وعمدتها فضل إدريس من عشيرة تمانا (ويسمونها احيانا أولاد كمندي ) .

## 6- عمودية الدواء:

ويقيم أفرادها في مناطق كثيرة ، وتتكون من البطون والعشائر التالية :  
كرا - نوا - اورديو - وتسمى المنطقة دوابيه وحاضرتها حلة دوابيه ويرأسها العمدة عبد الكريم بنات .

والاورديو تنقسم بدورها الى ثلاث عشائر هي الاورديو الأم وجاء أسلافها الى دار الزغاوة عن طريق كيدا في موتوقوني بشمال تشاد الى ام جرس . ويقطن معظم أفرادها في بيتير (البيت الأبيض)؛ وبعضهم في ام كداره (قرية ام ديبية) وعمدتهم الفكي عثمان جرش والآخرين في مهاجرية (قرية جوقان) في جنوب دارفور ، وعمدتهم الشيخ ابراهيم علي مهاجر والعشيرة الثانية هي جاتا ويسكن اهلها قرب أمبرو والعشيرة الثالثة هي جابوكورو و يسكن أفرادها في وادي بيركى قرب كاليبا ضل ضل .

## تاريخ القلا السياسي

عبد الكريم حاكماً على دار قلا :

ذكرنا في معرض حديثنا عن زغاوة القلا أن إنحدارهم السلالي يرجع إلى سليمان توري تيريو . وقد دخل أسلافهم السودان في حوالي القرن السابع عشر الميلادي قانمين إليه من ليبيا وتونس وحطوا رحالهم في منطقة كبسارو غرب بئر امبرو . وعرف اول حاكم لهم احد اجدادهم ويدعى عبد الكريم.

عبد الكريم في حضرة السلطان تيراب :

يقول الرواة والاحباريون إن تجاراً ليبيين أتوا الى حيث يقيم القلا في كبسارو قادمين اليها عن طريق الصحراء الليبية فالعوينات والعطرون وهم على ظهور إبلهم المحملة بالسجاد والبلح والأواني النحاسية ومكثوا في ضيافة عشيرة الكاليبا أياماً . ولما هموا بمواصلة رحلتهم قاصدين السلطان تيراب في طرة ، تبعهم عبد الكريم دون علم والده واخوته . وكان عمره آنئذ لم يتعد الحادية عشر . وكان ينوي تعلم القرآن الكريم وكان على علم أن أم السلطان تيراب من زغاوة الكوبي . ولم يره الليبيون إلا بعد أن بعنوا كثيراً من ديار أهله وكان من المتعذر ارجاع عبد الكريم الى أبيه ، لذلك واصلت القافلة رحلتها الى عاصمة الفور . وحينما قابل التجار الليبيون السلطان تيراب واخبروه ماكان من امر تلك الغلام ابغاه السلطان ليثب في كنفه مع أبنائه لما وجد فيه من نشاط ونجابة وشجاعة . وعندما كبر صار فارساً مقداماً وفي غمرة إعجاب السلطان به ، عينه الأخير (رأس مئة) وأهداه حصاناً مطهماً فصار يرسله إلى حروبه الكثيرة .

وعندما شفت البقارة عصا الطاعة بعث إليهم السلطان جيشاً لكنه رد مهزوماً ، الامر الذي اغضب السلطان كثيراً ، فطلب عبد الكريم من السلطان أن يشرفه بقيادة جيشه لتاديب البقارة ويثار له منهم على أن يختار من حاشية السلطان وجنوده مائة من خيرة الفرسان ليكونوا مائتين جندياً مع المئة الذين تحت إمرته . وافق السلطان واستطاع عبد الكريم ان يهزم البقارة ويرجع الى السلطان منتصراً ومعه ماغنمه من ماشية وخيول . فسر منه السلطان سروراً عظيماً وهم على مكافئته . فطلب منه عبد الكريم أن يوليه زعيماً على اهله القلا في كبسارو . ولم يكن السلطان تيراب يرفض مطلبه ذلك ، فدرجه "سرتاي" وأعطاه قوة من جنده .

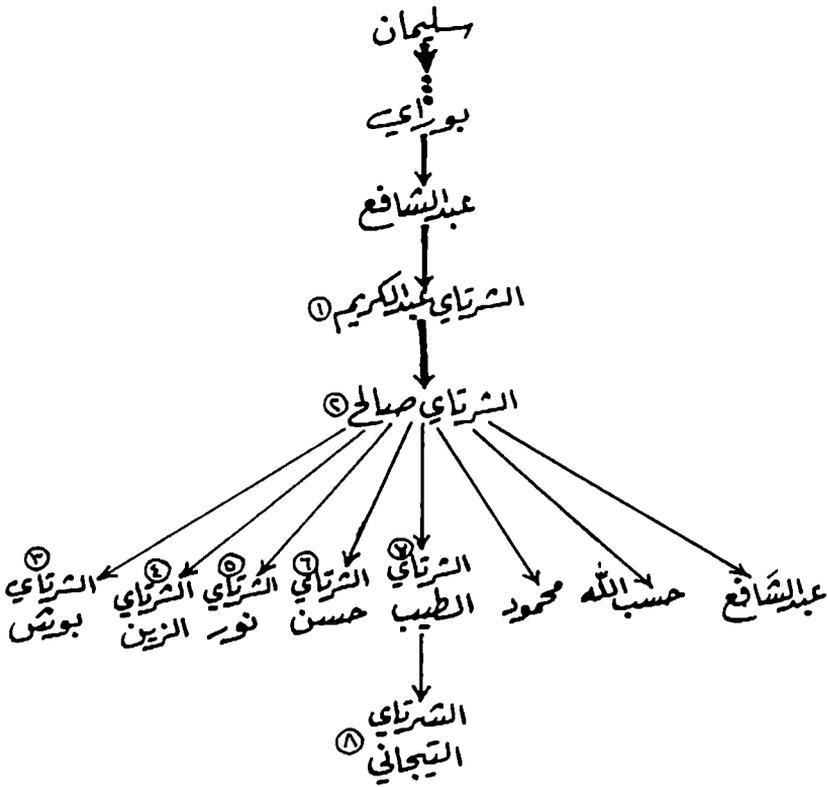
رجع السرتاي الجديد الى اهله الذين كانوا يجهلون مكان وجوده طيلة تلك المدة واعتبروه في عداد المفقودين . وكان عمره عندئذ 35 سنة . فاحتفى به اهله وامتدت فترة حكمه زهاء الثلاثين سنة ، غير فيها عاصمته الى ابيت (عييد) جنوب غرب بئر امبرو (وهي منطقة قريبة من أمبرو الحالية - التي لم تكن موجودة آنذاك - ويسمى منها خوار

الأبقار). وأمن ادارته برسم حدودها الغربية مع زغاوة الكوي و جنوباً مع البني حسين وشرقاً مع زغاوة التوار و شمالاً مع زغاوة البديات.

### تسلسل الحكم :

بعد وفاة الشرتاي عبد الكريم خلفه ابنه صالح الذي كان عمره عشرين سنة فحكم ستين عاماً وعاصر التركية السابقة . وقبل وفاته عين ابنه بوش وريثاً لحكمه . وعاصر الشرتاي بوش المهدي منذ ظهورها 1881م فاستدعاه المهدي مع غيره من زعماء دارفور ليحاربوا ضمن الجهادية في جيشه . لكنه توفي بالجدري في أم درمان قبل أن تبدأ المعارك .

و نُرَجَّ أخوه الزين من بعده حيث حكم حتى دخول الإنجليز الى السودان وقد حارب في جيش الخليفة عبد الله التعايشي في كرري 1898م ، وعاد مع من بقي حياً من زعماء دارفور . والجدير بالذكر انه أحد الزعماء الذين شاركوا في مبايعة علي دينار سلطاناً على دارفور وكان معه الملك مصطفى بحر من زغاوة التوار والسلطان راكب من زغاوة الكوي . واشترك مع علي دينار في إخراج ابوكودة الذي كان سلطاناً على الفاشر قبل مجئ علي دينار للحكم .



(\*مخطط رقم (12) يبين شرطي زغوة القلا(من 1- إلى 8)

عاد الشرتاي الزين صالح الى دار الزغاوة ليُصَرَّفَ أمور مملكته . وبعد ثمان سنين بعث إليه السلطان علي دينار وأرسله في جيشه لمحاربة السلطان أكبر زعيم المساليت الذي رفض الخضوع لسلطنة الفور . وفي معركة دروتي التي هزم فيها المساليت جيش علي دينار قُتِلَ الشرتاي الزين . فخلفه في الحكم أخاه النور صالح الذي حكم ست سنوات فاستدعاه علي دينار الى الفاشر وقتله في ظروف غامضة . وقام السلطان علي دينار بتعيين أخيه حسن صالح شرتايًا على دارقلا فحكم ثلاث سنوات فقط ، فاستدعاه علي دينار ايضاً وقتله كما فعل بأخيه الشرتاي النور من قبل . ويقول الرواة و الاخباريون إن السبب الكامن وراء قتل علي دينار لشرتاي القلا يرجع الى ضغينة قديمة بينه وبين الشرتاي صالح والد القتيلين . ففي عهد التركية السابقة كان أحد

سلاطين الفور (يعتقد أنه أبو الخيرات ) قد لجأ الى دارقلا فاراً من الجنود الأتراك الذين كانوا يتعقبونه وكان معه علي دينار ابن عمه زكريا الذي كان صغيراً ، فاحتسب بالشرتاي صالح في كيسارو - وكانا ينوان الهرب الى ليبيا . فطلب الشرتاي ان يساعدهما بتجهيز جمال و زاد و قُرب للماء خلال ثلاثة أيام . لكنه أخبرهما بأنه لامانع لديه من مساعدتهم لكن قرب الماء تحتاج الى الدباغة والخياطة لفترة لا تقل عن 15 يوماً على الأقل لتجهيزها . فغضبا منه وحنفا عليه ، و إن لم يبديا ذلك علانية لانهما كانا في موقف الضعف . واقترح عليهما الشرتاي صالح أن يذهبا الى صديقه السلطان إدريس - سلطان القمر في كولبوس - (وكان كلا الصديقين ليس على علاقة طيبة مع سلطان الفور) . فسافر ذلك السلطان وعلي دينار إلى سلطان القمر ومكثا هناك في حمايته .

جاء الأتراك بقيادة الزبير باشا رحمة إلى دار قلا مفتعين اثر السلطان وعملوا في الناس تعذيباً وتفتيلاً بغية الحصول على معلومات تلهم الى مكان وجود السلطان المطلوب . ولم يفصح الشرتاي صالح للاتراك مايعلمه عن الجهة التي سار فيها السلطان . فاستمر الجنود الأتراك في إستجواب المواطنين عنوة حتى علموا وجهة السلطان ومن معه حتى لحقوا به في دار القمر لكنهم استطاعوا الإفلات واخيرا تمكنوا من قتل السلطان في منواشي واسروا علي دينار . وبسبب هذه الحادثة اعتبرها علي دينار توطناً بين الشرتاي صالح والسلطان ادريس صار ينتقم من أبناء الشرتاي صالح بعد أن اصبح سلطاناً .

وفي 1913م درج السلطان علي دينار الشرتاي الطيب صالح . ولم يمض على حكمه عامان و سرعان ما استدعاه السلطان على دينار الى الفاشر 1915 ووضع في الحبس ناوياً قتلته . وفي العام 1916 دخل الإنجليز الفاشر بعد موقعة سيلبي ليجدوا السلطان قد غادرها الى جبل مرة ، فأفرجوا عن السجناء السياسيين ومن بينهم الشرتاي الطيب وبعض أبناء الزغاوة وآخرين حيث عادوا الى ديارهم .

واستمر الشرتاي الطيب حاكماً 18 عاماً أخرى في عهد الاستعمار حتى توفي عام 1934 مواتاً طبيعياً . فعقد لواء الحكم بعده لابنه التيجاني الطيب الذي كان تلميذاً في المدرسة المزوجة الاولى بالفاشر منذ 1932 فسلم الحكم - بصفة مؤقتة - لآخيه عيسى الطيب حتى تخرج الشرتاي التيجاني واستلم مقاليد حكم القلا 1936 . وكان معه في المدرسة اخوه محمود الطيب الذي التحق بها 1934 وصار - فيما بعد - عضواً لأول برلمان سوداني حر في الأول من يناير 1954م ثم فى برلمان الأول من يناير 1956 و الذى حل أثر إنقلاب الفريق إبراهيم عبود فى السابع عشر نوفمبر عام 1958 ثم عضواً فى الجمعية التأسيسية بعد ثورة اكتوبر 1964م والتي حلت ايضا بعد انقلاب 25 مايو 1969 . وبذلك يكون للزغاوة شرف المشاركة فى تأسيس نولة السودان الحرة المستقلة اذ ساهم مواطنوا دار الزغاوة بالإدلاء بأصواتهم كناخبين لأول برلمان نودي من داخله باستقلال السودان وكان ممثلهم محمود الطيب صالح طيب الله تراه.

### حكم الشرتاي :

وطد الشرتاي التيجاني حكمه ونقل عاصمته من ابيت الى كرنوي وقسم بلده الى عموديات ست ، وكانت ادارته تتبع لمركز شمال دارفور في كتم . وكان يملك أربعة نحاسات ورثها من ابيه الذي اشتراها من مصطفى ودجاين الزيايدي في مليط الذي اقتناها بدوره من السلطان علي دينار ، وهذه النحاسات تضرب مرة واحدة فى السنة بمناسبة العيد الكبير .



(\*محمود الطيب صالح عضو أول برلمان  
سوداني نائباً عن دار الزغاوة.)

كان الشرتاي التجاني ينيب أخاه حسب الكريم نور صالح المؤلف بالخليفة للقيام  
بإعباء الحكم في غيابه وأحياناً ينيب باسي محمد نور حربة عمدة الكالينا في هذه  
المهمة . وكان الشرتاي رجلاً قوياً الشخصية فصيحاً ظل حاكماً حتى صفت الإدارة  
الأهلية في مايو 1969 وتوفي رحمه الله في عام 1971م.



(\* الشرتاي التجاني الطيب صالح )

## معالم دار قلا البارزة

### القرى والحلال :

كزنوي - كبسارو - دارونق - ضل بارد - كبريكاك - دارما - هلالية - قردي  
- جربوكي - توقي - كامو - بيرجديد - دوايه - قارسلبا - قاسمبا - كالاقا - كيفاء  
- قورسقوق - ناقوميه - شيفي نوبو - شارابي - أورشينق - دتيا - فوراوية - قم  
- مكو - حطة أبو إدريس - بيماره - برقي سوريل - مستريح - تاوييه - كو - قورفوييه  
- جديل - سليكو - تاقرايه - قلايه - الي تامو - حرقوي - شرقتي كوك - حجير  
أبيض - أم مرس - أمريو .

### الأودية :

تجدر الإشارة هنا ان معظم الاودية في دار زغاوة تمر باراضي ادارات مختلفة .  
وادي كزنوي - وادي ام صاط (أم سوقاط) - وادي دارونق - وادي شييرا - وادي ام  
شيك - وادي ساني - وادي منجوربا - وادي مستريح - وادي كيدايه - وادي قرضاية  
- وادي بيرجديد - وادي كالوكوتي - ارييوس جوراء .

### الخزانات والحفائر :

خزان كامو - خزان هلالية - خزان دارما - خزان أبوقمرة - خزان نلكو - خزان  
ابو جداد - خزان نعيم (حفير) .

### الجبال :

دارما هاء - كاموهاء - ضلو قرفو - كبرو هاء - شيري هامو - شقراي  
أقوماء - دبولي هاء - حجر نورا - قارسلبا هاء - هاتوقو - ييري قلا - اجي بي -  
قورفو كوري - توقومي - بي قولي - هامي - ارييوس - هاماراء - كرينق كرينق -  
جايو شيلو - قوي بيتي .

### الدواتكي :

نونكي لوكا .

## زغاوة القلي قيرقي

مقدمة :

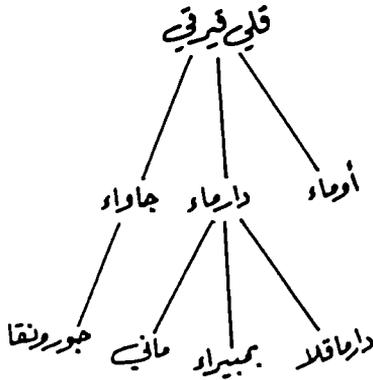
القلي قيرقي عشيرة كبيرة ذات بطون لكل منها شيخ او "إيلاء" . وهي من المكونات الأساسية لفرع زغاوة القلا . وتعد من كبريات الفصائل في دارقلا . وقد لعب افرادها دوراً هاماً في الحياة السياسية في دارقلا حيث قاموا في عام 1961 بحركة عصيان ورفض ضد حكم الشرتاي التيجاني الطيب وكاتت حركة ممانلة و مترامنة لحركة الفلتيك التي استشرت ضد السلطان دوسه عبد الرحمن في الطينة . وقد حصل القلي قيرقي على ما يشبه الحكم الذاتي لمنطقتهم الامر الذي جعلنا نفرد لهم حيزاً في هذا الباب من الكتاب .

اصل التسمية :

يقول الرواة ان تسمية قلى قيرقى التي تعنى بلغة الزغاوة " الذى فصل القرية" نبعث من قصة مفادها ان أخوين عاشا فى قرية واحدة ثم اختلفا على أمر فثلا فى اصلاح ذات البين فرحل أحدهما و أنشأ له و أسرته قرية فأطلق عليه الناس "قلى قيرقى" و أصبح الفرد المنتمى إليه يعرف بالقلى قيرقيراء.

بطون القلي قيرقى

تسمت بطون القلي قيرقى بالقرى التي تسكن فيها . وهذه البطون هي لوماء - دارماء - جاواء .



(\* مخطط رقم (13) يبين بطون القلي قيرقي)

### نظام الحكم :

نظام حكم القلي قيرقي بالتناوب وانحصر بين بطونها الثلاثة ومن العمدة الذين تعاقبوا على السلطة فيها كل من : 1/ الدمليج عبد القديم ابو نويت 2/ الملك ضحية عبد العالي 3/ عمدة محمود ندي 4/ إيلاء عرجة نورين 5/ عمدة ثابت 6/ عمدة دابو هاشم .

### العاصمة :

حاضرة القلي قيرقي هي فوراوية التي يقال إنها تسمية محرفة من "خور رعوية" والتي يطلق عليها الزغاوة "ويه" وأحياناً "ويه حراوي" علما بان كلمة فوراوية ليست لها صلة بقبيلة الفور المعروفة .

### أقسام العموديات :

تنقسم دار القلي قيرقي الى خمس مناطق رئيسية تُكوّن كل منها عمودية او شياخة وهي :

- 1- منطقة فوراوية أو القديم 2- منطقة أوما في الجنوب 3- منطقة أوروء في الشرق
- 4- منطقة بوباء في الشمال 5- منطقة دارماء في الغرب.



( \* صورة لجبل (حجر ماراء) وواحي فوراوية )



( \* فتاتان من لقي قيرقي تمتطيان بعيراً )

### قبائل المنطقة :

تقطن قبائل كثيرة في المنطقة معظمها تنتمي الى زغاوة البديات مثل كراء وبيرياراء وارديبيه وقابا جبراء ومامياء في منطقة بوياء الشمالية واپلاء دقيل في منطقة أروء وقبائل أخرى . والجدير بالذكر ان جميع العمدة أو الشيوخ في المناطق الخمس سالفة الذكر يتبعون مباشرة للعمدة دابو هاشم في فوراوية حيث يحصلون له الضرائب ليسلمها الى مناديب الشرتاي التيجاني في كرنوي الذي يرسلها بدوره الى ضابط المجلس بكتم.

يعتمد سكان عمودية القلي قيرقي على رعي الإبل والضأن بصفة رئيسية كما ان سكان المناطق المختلفة في أروء وأوماء ودارماء بين حرفتي الرعي والزراعة . وللقلي قيرقي وشم واحد عبارة عن هلال مقلوب (الوشم) اما البمبيراء فوشمهم دائرة (الوشم) .

### حركة قلي قيرقي

في بداية الخمسينات من القرن الماضي بدأت العلاقة تسوء بين زعيم القلا الشرتاي التيجاني الطيب صالح ومواطنيه القلي قيرقي في العمودية الشمالية بفرواوية بسبب الضرائب الباهظة التي كان يفرضها عليهم واتهامهم له بأن سجلات كشف وحصر القطعان متعددة وغير مطابقة للواقع مما أيقظت مشكلتهم القديمة التي اخذ فيها حكام الكاليبا نحاسهم كما انهم يعتبرون حاضرتهم فرواوية بسوقها وأبارها منطقة ذات شهرة واسعة ومنافسة لكرنوي وليست اقل شاناً .

ومما زاد الطين بلة ان الشرتاي اخذ من احد شيوخ القلي قيرقي ويدعى ايركوري 16 بكرة عنوة لعدم تمكنه تحصيل جزء من الضرائب في الوقت المحدد له الامر الذي استفز مشاعر القلي قيرقي فكانت العسة التي قصمت ظهر البعير اذ امتنعوا عن دفع الضريبة للشرتاي لمدة 11 سنة كانوا يسلمونها مباشرة للمقتش بكتم حيث نظوا اليه مظالمهم ورفضهم لتبعية عموديتهم لدار قلا وطالبوا بالانفصال عنها . وقد تزعمهم كل من ايلاء عرجة ونورين وامبدة ومحمد ندي الذي كان اول من صنع ذلك الشكوى الى المسؤولين في الفاشر ومن ثم الى حاكم عام السودان في الخرطوم . ولما لم يجد من ينصفه سأل محمود ندي ما اذا كانت في الدنيا سلطة أعلى من تلك التي في الخرطوم ليشكو اليها! وبالرغم من فشله الا انه اكتسب شهرة عظيمة في دار الزغاوة اذ كان يشار اليه بمحمود ندي الذي نقل شكوى القلي قيرقي إلى الامم المتحدة !!

وهناك قضية أخرى اقام دعاها رجل من عشيرة الشقيراء يدعى آدم صو ايلاء مني ضد الشرتاي مفادها ان الاخير كان قد درج منذ حياة ابيه الشرتاي الطيب على اخذ بكرة واحدة عن كل فتاة تتزوج في دار قلا واطلقوا عليها اسم "رُمن" واشتكاه الشقيراء

الى مفتش كتم الا انهم لم ينجحوا في اقتناع المستر مور الذي انحاز للشرتاي وسجنهم ثلاثة اشهر لكن انصفو بعد استقلال السودان ومجئ علي ابوسن مديراً لدارفور والذي لوقف تلك العادة نهائية.

وازدادت الامور سوءاً بخروج عشيرة الشفيرا - التي لم يسلم افرادها من غضب الشرتاي وسطوة مناديه - عن امرة حاكم دار القلا الذي لم يتمكن من اخماد تلك الحركة المتنامية ، وناصروا الطي قيرقي مما جعل المستر مور يعيد النظر في الوضع بتلك العمودية ويعقد صلحا يعطي بموجبه الطي قيرقي وضعا يشابه الحكم الذاتي حيث صارت لهم محكمة فرعية ومدرسة صغرى (سفيريد) ، لكنه ابقى روابطها مع القلا على نطاق محدود لذلك يبدو للمنتبع لخصوصيات تلك العمودية تبو وكأنها إدارة منفصلة وقائمة بذاتها.

قبل الأهالي هناك ما فرضه عليهم المفتش الانجليزي على ماض وخاصة استبعاد ايلاء عرجة ود نورين الذي اتفقوا عليه وتعيينه العمدة ثابت على رأس العمودية في فوراوية بايعاز من الشرتاي . ثم هدأت الامور بين الطي قيرقي - ومعهم مناصروهم - وبين الشرتاي ظاهريا لكنها لم تكن كذلك في احسن الاحوال ، اذ لم تزل النار تحت الرماد تنتظر اللحظة التي ينفجر فيها البركان الخامد . وفي هذه الأثناء ثار أفراد عشيرة البقاء على الشرتاي التيجاني الطيب بما اعتبروه شقا لصفوفهم واشعال نار الفتنة فيما بينهم . ومن المعلوم ان البقاء كانت لها طموحات شتى في الوصول الى السلطة في دار قلا الا ان الكاليبا استعملوا حنكتهم السياسية والاجتماعية في تفويت الفرصة على البقاء اذ عقدوا معها صلحا واتفاقاً سرياً على مكاسب معينة نظير تخلي افرادها عما ينشدون اليه .

وفي الجانب الآخر فإن اتفاقاً عشائرياً داخلياً كان يقضي بأن يظل العمدة طاهر حريفة حاكماً على اهله البقاء لمدة اربع سنوات يتحى بعدها لشخص من بطن آخر يختاره الأهالي في قرية انديري . لكن الامور لم تسر على هذا المنوال اذ تدخل الشرتاي بعد انتهاء فترة العمدة طاهر حريفة وحرضه على عدم التنازل ، وقدم له الدعم السياسي

الكافي لاستمراره في منصبه بالرغم من رفض الطرف الثاني بزعامه تيل دلوم وعبد الله ناير و طاهر حران "أبو تمبوي" من البقاء ومعه آخرون ، حيث جأهروا بعدائهم للشرتاي والاستعداد لمقاومته ومنازلته اذا دعت الضرورة .

هنا التفت مصالح القلي قيرقي والشقيراء والبقاء في رفض حكم الشرتاي وانضم اليهم افراد من عشيرة الدواء بزعامه شخص يدعى شرتاي جمعه نور ، ونسقوا مواقفهم كما عقدوا اتفاق جنلتمان في العام 1961 مما اعتبرت اول مقاومة فعلية لادارة الكاليبا وسلطة الشرتاي . ثم اتخذوا اساليب كثيرة للاحتجاج والمقاومة فأبدوا رفضهم الكلي لدفع الضريبة . فتعرضوا للملاحفة والسجن بسبب ذلك مما دفعهم الى التفكير في الهجرة الى تشاد سالكين طريقاً يمر برهد اندر .

و إزاء هذا الموقف باذر الشرتاي التيجاني بإبلاغ مفتش كتم بما وصلت اليه الامور في ادارته من سوء . ولم يمض وقت طويل حتى جاءه مدير المديرية برفقة المفتش فذهبا مع الشرتاي في أثر أولئك النفر حتى رهد اندر و لكن معظم افراد المجموعة المهاجرة كانوا قد سبغهم الى داخل تشاد مخترقين الحدود وهناك استقبلهم سلطان زغاوة التبويرة عبد الرحمن حقار ورحب بهم وكرم وفادتهم . وسمح لهم باختيار المنطقة التي تلائمهم ففضلوا مايياء اول سنة ثم في بورياء الا ان معظمهم اقام في هريياء حاضرة زغاوة الكوبي في تشاد مدة تزيد على 11 سنة، وكونوا عمودية لهم برئاسة ايلاء بشاره منصور مني من الشقيراء فيما قام السلطان عبد الرحمن من جانبه بإغائهم عن دفع الضريبة لمدة اربعة اعوام .

وفي هذه الأثناء فكر افراد هذه المجموعة في اسلوب الانتقام من الشرتاي لشعورهم بالغبين والمرارة منه اذ هجروا موطنهم ونويهم بسببه . فبعد مضي أربعة أعوام من اقامتهم في تشاد اختاروا خمسة عشر فارساً من بينهم ممثلين للبطون سالفة الذكر ماعدا الشقيراء ، وجهزوهم تجهيزا حسنا بالزاد والعتاد والخيول القوية السريعة للإغارة على كرنوي واخذ كل ابقار الشرتاي ومنازلة من يهب لارجاعها في تحد لم يسبق له مثيل .

وصل المغيرون الى ضواحي كرنوي نهاراً وساقوا قطيعاً كبيراً من أبقار الشرتاي التي كانت ترعى في منطقة قاسمبا ويمموا بها غرباً . وما ان تامل هذا الخبر الى مسامع الشرتاي التيجاني حتى جمع "الفرع" من حرسه وبعض رجاله الذين لحقوا بالمغييرين ودارت بينهم معارك ضارية لم تطل كثيراً حتى اسفرت عن هزيمة الفرع وعاد افراده اندراجهم الى كرنوي وهم متخونون بالجراح . فاستشاط الشرتاي غضباً وقرر اللحاق بالذين نهبوا ابقاره بنفسه مادامت آثارها واضحة . و أزره في ذلك بعض من اقاربه وخلصائه الذين تسلحوا بالبنادق الا ان المغييرين كانوا قد اخترقوا حدود السودان ووصلوا تاريا مفرّ ابو يوسف حقاّر مندوب السلطان عبد الرحمن حقاّر لما قد تترتب عن هذه الحادثة من سوء في العلاقات بين حكام المنطقة . وفي الجانب الآخر وصل الشرتاي التيجاني ورجاله الى رهد اندر وتجاوزوا الحدود النولية حتى وفدوا الى تاريا نون ان من السلطات التشادية ، الامر الذي جعل ابو يوسف حقاّر يتصل بالمفتش التشادي في هرياء مع الأفراد الذين نهبوا ابقاره وادوا جميعا في السجن . اما الابقار فقد امر مفتش هرياء باعاتها الى السودان مع رجال الشرتاي الذين جردوا من اسلحتهم .

تأقلت اخبار متضاربة عن مصير الشرتاي في تشاد وخشي الناس في دارفور عما حدث له الا انه كان في أمن وسلام في ضيافة السلطان عبد الرحمن حقاّر الذي ضمنه وابقاه في داره حتى عاد في وقت لاحق الى الطينة حاضرة زغاوة الكوي في السودان حيث السلطان دوسة عبد الرحمن كان في انتظاره ليكرم وفادته قبل ان يتابع سفره الى كرنوي .

وفيما بعد شكلت لجنّتان في وادي الطينة للنظر في تلك القضية فعقد مؤتمر حضره ممثلون عن السودان برئاسة ضابط مجلس ريفي شمال دارفور وعضوية القاضي المقيم و حكمدار البوليس وسلطين الحدود وهم السلطان دوسة عبد الرحمن سلطان دار كوي والسلطان حسن برقو سلطان كبقا والسلطان عثمان هاشم سلطان دار قمر ، وعن الجانب التشادي حضره مفتش هرياء وقائد الدرك (الجندرمة) وقاضي هرياء (جوش) والسلطان عبد الرحمن حقاّر وآخرون . وقضت الجلسة حضوريا بتغريم الشرتاي التيجاني

مائة وخمسين جنيتها سودانيا . وناقش المجتمعون - بين أمور أخرى - علاقات حسن الجوار والحدود والمراعي .

أما الأشخاص الذين أحضروا الأبقار فقد اتفقوا على ان يتصدر اربعة منهم - كل يمثل الغنة القبلية التي ينتمي اليها - ويعترفوا بانهم المسؤولين عن نهب الأبقار وان الآخرين ابرياء وليس لهم ضلع في الموضوع . و كان ممن تطوع بتحمل تبعات الاعتراف عبد الله سليمان وحسن رمضان من البقاء وبوي داد من القلي قيرقي وشرتاي جمعة نور من الدواء . وكان ان حكم عليهم بالسجن لمدة سنة ونصف قضاها في هريباء . وتجدر الإشارة ان نفرا من المهاجرين الى تشاد قد عاد الى دارقلا وعقد صلحا مع الشرتاي التيجاني ولكن الاخير ظل على معارضيه بالمرصاد بالقبض عليهم وتغريمهم حينما يأتون خلصة الى ذويهم ، وذلك انتقاما لما بدر منهم ماعدا شخص واحد قد سلم من ذلك الا وهو طاهر آدم عتيقة . اما زعماءهم فقد آثروا البقاء في تشاد ولم يفرروا العودة الى السودان الا في عامي 1972 و 1973 وحطوا رحالهم في خزان ابو جداد ويتبعون ادارة الكبقاء بزعامة السلطان حسن برقو الذي تربطه ببعضهم صلة القرى من ناحية أمه المنحدرة من عشيرة الشقيراء.

معالم عمودية القلي قيرقي :

القرى والحلال :

فوراوية - حنقالا - باقويلي - ايرشي تير - تاري ماراء - كيدباء - طويشة - سورا هاء - هامى - جيريو - كوتوياء - كو- تمباشي - مسترى قوربي - مسترى تاوقيلي - مسترى ابوتياء - دوابي هوتاء - دوابي قيد ابوروء - دوابي قورمي - اليتامو - لاوتاء - تقاراء - بياكيذا قيلي - اويداء - قوفوبيري - موتيو - بي ديرقيرو - قارحجر - قوروكويلاء - عمار جديد - دارما هيري سيللو - ماي سيفي - تولاتي كويلاماراء - سوبولي قورفو .

## الجبال :

أبرهاء - قوي بتي - حجر ماراء (فوراوية) دارماها - سدي - سدي تيلي -  
جواء - تيري جواء - هاتاو - كورا هاء - سبكاها - ها جير - بييري فيلا - فتاهاء

## الوديان :

وادي فوراوية \_ قرصاي - ايرماراء - بارداراء ( يمر الطريق الى بئر العطرون  
"بودبواء" تيري جواء .

## الآبار:

ويه باء ( آبار فوراوية) او ما باء - بوياباء (خزان دارماء) - شيمي ايري .

## (6) زغاوة الكايتنقا " kaitinga "

### الأصل وتسلسل الحكم :

زغاوة الكايتنقا فرع من فروع قبيلة الزغاوة . ويرجع انحدارهم السلافي الى اولاد  
تاكو المتفرعة عن رزيقات الشمال . ويطلق عليهم ايضاً زغاوة تكاراء . وكانت منطقتهم  
الاصلية في كبورو في دار قلا شرق كرتوي .

يرووي الحاج عبد الرحمن علي ذهب ان كلمة كبورو نابعة من عملية كبر  
الاشجار اي قطعها وازالتها التي صاحبت اقامة حاضرة زغاوة التكاراء حيث كانت  
هنالك غابة كثيفة مما استدعت تنظيف المنطقة بكبر "قطع" الشجر .

اما اسلافهم فقيل إنهم - والقول للراوي نفسه - قدموا الى منطقة دار زغاوة اثر  
خلافهم مع والي الشام الذي اخذ إيلهم عنوة . فشاور جدهم ويدعى شائك ود محمود ود  
أحمد الرزيقي مع زعيمهم جمعان العويس "جد بني هلبة" ، فاستقر رأبهم على رفض أمر  
الوالي حيث قالوا "لاندفع ولانتبع" واتخذوا من حرف النفي "لا" وشما لابلهم ويعرف  
بالدوال وهو ركاب سرج الحصان . وقرروا الهجرة بعيدا عن نطاق نفوذ والي الشام /

فَضَرَبُوا فِي الْبِلَادِ حَتَّى حَطُوا رِحَالَهُمْ فِي مَنْطِقَةِ " نِيو " الْوَاقِعَةَ بَيْنَ دَارِ الْفَرْعَانَ وَ ارَادَا شَمَالَ دَارِ الْبَدِيَّاتِ وَتَعَقَّبَهُمْ جَيْشُ وَالِي الشَّامِ بِقِيَادَةِ وَدِ السُّودَةِ لِارْجَاعِهِمْ إِلَّا أَنْ جَمَعَانَ الْعَوَيْسِي قَرَّرَ مَقَاوِمَةً وَدِ السُّودَةِ فَوَضَعَ مَكْفَافَةً مَجْزِيَةً عِبَارَةً عَنِ تَنَازُلِهِ عَنِ مَلِكِهِ وَتَرَوِيحِهِ ابْنَتَهُ "جَنُوب" وَمَنْحَهُ مِرَاحَ ابْقَارِهِ " الْخَضِر " لِمَنْ يَتِمَكَّنُ مِنْ مَنَازِلَتِهِ وَدِ السُّودَةِ وَالْقَضَاءُ عَلَيْهِ . فَوَافَقَ شَائِكُ وَدِ مُحَمَّدُ فَبَارَزَهُ وَارْدَاهُ قَتِيلًا . وَ أَوْفَى جَمَعَانَ بِوَعْدِهِ وَلَمْ يَنْفُضْ شَائِكَا شَيْئًا ، إِذْ مَكَّنَهُ مِنْ تَوَلِي السُّلْطَةَ وَالزَّوْجَ مِنْ ابْنَتِهِ جَنُوبَ كَمَا آلَتْ إِلَيْهِ مَلِكِيَّةُ الْإِبْقَارِ الْخَضِر . أَمَا جَمَعَانَ فَعَدَّ أَثَرَ السَّفَرِ وَاسْتَقَرَّ فِي دَارِ بَنِي هَلْبَةَ الْحَالِيَةِ .

وَطَدَّ شَائِكُ حَكْمَهُ فِي أَرَادَا وَتَوَسَّعَتْ رَقْعَةُ حَكْمِهِ وَامْتَدَّتْ حَتَّى حُدُودِ الْبِرْقُو "وَدَاي" فَوُلِدَ لَهُ ابْنُ سَمَاءِ مُحَمَّدُ تَاكُو الَّذِي تَوَلَّى الْحَكْمَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْجَبَ ذُرِيَةً كَبِيرَةً مِنْ بَنِينَ وَبَنَاتٍ إِلَّا أَنْ أَبْنَاءَهُمْ - بَعْدَ مَمَاتِهِ - قَدْ اخْتَلَفُوا فِي مَنْ يَخْلُفُهُ فَتَنَافَسُوا وَتَشَاجَرُوا فَكَوَى أَحَدُ الْإِخْوَةِ أَحَاهِمَ الْأَكْبَرَ بِالنَّارِ مِمَّا جَعَلَ الْمَصَابِ يَتَجَّهُ شَرْقًا طَالِبًا الْمَوَازِرَةَ مِنَ الْحُكَّامِ لِلْقَضَاءِ عَلَى أُخِيهِ وَ اسْتَرْدَادِ حَكْمِهِ . أَمَا بَاقِيُ ابْنَاءِ مُحَمَّدِ تَاكُو فَعَدَّ تَفَرَّقُوا إِلَى خَمْسِ فِرْقٍ أَثَرَ تِلْكَ الْفِتْنَةِ وَهِيَ سَرْقَاي - جَمْعَاي - صَيْطِي - كَرْدُوسِي - عَيْرَاي . وَتَجَدَّرَ الْإِشَارَةُ أَنَّ لِلْجَمْعَايِ ذُرِيَةً أُخْرَى فِي دَارِ الرِّزِيَّاتِ وَتَكُونُ سَبْعَ عُمُودِيَّاتٍ كَمَا لَدَيْهِمْ مَشِيخَةٌ فِي دَارِ كُوبِي فِي مَنْطِقَةِ جَعْرَابَاءَ .

أَمَا جَمْعَايُ فَعَدَّ نَزَحَ مِنْ أَرَادَا وَاسْتَقَرَّ فِي كَبُورُو بَيْنَمَا بَقِيَ إِخْوَتُهُ فِي دَارِ الْغَرْبِ . وَاتَّأَسَّ وَجُودَ جَمْعَايِ وَاهْلِهِ فِي كَبُورُو غَزَاهُمْ أَفْرَادَ مِنْ قَبِيلَةِ خَزَامِ الْعَرَبِيَّةِ بِقِيَادَةِ زَعَمٍ ، وَدَارَتْ مَعَارِكٌ طَاحِنَةٌ فَمَاتَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ أَوْلَادِ تَاكُو . وَيَقَالُ أَنَّ الْمَوْتِي قَدْ دَفِنُوا فِي مَقَابِرٍ جَمَاعِيَّةٍ لِكَثْرَتِهِمْ .

نَجَا جَمْعَايُ وَابْنَهُ جَامِعٌ مِنَ الْمَوْتِ فَنَزَحَا إِلَى دَارِ سُوَيْبِي الْحَالِيَةِ وَحَطَّ رِحَالَهُ فِي قَرْيَةٍ ابْتَوَى غَرْبَ الدُّورِ وَهِيَ قَرْيَةٌ مَعْرُوفَةٌ وَمَعْمُورَةٌ حَتَّى الْيَوْمِ حَيْثُ مَاتَ جَمْعَايُ هُنَاكَ . فَوُلِدَ لِابْنِهِ جَامِعِ ذُرِيَةٌ كَبِيرَةٌ سَكَنَ بَعْضُ مِنْ أَفْرَادِهَا فِي مَنْطِقَةِ تَكَارَاءَ أَوْ تَكَارَابِيهِ مِنْ قَرْيَةِ امْ شَدَقِ شَمَالَ الدُّورِ .

تعرض اولاد تاكو اثناء وجودهم في ابنو الى غزو من بعض افراد قبيلة الزغاوة ،  
فسلبوهم جميع مالدبيهم من ابل فعدموا الراحة ، الامر الذي اعجزهم عن الرحيل .  
فاستوطنوا المنطقة واختلطوا بسكانها وتصاهروا مع قبائلها التي كان يغلب عليها الزغاوة

واطلق على منطقة اولاد تاكو هذه اسم دار سويني . والسويني منسوبة الى  
سواني (جمع سانية ) وهي ابار طويلة في وادي فخمة شرق الدور ومنها اشتقت دار  
سويني .

### حكام الكايتنقا

يقال ان جد الكايتنقا ويدعى ابراهيم قدم الى دار سويني والتحق بحاشية سلطان  
دارفور ، وصار خياط ملابس ماهر فأطلق عليه ابراهيم "كايتي" إشارة الى مهنة  
الخطاطة (كايتي = خيطي اي خيط باللغة الدارجة ويقلب حرف الخاء كافاً عند قبيلة  
الفور . ومثال ذلك : كايّتي كلاقي تعني خيّي حلقّي ، اي خيط جلبابي ) . فأرسله  
سلطان الفور الى جبل مرة وجعله مندوباً عنه في منطقة مري (حاليا عمودية اتيام  
سلامة) .

لم يطب لابراهيم المقام في مري فعاد الى بيت السلطان حيث عينه شرتاي على  
دار الريح التي كانت تشمل دارتوار ودار ارتاج ودار سويني ودار فروق . فاستمر  
يحكمها حتى حتى انفصلت دار توار في زمن الشرتاي سوني ود طاهر . والسبب في  
ذلك يعود الى ان بحر العقبواوي دملج دار توار عندئذ قد زوج ابنته حواء عنكوليب  
للمقدوم آدم محمد والد المقدوم شريف الميئوبي . فتعمد المقدوم آدم على مؤازرة صهره  
بحر الذي درجه السلطان حسين ابو كوده ملكا على دار توار مع فصلها عن الشرتاي  
سوني ودطاهر بعد الفتنة التي حدثت بين مواطني دار توار والشرتاي سوني ود طاهر .  
وجاء الى الحكم علي كروكرو ود طاهر خلفا لأخيه سوني الا انه قتله جنود  
التركية تحت امرة محمد خالد زقل شتقاً . وخلفه اخوه نورين ود طاهر الذي عزله  
السلطان علي دينار من الحكم وعين مكانه محمد حمارو ود طاهر ملكا . ومالبت ان

ارسل علي دينار الملك محمد حمارو في العام 1902 الى دار مساليت لمحاربة السلطان ابكر اسماعيل . فقتل في تلك المعركة وخلفه الى الحكم الملك طاهر ود نورين في نفس العام.

### الارتاج وإدارة الكايتنقا :

في 1920 رفض افراد قبيلة الأرتاج ان يكونوا تحت امرة الملك طاهر ود نورين ، وعصوا امره . فرأت الإدارة البريطانية انه من الأفضل تعيين الدملاج خميس ود منّا ملكا على الأرتاج وفصلها عن سويني التي بقيت للملك طاهر بجانب دار فروق . وفي العام 1923 ثار الأرتاج ضد ملكهم خميس ودمنا فعادوا تابعين لإدارة طاهر ود نورين في سويني . فماكان من الاخير الا ان خصص خمس عموديات لهم وهي على النحو التالي: عين عبد الله عمر عمدة على خشم بيت بيرجي ، وعثمان عمر عمدة على أولاد آدي وانريس تكو عمدة على دنقاري ومحمد احمد فوري عمدة على ام سريراء ثم محمد اسحق عمدة على لوقي .

لم تدم الهدنة مع الأرتاج طويلا حتى تنمروا وابوا الاستمرار تحت حكم الكايتنقا . وقد تزامن تلك زيارة حاكم عام السودان لفتابرنو جنوبي كتم . فعين الحاكم العام بخيت يعقوب تريري " نموراء" ملكاً عليهم . الا انهم سرعان ما ثاروا على الملك بخيت الذي تم عزله وعين مكانه موسى خميس ملكاً .

اما الملك طاهر ود نورين فقد عزلته الإدارة البريطانية عن الحكم وعينت ابنه آدم طاهر ملكا على دار سويني في نفس العام الذي عين فيه الملك بخيت ملكا على الأرتاج ، وتم فصل الأرتاج نهائيا عن سويني .

### نظام الحكم :

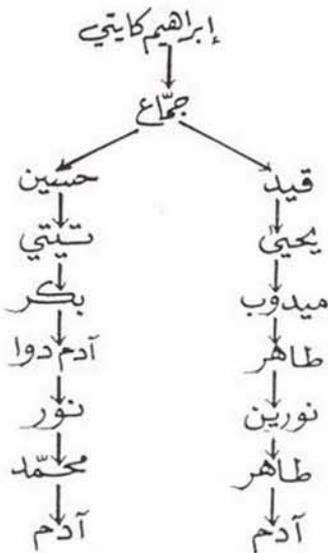
نظام الحكم عند زغاوة الكايتنقا وراثي لا يخرج عن نطاق الأسرة الحاكمة . وكان يطلق على بعض حكامهم الشرتاي لكن تسمية الملك هي الراسخة فيما بعد. وحاضرة

مملكة الكاينتفا هي الدور وزعيمها الملك آدم طاهر نورين الذي ظل ممسكا بمقاليد الحكم حتى صفت الإدارة الأهلية في مايو 1969.



(\* الملك آدم طاهر نورين)

وبعد وفاة الملك آدم طاهر نورين خلفه ابنه شريف



(\* مخطط رقم (14) يبين شجرة نسب لكاينتفا)

## دار فروق وإدارة الكايتنقا :

كانت دار فروق تتبع لإدارة الكايتنقا حتى تم فصلها في عهد السلطان حسين أبو كودة الذي منح الجزء الغربي منها للفكي عبيدة الكايتنقاوي بينما أبقى الجزء الشرقي منها حاكورة لابنته الميرم ام دريس وبعد زوال حكم السلطان حسين أبو كودة تم دمج جزأي فروق شرقها وغربها وعين الفكي عبيدة الكايتنقاوي ملكا عليها بعد ان اصبح زوجها لبنت المقدوم شريف . اما الجزء الخاص للميرم ام ادريس فقد عين لها محمد دلدوم عمدة لها فخلفه فيما بعد العمدة احمد عجين . وامتدت حدود دار فروق غرباً حتى فورنونق (إدارة الملك آدم حسن كنجوك وجنوب شرق مع دار بييري (إدارة الملك آدم محمد نور).

## حدود دار سويني :

تحد دار سويني من الناحية الغربية جبل كورقو وجبل تومات ووادي أوري, ومن الشرق جبل نومو وقرهود وقرفه وام شديرة وجبال ديلما وتنتهي في وادي فخمة (ديسه). ويفصل وادي فخمة ادارتي سويني وبييري من الناحية الجنوبية الشرقية وتمتد شمالا حتى بئر العطرون.

## عموديات دار سويني:

تتظم دار سويني في عشرة دمالج واستبلت التسمية من دمالج الى عموديات

وهي :

- |                    |         |                      |
|--------------------|---------|----------------------|
| 1. قرية قوري       | وعمدتها | اسماعيل مهاجر        |
| 2. قرية خربان      | وعمدتها | حسن علي              |
| 3. قرية أولاد دعات | وعمدتها | مولودو عثمان         |
| 4. قرية كوراء      | وعمدتها | احمداي ابراهيم       |
| 5. قرية تمورقي     | وعمدتها | ادريس آدم (أبو تواء) |

|                             |         |                      |
|-----------------------------|---------|----------------------|
| 6. قرية اولاد دقين          | وعمدتها | ازيرق احمد           |
| 7. قرية البرتي              | وعمدتها | احمد نور يوسف        |
| 8. قرية قومي - اولاد هلال - | وعمدتها | ادريس حسب الله ادريس |
| 9. قرية سينجا (سينفاء)      | وعمدتها | الياس جلال الدين     |
| 10. قرية ابنو وناوراء وسالي | وعمدتها | علي بخيت             |

### الكاييتقا وإدارة دار بييري:

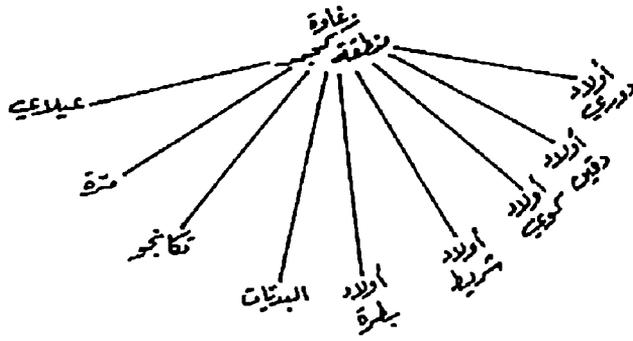
كانت ادارة بييري وحمرة تابعيتين لمملكة التجور . وعند وفاة احد ملوك التجور فرح اتباعه ونووه ، وانشغلوا بالداوانقا عن امور المملكة وفي من يخلف الملك الراحل . انزعج سلطان الفور لعدم تلبية دعوته من قبل اهل ملك التجور المتوفي . وفي غضون ذلك غضب ابن اخت ذلك الملك فانطلق حيث سلطان الفور وروى له ماكان من امر التجور . فما كان من السلطان الا ان درجه ملكاً على دار التجور بالرغم من انه من الكاييتقا وبذلك صارت للكاييتقا ادارتان إحداهما في دار سويني والثانية في بييري بعد ان انفصلت عنها حمرة تحت ادارة السلالة التي انحدر منها الملك محمد عبد الرحمن . حكم دار بييري اسلاف الملك محمد نور حيث خلفه ابنه الحالي الملك آدم محمد نور . وكانت حاضرتها في هشابة وانتقلت منها الى كتم . وكانت دار بييري ضمن عشرة شراتي التابعين للمقدومية في كتم . ولدار بييري اربع عموديات وانكا منها .

### (7) زغاوة كجمر (Kajmar)

الأصل :

الكجمر فرع من فروع قبيلة الزغاوة . ويطلق على أفراد الكجمر مجازا - بعرب الزغاوة - نسبة للبينة التي انتقلوا اليها والقبائل التي عاشوا بينها وما اسفر عنها من تأثير وتأثر .





(\* مخطط رقم 16 يبين عشائر زغاوة منطقة كجمر )

والشاهد ان دوري - جد الكجمر - هو شقيق كل من اقابا (عقابا) وكادام ودقيل واختيهم كداو ونوقوي . وجميعهم من ذرية محمد البرناوي ، وجدتهم تدعى "دومة" وهي عربية من بني هلال.

منطقة أولاد دوري :

يقطن أولاد دوري (إيلاء دوري ) في خزان أورشي الواقع في الطريق بين أمبرو حاضرة زغاوة التوار والدور حاضرة زغاوة الكايتقا . ولهم عدة عموديات يشرف عليها كل من العمدة ابكر عبد الله في حلة تقة والعمدة صالح ابراهيم حسن في حلة اورشي . هجرة زغاوة الكجمر :

علمنا ان زغاوة الكجمر ينتمون الى الأسرة الحاكمة لدار التوار التي كان لها نظام خاص لتوارث الحكم ، بحيث انه ينتقل تباعاً على نسق متفق عليه منذ الأيام الأولى لتولي التوار على الحكم . فكان مقررا ان يحكم اولاد دقيل اولاً ثم اولاد دوري و يليهما عقايا ثم كجمر . ولما كان الدور في الحكم من نصيب كجمر وآل اليهم النحاس حسب الاتفاق الاسرى المسبق استأثر بنو عمومتهم العقابا - الذين أخذوا دورهم من قبل - الحكم لأنفسهم وحجبوا عنهم احقيتهم مما ادخل الطرفين في خلاف مافتى ان تطور الى نزاع مرير وصراع على السلطة .

ولما وصلت المشاكل نروتها ولم تؤد جهود الجودية والمصالحة الى حل مرض  
ومنصف ، أثر الكجر على الرحيل الى خارج منطقة دار الزغاوة الى بقعة اخرى  
ينسون فيها - على الأقل - ظلم نوي القري وهوموم الحكم .. متمثلا فيهم قول الشاعر  
العربي :-

وظلم نوي القري اشد مضاضة      على النفس من فعل السنان المهند  
وأيضاً :

ألا أن قرب الدار ليس بنافع      اذا كان من تهواه ليس بذى عهد  
وفي نفس الوقت ضرب المنطقة جفاف وقحط شديدين فاختر الكجر كردفان  
ملاذا ومنفى اختياريا لهم وهاجروا اليها وحطوا رحالهم بالقرب من بارة ، حيث حاضرتهم  
كجر وصاروا يتبعون اداريا لمجلس ريفي بارة . وهناك اصطموا مع سكان المنطقة  
الذين اغاروا عليهم فأبالوا تسعة وتسعين رهطا من زغاوة كجر ولم يبق منهم الا رهط  
(بيت) واحد يمثل الكجر الحاليين الذين هم من سلالة ذلك البيت الناجي من المذبحة .  
يقول الراوي الشيخ بشير أحمد قسم الله الزغاوي المقيم في قرية أم جر الشرقية  
بالنيل الأبيض شرقي مديفة النويم :

" إن هجرة زغاوة الكجر إلى كردفان تمت قبل ظهور المهديّة أي حوالي  
1800م . و اقاموا في منطقة كجر التابعة لبارة. كان تعدادهم حتى عام 1958 حوالي  
28 ألف نسمة ولديهم 28 شيخاً يمثلون العشائر القبلية للزغاوة . وتجدر الإشارة ان  
بعضاً من تلك العشائر قد تغير اسمائها ، بينما بقيت الأغلبية على مسمياتها الأساسية  
التي وفدت بها من دار الزغاوة في دارفور .

وفيما يلي جدول شامل للتفرعات العشائرية للزغاوة التي تقطن منطقة كجمر :

| إسم فرع العشيرة   | الفرع الذي ينتمي إليه بدارفور | مناطق سكناها بمنطقة كجمر بكردفان       |
|-------------------|-------------------------------|--|
| 1 أولاد دوري      | إيلاء دوري - نوار             | قرى أم دبة/مقاهرة/الهجليج /كجمر        |
| 2 أولاد دقين      | إيلاء دقيل - نوار             | قرى الهبوية/ الحقينة                   |
| 3 أولاد كوي       |                               | قرى كجمر/القيورات/الكثر                |
| 4 أولاد شريط      |                               | قرى مقاهرة/ القريوت/قرود/التبون        |
| 5 أولاد بطرة      |                               | قرى القريوت/جبل القطيع/الهبوية         |
| 6 البيديات        | البيديات - توباء              | قرى الشوافة-الكثر/ الشوافة الثانية     |
| 7 تكانجو (تكلينو) | أغلب الظن من الكوبي           | قرى الجهانية/بنيوتي/الحليلة/الحريز     |
| 8 مرّه            | مره أو مبراء - الكوبي         | قرى القيورات/الحريز/الولاي             |
| 9 عيالي           |                               | قرى الحقينة/جزء من كجمر/جزء من الهبوية |

### نظام الحكم :

نظام الحكم عند زغاوة كجمر وراثي بصورة عامة إلا انهم خرجوا عن هذه القاعدة أحياناً لظروف خاصة بهم . والاسرة الحاكمة هي عشيرة أولاد دوري . ويسمى زعيم الكجمر وحاكمها الملك ثم تغير لاحقا إلى العمدة وهو يملك النحاس الذي يعتبر رمز الحكم ، أما حاضرتها فهي كجمر .

### تسلسل الحكم :

اول من تقلد زعامة كجمر في كردفان هو الملك التوم ابراهيم من أولاد دوري الذي خلفه ابنه محمداني المك التوم بعد وفاته ، لكن الحكم إنتقل إلى عشيرة اخرى عندما تولى العمدة احمد رجب تريكاوي مقاليد الحكم ثم اعاد أولاد دوري حكمهم في عهد

العمدة إدريس ودهجو . وآلت السلطة إلى العمدة حسن أحمد الصديق من عشيرة عيلاي الذي ظل في هذا المنصب حتى صفت الإدارة الأهلية في مايو 1969 .  
الحرفة الرئيسية :

يمتحن أفراد زغاوة الكجر حرفتي الزراعة وسعاية الماشية كالابل والضان والبقر شأنهم في ذلك شأن سائر فروع قبيلة الزغاوة ، كما أن بعضهم يعمل في التجارة التقليدية وتجارة المواشي في كردفان وام درمان .  
التقاليد واللهجة :

احتفظ زغاوة كجر - ولمدة طويلة - بعادات الزغاوة وتقاليدهم وبلغتهم بييري آء" التي لم تستطع الصمود لظروف تلك البيئة الجديدة ، فظلت تحسر شيئاً فشيئاً إلى أن اضمطت في أوساط آخر جيلين تقريباً ، وبقي الحنين الدائم إلى الجذور والأهل موصولاً رغم النوى ، كما ظل الكجر محافظين على هويتهم الزغاوية على الرغم من تأثيرهم وتأثرهم بالقبائل التي تجاورهم .

القرى و الحواضر الهامة لدى زغاوة الكجر:

كجر - أم ديه - مقاحرة - الهجيلج - الهبوية - الحقينة - الفيورت - الكتر -  
القيوت - قريود - التبون - جبل القليح - الشوافة - الشوافة الثانية - الجهانية -  
بنبوتى - الحليلة - الحريرز - الوادى.

## (8) زغاوة الكوبي (Koobei)

الأصل و نظام الحكم:

الكوبي فرع من فروع قبيلة الزغاوة ويرجع انحداره السلالي إلى أصول ليبية ، ويعتبر من أكثر فروع الزغاوة التي لها انتشار مكاني . وتتمتع منطقة زغاوة الكوبي بأهمية خاصة لأنها تتكون من ثلاث إدارات منفصلة ، إثنان منها في السودان وهما سلطنة الأنفو جيراو بزعمة السلطان دوسة عبد الرحمن وحاضرتها الطينة . وسلطنة الكباء بزعمة السلطان حسن برقو وحاضرتها طنضبياه . والثالثة تقع في تشاد وهي

سلطنة الأنقو تبويراء بزعامة السلطان عبد الرحمن حفار وحاضرتها هريباء . وسنعرض  
عن الكوبي بالنفصيل في الباب الثالث الذي خصصناه له . والكوبي على الرغم من  
تعدد إداراتها إلا أنها ظلت وحدة متماسكة مرتبطة كجزء لايتجزأ من قبيلة الزغاوة .



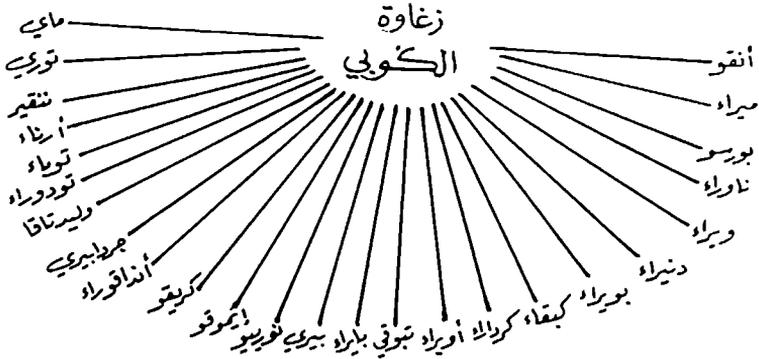
( \* السلطان دوسه عبد الرحمن )

نظام الحكم عند زغاوة الكوبي وراثي والحاكم يسمى السلطان . وفي العهود  
السالفة كان يعاون في تسيير مهام سلطته مجموعة من زعماء العشائر لهم تسميات  
كثيرة منها :

(أ) إبناءء : كما عند البيري و التبوقي وناوراء وأبو قوناء و وبراء و بورسو .  
(ب) خليفة : كما عند الأويراء (خليفة هورون) و السناراء (خليفة ضراء) وعند  
حداحيد الجبراء : خليفة أرقو خليفة تاوي وخليفة مرجان .  
(ج) مقدوم : كما عند الأنقو مايكاسوراء " مقدوم فضل" في تشاد و مقدوم سيردو في  
السودان .

(د) كاميني : كما عند الكريفو " كاميني ديفي وكاميني كويوي " .  
(هـ) تقانجو : كما عند الميراء .

وظل الحكم في الجانب السوداني يدار بنظام الأهلية حتى صفت في مايو 1969 .  
كما صفت الإدارة الأهلية في الجانب التشادي بعد قيام الثورة النشادية .



**(\*مخطط (17) يشتمل على بطون زغاوة الكوبي الرئيسية)**

\* نرجو أن تشير لي له توجد بطون اخرى يجدها لقارئ منكورة في مكان آخر من هذا الفصل.

تعتبر زغاوة الكوبي من أوسع فروع قبيلة الزغاوة تشعبياً في الفصائل والعشائر التي يستحيل وضعها في مخطط واحد ، لذلك رأينا ان تصنفها إلى مجموعات في الباب الثالث .

**العموديات :**

عموديات دار الكوبي كثيرة لايمكن حصرها بسهولة ، لكن المهم ان المسئولين المباشرين امام السلاطين لهم مسميات محلية متعددة - كما أسلفنا إذ يطلق على بعضهم "إيناء" وبعضهم الآخر " خليفة" ومشايخ القرى "قيني بئاء".

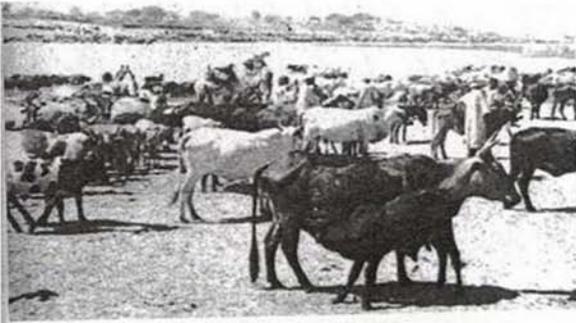
**حدود المنطقة :**

تحد دار زغاوة الكوبي دار قلا من جهة الشرق ودار القمر ودار المساليت من جهة الجنوب في السودان ، ودار البرقو "وداي" والتاما ودار القرعان والتويو في تشاد ، ويتضح انها رقعة واسعة من الأرض تقع في نطاق دولتي السودان وتشاد .

## معالم دار الكوبي :

القرى والحلال : نود أن ننوه هنا أن بعضاً من المناطق المذكورة مشتركة بين زغاوة الكوبي وزغاوة البديات :

1) الطينة: (توناء) - باساو (خزان باساو) - بامنا - باهاي - باكاوسوري - هيري كونا - باقوكونا - حر ما بنزل - توقيى أو بوباية ديب او عشته - بوباية أبو هاي - اوسطاني - شيك - نفوييه - ايرييه - كيرا حلة أبوبكر - كيرا حلة ابو ادريس - كيرا حلة آدم جربو - نوربيه - جيبه ماراء - سيني كوبوك - جيبه تاي - باساو حلة ابو نور - وباساو حلة جاردا بييري - جوبا حلة أبو بشر - جوبا حلة خليفة مرجان - تياراحيقو حلة أولاد ايناء حقار - تياراحيقو حلة مونقوسى أبو عمر - تياراحيقو حلة فضل بامبو - قدير منجور باء - قدير مناء - قدير حلة ابو حيارة - قدير حلة ميس أبو أمنة - قدير حلة ابو ابراهيم عامر - قدير موديوء - قدير سوراى جاري - قدير حلة ادريس قصب - قدير بيبه تير - كرينك - كيراباء - شديب - ماعون - حوقاي - اورسينق - جتيراء.



( \* صورة لخزان باساو )

(2) طنضبایة (طنڈبای دومباریک) - ناء - بورون - سیقینی - تفروریہ - نمائیک - اودیہ - جیرا - اڈیایہ - سفیاء - حوجی - جینای - اینی کایرو - سیویہ - قوزیہ - بیقی بیہ .

(3) ہریاء - کویاء - بارداباء - تریاء - بوریاء - جقراباء - مایاء - اوریاء - بیاء - نفویاء - نوقویاء - سردیاء - سفیاء - تامبء - اوریاء - باسقیری - باکوری - باجوسی - باقوکوناء - جوماکوناء - سونودانفا - باکوناء - ایفاء - اورداء - تارپاء - قویاء - کوراء - نیو - ایر - کی های - قاوجی - ارقاقونی - انی - مودور - مسروب - دمسی حوجی - کوراء سیری - اوقنء - سارین - سوقونی - سندي - قولکا - مادی قوندي - کورفو - نانو - اودیہ - اودیہ - بوروی - تویاء سیقی - نورقوسی - تدارا - ویہ - ایریہ - تویوی - اری کیدی - قورفوتن تین - جوقی - تریسور - کیروھوی - منھیر - اوقوتایرو - کشم أجنی - (خشم الجنة) - نورسی اڈیاء - نورسی مایاراء - تورقوء - داریاراء - قیرا سوقوت - جوروقی - نوي - بوریہ - بویری - أم بلات - بیرقی جوك - ام بلیل - موردي - باو - مارديیہ - یرکی - تولو .

## الجبال :

کوبی - میر - نانوسورو - جیری تاقورو - تویوی مانیراء - ویہ - نورسی مایاراء - کبفاء - دورقوسی - کپراوی "جبل السنة" - تانداراء - بیبء - اوقویاء - اینیمہ - میاء - اوموراء - حره - کاراء - موردوسورو - ماروقوی - کوبوء - ماردي بیہ - وایاء - تری کوفوء - ایناء قینی - بغداد ماراء - ایہ جوی - ایریہ - بیدیہ - هامی - تیاراحیفو - جویویہ - حر ما بنزل - دیرونق - اویوء - قاوجی - ایمی سیری - همیسی - جباد - کورقوء - مایکاسو - هاییری - انداھو - باو .

الأودية :

أبوسنط (ابوسون) إير - اورباء - تريسور - كورنوي - كودوقا - توبوي -  
قادير - سيراء "وادي عرديب" - سواتقي - تريباء - جورا مقونوس - منجور باء.

## (9) زغاوة منطقة أنكا - (Anka)

مقدمة :

زغاوة منطقة أنكا فرع من فروع قبيلة الزغاوة . وتعاقبت على الحكم فيها ثلاث  
عشائر هي البيرياء والمرة والنيقيري لذلك رأينا انه من العسير إطلاق اسم احدى هذه  
العشائر على إدارة منطقة انكا والسبب الثاني ان هذه المنطقة تابعة لإدارة بييري تحت  
حكم زغاوة الكايتفا وبالتالي فهي جزء هام لا يتجزأ عن تلك الإدارة . ويشبه وضعها  
تماماً سلطنة الكفا التابعة لإدارة الكوي في الطينة .

### إدارة زغاوة النيقيري "Nigiri"

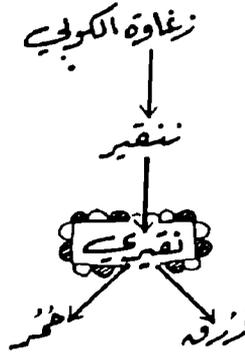
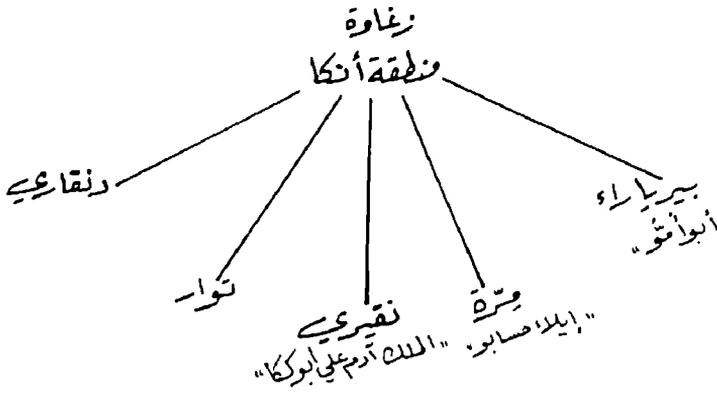
إن جاز لنا ان نسمي منطقة أنكا بإدارة الزغاوة النيقيري فمردها إلى أن النيقيري  
هي آخر العشائر الثلاث السالفة الذكر والتي حكمت منطقة انكا فترة طويلة .  
الأصل :

يرجح أن يكون الانحدار السلاس لزغاوة النيقيري متصلاً بقبيلة النفيير المتفرعة  
من زغاوة الكوي .

نظام الحكم :

كانت إدارة أنكا تتكون من ثلاثة دمالج والدملج أكبر من الشيخ وأقل درجة من  
العمدة . لكن تسمية الدملج تغيرت فيما بعد إلى العمدة ثم إلى الملك . وعادة يترأس  
الدملج عشرة مشايخ . ونظام الحكم غير وراثي إذ تعاقبت على إدارة أنكا ثلاث عشائر  
(أسر) حاكمة هي البيرياء وزعيمها أبوأمو (منا) والمرة وزعيمها إيلاء حسابو تور

جفيل والنيفيري وزعيمها الملك آدم علي أبو ككا الذي ظل في الحكم حتى صفيت الادارة الأهلية في مايو 1969 وحاضرة الحكم هي أنكا .  
وتتبع إدارة انكا لدار بييري التي يرأسها الملك آدم محمد نور الكايتقاوي . وفي  
السنين الاخيرة صارت كل أنكا في مملجية واحدة حيث تركزت السلطة الادارية في  
عشيرة المرة بينما آلت نيابة الادارة للبيرياراء اما السلطة القضائية فبقيت عند النيفيري .



(\* مخطط رقم (18) يبين زغاوة منطقة انكا)

ينتمي زغاوة منطقة انكا الى خمسة "خشم بيت" كما أن ثلث السكان ينحدرون من اصل زغاوة التوار (عقبه و دقين ودوري). وتعيش فيها أيضاً بعض القبائل العربية وقليل من اولاد ضاد .

عموديات دار زغاوة انكا :

تنقسم إدارة زغاوة أنكا إلى ثلاث عموديات :

- 1- عمودية ساني شرقي وهي التي تتبع لها أنكا .
- 2- عمودية قونق.
- 3- عمودية ديسا.

## التجارة :

زغاوة منطقة أنكا شأنهم شأن بقية فروع قبيلة الزغاوة يعنى أفرادها على تربية الإبل والماشية والاتجار فيها . وسوق انكا من الأسواق الهامة في المنطقة . يأتي إليها التجار من مليط ومزبد وأم درمان لشراء الجمال التي يرسلونها إلى أم درمان ومصر وليبيا لبيعها . كما تزدهر فيها تجارة الخراف التي ترسل الى الفاشر ومليط والأبيض والنهود وام درمان وأيضا الى مصر .

### القرى الهامة في المنطقة :

أنكا - حلة أمرايه - سيرى تير - لبوس - حديله - ام هشاب - قونق وديسه .



( \* رجل مسن من الزغاوة يسرج حصاته )



## لباب الثالث

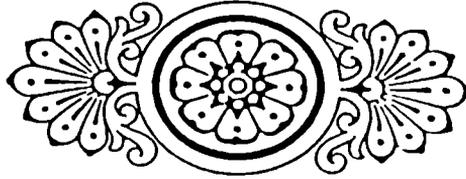
### زغاوة الكوبي

### Zaghawat Al-koobei

الفصل الأول : مقدمة عن الكوبي وتقسيماتها .

الفصل الثاني : النشاط البشري وجغرافية لمنطقة

الفصل الثالث : تاريخ التعليم في دار الزغاوة



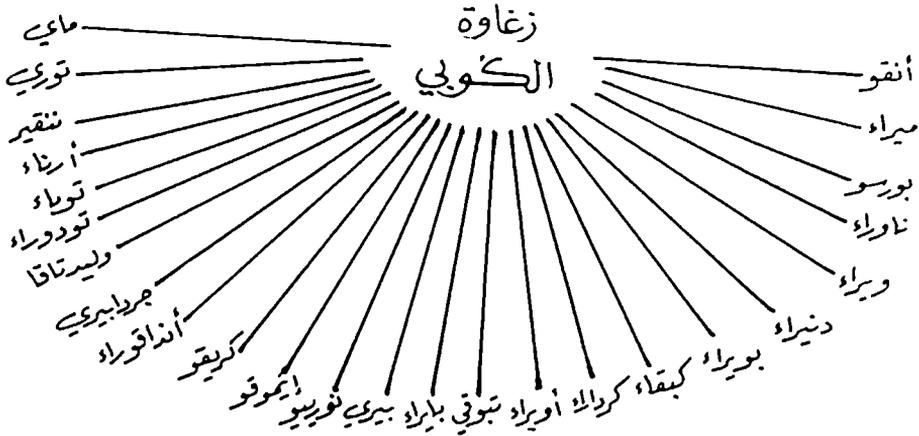
## الفصل الأول : مقدمة عن الكوبي وتقسيماتها

زغاوة الكوبي او الكوياراء فرع من فروع قبيلة الزغاوة - كما رأينا في الباب الثاني من هذا الكتاب- وهي ذات اصول ليبية وقد أخذت اسمها عن جبل " كوبي أو هاء كوب " في شمال شرق تشاد الحالية . وفي هذا الجبل استقر اسلاف الكوبي اول ما دخلوا هذه المنطقة قادمين اليها من ليبيا . ويطلق على الفرد الكوبي اصطلاح الكويابي او الكوياراء .

وكانت دار كوبي هي المنطقة التي تشغل المساحة الممتدة من دار قلا (كرونوي) شرقا الى دار البديات (بيرييه) والفرعان (فادا وفايا) شمالا ودار وداي غربا في ابشي ودار القمر (كوليبوس) ودار مساليت في الجينة جنوبا . وهي منطقة شاسعة تتخطى الحدود السياسية الحالية لأن المستعمر الفرنسي والبريطاني لم يدخلوا هذا الجزء آنذاك ولم تكن الحدود قد رسمت بين تشاد والسودان الحاليين ، فأقامت الكوبي سلطنتها التي تعد من اقدم الممالك في افريقيا اذ امتدت من 1410م حتى صفت الادارة الاهلية ابان مايو 1969 م. وظل الحكم وراثيا ابا عن جد محصورا في فرع الانفو وكانت حاضرتها في جبل كوبي ثم انتقلت الى كوياء التي تقع شرق هريباء ثم شرقا الى منطقة بنيبي Binibeh ودور قوسي Durgoosi فكوياراء Keiaba واخيرا الطينة Attina الحالية . ان انتقال حاضرة الكوبي كما ورد اعلاه نتج عن عدم الاستقرار السياسي الذي كان سمة هذه المنطقة التي ظلت بين الشد والجذب بين مملكتي وداي في الغرب ومملكة الفور في الشرق - وسنتناول هذا الموضوع بالتفصيل في الباب الخامس والخاص بالتاريخ السياسي للكوبي .

ان لزغاوة الكوبي فصائل عديدة وكل فصيلة تتشعب بدورها الى عشائر "بطون وخشوم بيوت " والمخطط ادناه - لضيق المجال - غير شامل لكل فصائل الكوبي

وسنفرد لها المجال ونشير اليها فيما بعد . تجدر الإشارة هنا الى ان اكبر فصائل الكوبي هي : الأنفو والبورسو والنوراء والويراء .



(\* مخطط رقم (19) يبين بعض فصائل زغاوة الكوبي)

#### تقسيمات الكوبي :

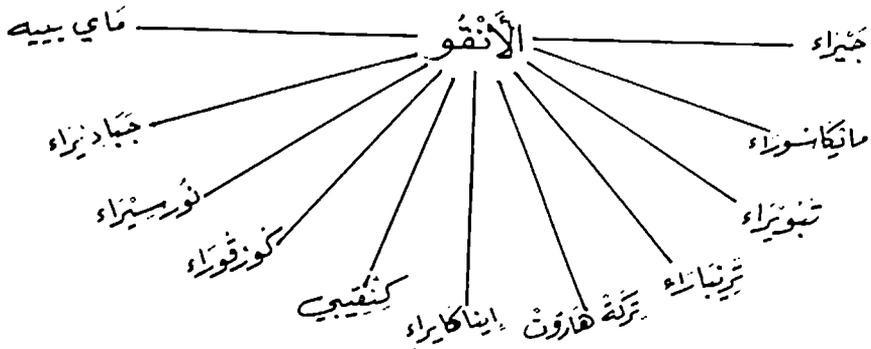
تعد زغاوة الكوبي من اكبر فروع قبيلة الزغاوة فصائلا ويطونا ولايمكن وضعها على نسق منتظم ماعدا الأنفو التي ينحدر منها احد عشر فرعاً معلوما ، اما باقي العشائر فإنها في الغالب ليس لها بطون اخرى فرعية ماعدا القليلة جدا ولا تتعدى بطونها الثلاثة ، لذلك رأينا ان نضعها جميعا في ثمان فصائل او مجموعات حتى يسهل على القارئ تتبعها بسهولة ويسر . وتجدر الإشارة هنا الى ان اغلب هذه الفصائل تأخذ اسمها من اماكن سكناها الأولى او من شواهد بيئية كالجبال والادوية والاشجار الكبيرة واحيانا من الكائنات الحية ، وهذه سمة - بالضرورة - لكي تميز بها نفسها عن باقي الفصائل من حيث أصلها وحدود مناطق سكناها لذا نجد ان نهايات كثير من اسماء هذه الفصائل تنتهي بالهمزة او الهاء وهما من اكثر الحروف التي تنتهي بها الكلمات في لهجة الكوبي . والفصائل المعنية هي :

الفصيلة الأولى : " الأنفو - Ango "

هي الفصيلة التي حكمت الكوبي منذ أقدم العصور وحتى التاريخ الحديث . ويشترك جميع أقسام الكوبي وعشائرها التي لها ملك في جبل واحد هو حجر كوبي " أو هاء كوبي" . وتنقسم فصيلة الأنقو الى عشرة بيوت "خشم بيت" والبيت الحادي عشر هو بيت حداد الأنقو وهي كما يلي :

- 1- جبراء (نسبة لجبل جبيري)
- 2- ميكاسوراء (نسبة لجبل مايكا سوراء)
- 3- تبويراء (نسبة لجبل تبوي)
- 4- تريباراء (نسبة لبئر تريباء)
- 5- تركة هاروت (نسبة لهاروت بن هلال "حنان")
- 6- ايناء كابيراء (نسبة لاينا كاري) وكلمة ايناء كاري تتكون من مقطعين "ايناء" وكاري" فكلمة ايناء تعني الملك او الحاكم وكاري معناها جاء فمعنى ايناء كاري اذن جاء الملك او الحاكم .

7- كنفبيي (ينسبون الى الفرعان او بديات الاردبيه عن طريق امهم) وكلمة كنفبيي تتكون من شقين "كنفي" التي تعني الشيخ و"بيي" وتعني البيت لهذا فان كنفبيي تعني بيت الشيخ ويقال ان التسمية ناتجة عن ان فارق السن كان كبيرا بينه وبين بقية اخوانه الانقو حيث كان يبدو مشيبا .



( \* مخطط رقم (20) يبين تفرعات عشيرة الأنقو الأحد عشر)

- 8- كورقوراء (نسبة لجبل كورقو وينتسبون الى قبيلة عربية من جهة امهم).
- 9- نورسيرا (نسبة لجبل نورسي شمال شرق هرياء).
- 10- جباديراء (نسبة لجبل جباد في اورباء).
- 11- ماي بيبييه (هذا هو حداد زغاوة الكوبي).

### الفصيلة الثانية : الكبقاء (Kabga)

نسبة الى جبل كبقاء وتتكون هذه الفصيلة من ثلاث عشائر هي :

1- انايراء (السلطان آدم عبيدة)

2- كونسيرا (السلطان حسن برقو)

3- سعيد كابي (السلطان باري)

والكبقاء سلطنة عريقة في تشاد ومنطقة طنضباية .

الفصيلة الثالثة : هي أهالي المنطقة قبل نزوح الانقو اليها وتشمل :

1- جودي : وهم اقلية تتواجد في تشاد وينتسب اليهم ايناء كودي يعقوب الذي حكم البيراء .

2- ميراء او مرة (نسبة لجبل مر mir المجاور لجبل كوبي ) ومعنى مر بلهجة الكوبي تعني الحنظل . وهم حكام البلد الاصيليون قبل استحواذ الانقو على حكمهم حيث الاسطورة تقول بأن الانقو قد اشتروا الحكم من الميراء بسن الفيل بدهاء في وجه سذاجة وغفلة الطرف الآخر .

3- ميس - mis

4- نوريو - Norio

5- تودوكورقي - Todokorgei

6- برقيبيرا - Bergibeira

7- قاراقوروق - Garagoroug

8- تارياء - Tariara

9- تاقياراء - Tagiara

10- ييباء (نسبة الى ييباء) بنر الغنم

11- هريباراء (نسبة لبنر هريباء).

الفصيلة الرابعة : وهي أكبر الفصائل عددا بعد الاتقو وتشمل :

1- بورسو : وينقسمون الى بورسو هريماراء (نسبة لهريماراء اييري - اي بوباية

البقرة الحمراء). وبورسو هاييراء (نسبة لجبل هاييري - أي الجبل البني) .

2- ناوراء : وينقسمون الى ثلاثة اقسام (أ) مردى باراء (نسبة لساكني النقعة وهي

الارض الفضاء). (ب) ناوراء مي (زرق) . (ج) ناوراء ماراء(خمر).

3- ويرا : نسبة لجبل ويره وينقسمون الى فرعين (أ) اييراء(ب) بوقجويره ولهم

مقدومية واشهر مقاديمهم حمد الله .

4- ييري : وينقسمون الى ثلاثة فروع (أ) كيرواراء (نسبة لجبل كيرواي - جبل السنة

ب) قاوجيراء (نسبة لجبل قاوجي) . (ج) اييراء (نسبة لجبل ايى سيري بالقرب من

كوباء قرب هريباء) .

الفصيلة الخامسة :

1. جارد اييري 2. ننقىر 3. ييبيراء

4. همسيراء (نسبة لجبل همسي) 5. أيوقاراء 6. تريباراء

7. توري وينسون الى عرب العطاوية (العطاوية) من ناحية أهم.

8. ايموقو ومنطقته جبل درياء ومن حكاهم ايناء اتي .

9. وليد تاقاء (أولاد تاكو وهم عرب ، يسكنون جقرباء غرب الطينة ومنهم ايناء احمد

ونصر بنقى

10. اورديو

11. دنيراء (اشتھروا بجمال نساھم وھم خوال السلطان راكب)

12. كردراء

13. دارياراء

14. بايراء وھي أربعة اقسام :

أ. اقوياراء (ايناء كودي يعقوب -"سوننو".

ب. ثلوراء (ايناء أبتا)

ج. ديرونقءاء(نسبة لجبل ديرونق).

د. قروفءاء(نسبة لجبل قروف ، منهم ايناء عبد الله).

الفصيلة السادسة :

1- كريغو وينقسمون الى اربعة اقسام :أ) مارتيني ب) ايوقاراء : نسبة لجبل أويوء

(جبل الجير ج) ترونقاراء د) ارسوراء

2- توبوقي ( ايناء احمد جوء)

3- بويراء

4- أويراء

5- تودوراء

6- ايراء ومنهم ايناء قورجوء

7- أرناء

8- كردراء

9- جيريباراء

10- موردوراء

11- تاقياراء

12- نغور جوناراء

13- بي ديراء (في الشمال) وأبوديراء (في الجنوب) وينسبون للبرنو من جهة امهم ويسكنون قرب نانو .

14- قوقورداء

15- ايروديراء

16- ساتاراء ومنها أبوهاي

17- كاناقاراء

الفصيلة السابعة :

1- أبوقوناء Abu-guna

2- باوراء Bora نسبة لباو

3- نوقوري Nugoori

4- هابايفي

5- بروندويراء

6- نوريبو n'eoreo

7- قاربو Garbo

8- تورني Torni

9- مايديراء Mydira

10- انداقوراء (نسبة لاندافو كيدياء)

11- بقادا مايراء

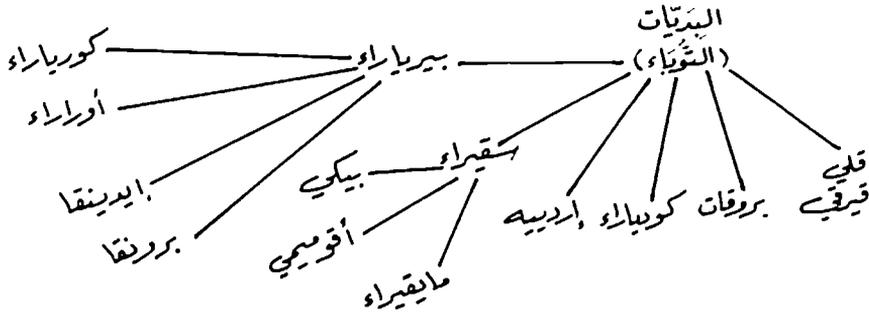
12- ماي ادياراء

13- مايقيراء (نسبة لمايقي) اشتهروا بأنهم يسبقون الناس في الحرب والاغاثة .

الفصيلة الثامنة :

البديات ذات الصلة القوية بالكوي وينقسمون الى :

(أ) قلي قيرقي . ب) بروقات ج) كورياراء . د) سفيراء و) بيرياراء



(\* مخطط رقم (21) يبين البدايات ذات الصلة القوية بالكوبي)

## الفصل الثاني : النشاط البشري وجغرافية المنطقة

### السكان وحرفتهم

أغلب سكان دار كوبي هم زغاوة الكوبي وزغاوة البدايات ومجموعات من القرعان وأقليات من قبائل اخرى . والكوبي متوسطو القامة سمر البشرة ولهم لهجتهم " آء " الخاصة وهي "البيريا" التي تفهمها باقي فروع قبيلة الزغاوة . ويستخدمون اللغة العربية الدارجة وسيلة للتفاهم بينها وبين القبائل الأخرى . وحرفتهم الرئيسية - شأنهم شأن باقي فروع الزغاوة - رعي الماشية (كالابل والبقر والاعنام وتربية اجياد الأصيلة ) والزراعة الموسمية التي تكون في فصل الخريف . ويتخذون من القطاطي منازل لهم وتبنى الأجزاء السفلية من الحجارة والطين المخطوط بروث الأبقار (الأجر) واحيانا من الاعشاب ، والاجزاء الطوية من قصب الذرة والدخن او البوص ونوع اجود من الحشائش يسمى المرحيب او المحاريب . ويكون شكل القطية مخروطيا . ولكل بيت باب واحد

يكون - في الغالب الاعم - من جهة الغرب ويكون قصيراً بحيث لايسمح بمرور ضوء الشمس المباشر ولا المطر . أما في المناطق الحضرية فتبنى البيوت على نفس الشاكلة علاوة على المنازل التي تبنى بالطوب الأحمر والأجر .

### العاصمة :

للكوبي ثلاث عواصم نشأت بعد التقسيم الذي حدث لتلك المنطقة بمعاهدة سايكس - بيكو عام 1924م بين الاستعمار البريطاني والفرنسي وما اعقبها من رسم الحدود ليتبع الجزء الشرقي للسودان ويحكمه السلطان دوسه عبد الرحمن فرتي وهو من فرع الأنفو - جبراء وقد اتخذ من الطينة Tina او " تيناء" عاصمة لحكمه وهي تقع في اقصى غرب السودان . ويقال ان الطينة اصلها التيلة وهي نوع من الخرز الكبير (الزيتون) تتخذها النساء زينة لصدورهن ونحورهن ، فحرفت الى التينة .. فهي الطينة . أما الجزء الغربي فيتبع لما كان يسمى بالسودان الفرنسي (تشاد الحالية) ويحكمه السلطان عبد الرحمن حقار وهو من فرع الأنفو - تبويراء وحاضرتها هريباء في شرق تشاد . والعاصمة الثالثة هي طنضباية حاضرة زغاوة الكفاء أو "البيقي - Beegee " التي تقع جنوبي الطينة وحاكمها السلطان حسن برقو .

### مناخ المنطقة :

منطقة دار كوبي وماجاورتها من مناطق تقع في نطاق مناخ السافانا الفقيرة وتهطل الامطار فيها في فصل الخريف الذي يمتد لمدة ثلاثة واربعة اشهر من يونيو حتى سبتمبر او اكتوبر وتستمر الخضرة حتى فصل الشتاء "الدرد" فيتوفر الكلاً والماء للماشية وتتم الزراعة الفصلية في هذا الموسم فتزرع الحبوب كالنرة والدخن والسّمسم والكردي والطماطم والبطيخ والبقول السوداني . ومعدل الامطار بين 125 و200 مليمترًا في السنة ، الا ان الجفاف يكتسحها صيفا . وتجدر الإشارة هنا الى ان المناطق الجنوبية لدار كوبي تتميز بغطاء نباتي كثيف وتكسوها الأشجار الكبيرة الخضراء والغابات والحشائش الطويلة ، وتكثر فيها الحيوانات المتوحشة والمفترسة كالاسود

والنمور والذئاب والزراف ، والطيور بكل أنواعها ، وفي المناطق الصخرية والتلال توجد النعام والغزلان بأنواعها.

### التضاريس:

الأراضي سهلية منبسطة تتخللها التلال الرملية والمرتفعات الصخرية الناتجة المتآكلة بفعل عوامل التعرية . وتخترقها افرع صغيرة وخيران تجمع المياه في فصل الخريف لتكون روافد طبيعية واسباسية للأودية التي تتجمع في كثير من الاحيان لتصب في الأودية الكبيرة . هذه الأودية تكسوها الأشجار التي تظل مخرصة طول العام. في فصل الصيف تجف البرك والرهود التي كانت مصادر رئيسية للمياه في فصل الخريف ، فيرحل الاهالي بماسيبتهم من قراهم البعيدة الى حيث الأودية الكبيرة التي تحتفظ بمياه جوفية قريبة من السطح . ويشيدون "قرقانهم" - وهي قرى فصلية مؤقتة - في رمال الوادي وتبنى البيوت تحت الأشجار الظليلة ، وهذا الترحال موسمي ويحدث كل عام . ويحفرون الآبار الضحلة ويخرجون الماء بالدلو ، وتسقى البهائم في "تَقْل" وهو حوض خشبي يصنع من جذوع الأشجار . وينقل الماء في الفِرْب وتحمّل على ظهور الحمير والجمال . وعند الرشاش "بداية الخريف" يعودون الى قراهم الاساسية فيشرعون في تجهيز الأرض استعدادا لزراعتها .

### النشاط البشري :

في السابق كانت المرأة في دار كوبي تشارك الرجل في معظم الاعمال اضافة الى عملها كربة بيت ، فتقوم بإعداد الطعام وطحن الغلال " بالمراكاة" قبل دخول وسائل الطحن الحديثة ، وجلب ماء الشرب بالقرب او الأواني الفخارية من مصادر المياه كالأبار والرهود وسقاية الأبقار والاعنام والعجول ان لم يكن لها اطفال يساعدها . وتشارك بفعالية في الزراعة والعناية بمزرعتها الخاصة "الجبركاة" علاوة على عملها الاساسي في تربية الاطفال والقيام بواجباتها الزوجية واکرام الضيوف . كما تقوم بدباغة وصنع قرب الماء وبناء الأجزاء السفلية لمنازل الطين وربط الحوش (السور و الروايب)

والتسوق الذي كان يتم بالمقايضة ثم دخل التعامل بالنقود فكان الريال المجيدي (التركي) يساوي عشرين قرشاً . وتبيع المرأة مالمديها من سمن و"ودك" وذرة و بعض الحبوب "ميفا عسل" لتشتري بقيمتها الشاي والسكر والاوني وبعض الملابس والطي والصابون .

والرجل - بالاضافة الى قيامه بأعباء الحياة اليومية كالرعي والزراعة التي تشاركه فيها المرأة - فهو المسئول عن حفر الآبار في فصل الصيف وجلب الغلال والكساء من اماكن الانتاج بالهواقل ، كما يعنى ببناء المنازل وحظائر الماشية وترويض الخيل والجمال وصناعة المتطلبات مثل الحبال والدلاء والمشاركة في النفير والفزع كالحرب والزفة ويقوم بتربية الماشية . اما الأطفال فيساعدون امهم في كثير من اعمالها كل حسب مقدرته الجسمانية ومايتلائم مع عمره وجنسه .

### الفصل الثالث : تاريخ التعليم في دار الزغاوة

مقدمة :

ان الكلام عن التعليم في دار الزغاوة لا يستقيم الا بتتبع مراحل دخول التعليم وانتشاره في كافة أرجاء مديرية دارفور ، كما هو معلوم ان دخول التعليم النظامي جاء متأخراً عن بقية اجزاء السودان لأسباب عدة منها البعد الجغرافي للمنطقة عن مركز القرار في الخرطوم وان الادارات الاهلية لم تكن تحفز أو تشجع المواطنين على طلب العلم و ربما كان تأخر دخول الإستعمار في المنطقة أثره السلبي على توفير المدارس النظامية في أرجاء دارفور النائية . ويعد فتح دارفور عمدة المستعمرون على فتح عدد قليل من المدارس لاعداد وتخريج موظفين محليين يساعونهم في ادارة شؤون البلاد بالعمل في المجال الكتابي والحسابي الذي كان سيكلفهم كثيراً من الوقت والجهد والمال في تعلم اللغة العربية إذا ما اعتمدوا على موظفين إنجليز يجلبونهم من بريطانيا . وبالطبع لم يكن هدفهم نشر الوعي والتعليم .

وفي ظل الحكومات الوطنية المتعاقبة كان حظ دارفور من التعليم قليلاً مقارنة بباقي مديريات السودان ، إذ لم تضع تلك الحكومات في برامجها هذه المشكلة ضمن اسبقياتها وذلك رغم الوعود الكثيرة التي ظل يطلقها المواطنون ابان الحملات الانتخابية حتى اذا ما انتهت تلك الانتخابات راحت تلك الوعود ادراج الرياح . ويمكننا القول إن فترة حكم عبود (1958-1964) - رغم ما عليها - حظيت دارفور ببعض طموحاتها في الخدمات التعليمية ، حيث تم فتح معظم المدارس التي نشاهدها اليوم. اذا كان هذا هو حال التعليم في دارفور عامة فما باله في دار زغاوة في أقصى غرب السودان النائي؟!!

### الخلوة:

تحتل الخلوة في دارفور - كما في سائر أنحاء السودان - مكاناً بارزاً وهاماً في الحياة الدينية للناس . فهي نواة التعليم الأهلي والشعبي ومركز الإشعاع الديني تعنى بتحفيظ القرآن الكريم للنشئ "بنين وبنات" وتعليم مبادئ الحساب بجانب تدريس علوم الفقه والتوحيد والعبادات والسيرة النبوية الشريفة .

وقد ظلت الخلوة تخرج الدعاة والمشايخ الذين ينشرون الدين الاسلامي على نطاق واسع . اضافة الى ما تقدم فإن الخلوة هي المسجد والضراء " لتكريم ضيوف القرية" ، وفيها يعقد مجلس الشورى وتنتظر في الامور المتعلقة بالحياة الشخصية في عقود النكاح واشهار الطلاق وفض النزاعات والدية والميراث .

تعرف الخلوة أيضاً بالمسيد ويقوم بالتدريس فيها "الفكي" أو الفقيه الذي يكون حافظاً للقرآن الكريم . عارفاً بالسنة وأصول الدين الإسلامي الحنيف .

ويكتب الدارسون الذين يسمون "الحيران" أو الماهجرين على ألواح رقيقة من الخشب تغسل وتطلى بالجير (الطبشور) الابيض ويكتبون عليها بأقلام القصب والبوص . وتستعمل الدواة أو الدواية \_ والتي يطلق عليها العمار أيضاً وتصنع من خليط الصمغ

والماء والسكن الذي يغطي سطوح اواني الطبخ - في الكتابة . وتحفل الخوة "بالشرافة" عندما "يختم" أحد التلاميذ جزءاً من القرآن الكريم (جزء عم أو يس الخ ) . وكانت أشهر خلاوي دار كوبي خلوة الطينة التي تأسست سنة 1928م وتعاقب على التدريس فيها كل من الفكي علي أحمد عبد الرحمن والفكي اسحق والفكي ابرك سليمان عبد الشافع . وفي سنة 1949 ألفت مدرسة صغرى أو سبقريد - كما كانت تعرف- بهذه الخوة ، فعملتا مندمجتين تقومان بتعليم النشء . وعند دخول الاستعمار في دارفور 1916 لم تحظ منطقة دار زغاوة - كسائر مناطق دارفور - بالمدارس للأسباب التي نكرناها في مقدمة هذا الموضوع.

### سياسة مور التنصيرية وأثرها على التعليم عند الزغاوة:

من الأسباب الرئيسية التي أدت الى تأخر التعليم في دار الزغاوة محاولة المستعمرين تنصير المنطقة والمقاومة التي ابدتها الأهالي حيالها تركت في نفوس الانجليز نفمة لامثيل لها فصاروا ينتقمون من كل المنطقة بتطبيق سياسة المناطق المغلقة أو المقفولة. وقد تعاقب على شمال دارفور ومركزه مفتشون انجليز ومن بينهم المستر مور 1933 الذي كان يعاقب بالحبس والجد كل من يأتي إلى كتم مرتدياً زي الحضر كساعة اليد أو النظارة أو الجلاية السودانية المعروفة او يحمل في أمتعته كتاباً او قلماً، لاعتقاده ان تلك الاشياء تعتبر منقولات حضارية من شأنها تبصر الناس وتعلمهم بما في العالم الخارجي . وفي منطقة الزغاوة حاول المستر مور - الذي كان مبشراً للمسيحية اضافة الى عمله - تنصير سكانها . فكان يوزع للناس الهبات التي ترد إليه من مجلس الكنائس العالمي في شكل مساعدات ومواد تموينية كالسكر والشاي والملابس . وحاول إستمالة الحكام بأن أعقد عليهم الهدايا الغالية والعطايا وكساوي الشرف والسيوف كل ذلك لأجل ترغيبهم لما ينوي البوح به مستقبلاً . فلما خيل إليه أن سياسته وجدت القبول عند الناس ، دعا حكام الزغاوة الى كتم وأكرم وفادتهم ثم عرض عليهم اعتناق المسيحية بدلا عن الإسلام ونكر لهم محاسنها وان منطقتهم ستشهد طفرة

تعليمية واجتماعية وتبنى لهم المدارس والشفخانات . وان التموين ياتيهم مجاناً وسرتاح الأهالي وستؤول لكل حاكم سيارة خاصة به وأنهم سوف يرقون إلى رتب أعلى ومنحهم الألقاب الملكية مثل لورد وسير واثاحة الفرصة للسفر الى بريطانيا العظمى لمقابلة جلالة الملك . ثم اطنب واوفى واخبرهم بان أول كنيسة سوف تشيد في أمبرو ، وبالتحديد مكان الشفخانة الحالية . فطلب منه الحكام مهلة للتشاور والتفاكر ثم إفادته بما يجمعون عليه . فكان لهم ما ارادوا ، وانفقوا على رفض الفكرة جملة وتفصيلاً ، واغلظوا له القول ، وأنهم محال أن يتخلوا عن دينهم الاسلامي مهما كلفهم الأمر وانها لولا عليه بالشتائم واعلموه أنه كافر دنس وسوف لن يطاع له أمر . فجن جنون المستر مور واستشاط غضباً فتوعدهم ونقم عليهم وقرر أن يحرم أبناء الزغاوة من التعليم 25 سنة . في هذه الفترة تعرض الزغاوة إلى حملات شرسة من التعذيب على أيدي مور وأعوانه وقد ظلت هذه السياسة سائدة حتى بعد ذهابه من المنطقة لأن من خلفوه من مفتشين انجليز عملوا بمذكراته و وصاياهم حتى الاستقلال . ورغم كل تلك الحملات الانتقامية ازداد الزغاوة تمسكاً بالدين الاسلامي الحنيف .

كان فشل مور في تصير الزغاوة انتكاسة اخرى لسياسة الإستعمار ف دارفور إذ منيت بهزائم مثيلة فيها . وإزاء خيبة أمله كتب مور الى حاكم عام السودان - آنذاك - المستر جون مفي المعروف بنشاطه التبشيري وعدائه الشديد للإسلام ان لا أمل في استمالة الزغاوة واقترح عليه ان يكتف المبشرون جهودهم ويحصرونها في منطقة جبال النوبة وجنوب السودان . واتبع المستعمر الفرنسي مع الزغاوة في تشاد سياسة تنصيرية مماثلة لتلك التي اتبعتها الانجليز مع زغاوة السودان ولكنهم ايضا لم يظفحوا في مسعاهم ذلك إلا أنهم نجحوا في تصير قبائل تشاد الجنوبية وخاصة السراء .

لم يكن أبناء الزغاوة مكتوفي الأيدي حيال سياسة الحرمان التعليمي التي فرضها مور وأعوانه بل كانت دافعاً قوياً لهم في السعي الحثيث لتلفي العلم في مناطق أخرى من دارفور مثل منطقة دار مساليت ودار القمر و وداي (خلاوي أبشي وشوقو يونق) وجبل مرة ومدينة الفاشر التي كانت مركز اشعاع ديني كبير ذاع صيت خلاويها

على نطاق واسع . " على سبيل المثال ننكر هنا بعضاً من تلك الخلاوي والتي لم يزل بعضها قائمة الى اليوم :

- 1- خلوة الفكي سليمان - وأيضاً المسجد
- 2- خلوة الشيخ التيجاني عبد الماجد - المدرسة التيجانية
- 3- خلوة الشيخ احمد التيجاني (منفه) - جامع التيجانية
- 4- خلوة ود نهار - جامع بابكر نهار في برنجية
- 5- خلوة الشيخ عوض الله - جامع عوض الله
- 6- خلوة الفكي محكر - جامع الزيادة
- 7- خلوة الفكي محمد سعيد- حي الطريفية
- 8- خلوة الفكي مهاجر - جامع أحمد مهاجر
- 9- خلوة الفكي محمد فضل - حي كفوت
- 10- خلوة الفكي عبد الله نحلة - جوار المدرسة التيجانية
- 11- خلوة الفكي حمد النيل - حي المعهد

وكان من الذين درسوا القرآن الكريم وعلومه من أبناء الكوي في خلوة الفكي سليمان هو الفكي علي احمد عبد الرحمن الذي صار فيما بعد ناظراً في المدارس الصغرى والحاج شرف الدين احمد عبد الرحمن في اوائل العشرينات (حوالي 1923م) . بالإضافة الى هذه الخلاوي كانت المساجد تمثل دوراً هاماً في تعليم علوم القرآن والفقه واللغة العربية علاوة على العبادة . وتوجد في الفاشر عدة مئات من المساجد والزوايا منتشرة في كل اصقاع تلك المدينة المترامية الأطراف حتى قيل إن من فاتته الصلاة المكتوبة في الفاشر فلا نية له في الصلاة ! وذلك إشارة الى انتشار المساجد في كل صوب.

التعليم النظامي :

إبان فترة الاستعمار لم يحظ كثير من أبناء الزغاوة أي تعليم نظامي وقليل منهم اقتصر تعليمه على الاولي اذ ساعدته الظروف بوعي من ذويهم وتمكنوا من مواصلة تعليمهم حيث وفدوا الى مناطق خارج دار الزغاوة ونهلوا من مدارسها مايسر لهم من العلم . ومن هؤلاء الذين التحقوا بالمدارس المزدوجة الأولية بالفاشر الشرتاي التيجاني الطيب واخوه محمود الطيب عام 1934م من زغاوة القلا ومحمود نوسه واخوه بشاره نوسه 1935 من زغاوة الكوي وابناء الملك محمدين وهم الملك علي ومحمود وصالح من زغاوة التوار كذلك الملك آدم طاهر نورين من زغاوة السويني ومعهم آخرون . ويلاحظ ان هؤلاء جميعهم من ابناء زعماء من ابناء زعماء العشائر . كذلك الحال مع زغاوة الكوي في تشاد حيث هاجر من اسعفته ظروفه الى مدن بلتينا وايشي وفادا او الى العاصمة فورت لامي (انجينا) والتحقوا بالمدارس الفرنسية وتخرج بعضهم من الجامعات الفرنسية ومن جامعة الأزهر وتسلموا مناصب هامة في الحكومات التشادية المتعاقبة.

اما التعليم الاوسط والثانوي العالي فكان من نصيب منطقة دار زغاوة الكوي منه الحرمان التام ، الا ان الطموح الكامن عند ابناء هذه المنطقة دفع بهم للنزوح خارج حدودهم لتلقي العلم، فكان لهم ما ارادوا.



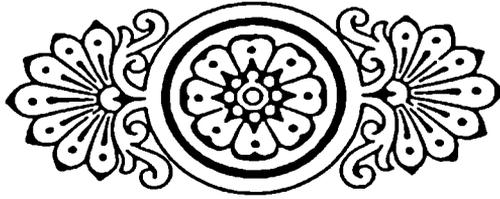


( \* الخلوة وتعليم القرآن )

## الباب الرابع

التراث الشعبي لقبيلة الزغاوة

- الفصل الأول : النظام الإجتماعي للزغاوة  
الفصل الثاني : الأفرح  
الفصل الثالث: المأكولات الشعبية  
الفصل الرابع : الحرب...التلر والفرع  
الفصل الخامس: الحداحيد..لغة الزغاوة  
الفصل السادس: الطب الشعبي عند الزغاوة  
الفصل السابع : القصة عند الزغاوة  
الفصل الثامن : الهمبته عند الزغاوة  
الفصل التاسع : الرقص والغناء عند الزغاوة



## مدخل :

يعالج هذا الباب دراسة التراث الشعبي أو ما صطلح عليه بالفلكلور لقبيلة الزغاوة ويشتمل على العناصر التالية : العادات والتقاليد والفنون والآداب والمعتقدات . ونلاحظ أن فروع قبيلة الزغاوة لا تختلف في ما بينها في مجمل عاداتها وتقاليدها ووفونها رغم اتساع انتشارهم المكاني لأنها نبعث من موروث ثقافي وحضاري واحد . ونتيجة لهذا نجد أن القبيلة قد حافظت - مر العصور - على هويتها المميزة .

ونود - في هذا الباب - أن نتناول بشيء من التفصيل سمات وموضوعات هذا التراث منذ عهوده الغابرة متتبعين بالدراسة والتطيل أصوله معتمدين على ما يرويه لنا الإخباريون ومن خلال معاشتنا وملاحظتنا للحياة اليومية في دار الزغاوة .

ونحاول في هذا البحث أن نستبين ما طرأ على التراث الشعبي من تغييرات نتيجة للتحوّل البيئي والاجتماعي الذي انتظم منطقة الزغاوة في سني الجفاف التي تميزت بالهجرات الجماعية إلى أنحاء شتى خارج المنطقة ، وذلك في محاولة لتسجيلها وتاريخها لتفادي اندثار معالم هذا التراث في ظل المد الثقافي والحضاري السريع الذي يواجه أهل الريف عند نزوحهم إلى الحواضر والمدن خارج بيئاتهم .

يجد القارئ في هذا الباب الكثير من الكلمات المستمدة من لغة الزغاوة أبقيناها كما هي ، ولا سيما في الفصل الخاص بالأغاني حيث صعب علينا تحاشيها لوقعها اللفظي والموسيقي الذي لا يمكن أن يستعاض عنها بترجمة المعنى . ويشتمل هذا الباب على المواضيع التراثية التالية :

### الفصل الأول : النظام الاجتماعي للزغاوة

يرتكز النظام الاجتماعي لقبيلة الزغاوة على النظام القبلي ، ويحكمه العرف الذي يضبط السلوك الفردي أكثر من القوانين الوضعية . فيحترم الفرد موروثات القبيلة

ويسعى للحفاظ عليها . ويحظى شيوخ القبيلة مكانة مرموقة وتوقيراً فائقاً لدى أفراد القبيلة وهم أهل المشورة ونفوذهم واسع وقرارهم في فض المنازعات فاصل وملزم . يطلق على الحكم عند الزغاوة بلفظة "الكييني Keini" ، وتعني الحلو أو الشهي! وهو ذو طبع وراثي عند معظم الفروع . وزعيم القبيلة هو الحاكم وينحدر عادة من الفرع الأكبر والأقوى ، ويفترض ان تتوفر فيه قوة الشخصية من حكمة وحكمة و مكارم الأخلاق كالتشجاعة والكرم وميسور الحال ، ومدعوماً بأسرة متماسكة افرادها ذوي شكيمة وبأس.

ولكل حاكم من فروع قبيلة الزغاوة لقب ، فمثلاً نجد كلمة الملك عند التوار في أمبرو ، والأرتاج في أم حراز ، والسويني "الكاييتفا" في الدور والنيفيري في أنكا ، والمقدم عند البديات في بارداباء وكارو والشرتاي عند زغاوة القلا في كرنوي ، والباسي عند زغاوة أولاد دقيل في مزيد ، والسلطان عند زغاوة الكوبي في الطينة وطنضباية في السودان وهريباء في تشاد . ويعاون حاكم القبيلة عمد ومشايخ في تسيير أمور مملكته في جباية الضرائب وجمع الزكوات والعشور من الزراعة ، وحفظ الأمن في القرى وتبليغه عما تستجد من احداث أولاً بأول . وله أيضاً حرسه الخاص ومحكمته الأهلية بالاضافة الى السجن المحلي . وكل حاكم يتبع إدارياً لمفتش المركز أو ضابط المجلس الريف في كتم .

ونلاحظ أن هذا التقسيم الإداري القبلي قد ابقت عليه كل أنظمة الحكم التي تعاقبت على السودان ابتداءً بالتركية السابقة ، و مروراً بالمهدية فالحكم الثنائي والحكم الوطني بعد الاستقلال وظل فعالاً في الكثير من مناحي الحياة رغم سلبياته حتى صفت في عام 1969م. أما في العهود قبل الحكم الثنائي كان هؤلاء الحكام يتبعون لمقوم الشمال الذي هو الآخر يتبع مع باقي المقاديم الثلاثة لسلطان دارفور .

## المعتقدات الدينية

من العسير تحديد دخول الاسلام في منطقة الزغاوة ، ولكن الراجح أن الزغاوة كانوا مسلمين عند قدومهم من شمال افريقيا واستمروا متمسكين بتعاليمه ، أما وجود بعض المعتقدات الوثنية فيعزى إلى أن سكان المنطقة الأصليين من حاديد وخلافهم كانوا لادينيين يمارسون طقوساً وثنية عندما وفد الزغاوة اليهم . وقد أثرت هذه الممارسة بصورة أو أخرى على نفاء عقيدة البعض في العهود السابقة وتجدر الإشارة هنا أن الوثنية لم تتخذ كنظام ديني ، ولكن بعضاً من طقوسها كانت تمارس رغم إيمان الزغاوة بوحدانية الله وأدائهم لشعائر الدين الإسلامي .

ومما يؤكد ماسبق أن ذكرناه أنه لايعرف كل فروع الزغاوة الوسيط الروحي كالسبر والكجور والسحر المنتشرة في بعض أقاليم السودان . ومن الممارسات الوثنية التي يلجا إليها بعض الزغاوة في الماضي تقديم القرابين لبعض الجبال المشهورة كجبل كوبي المنسوب إليه فرع زغاوة الكوبي إذ كانت تتحر ناقة حبلى كل عام على سفحة الجبل ، ويقوم بهذه العملية زعيم العشيرة الذي غالباً ما يكون السلطان . وقد داوم كل سلاطين الكوبي على ممارسة هذه العادة حتى أُلغى عنها قبل أكثر من قرن . كذلك الحال مع بقية الجبال وبعض الأشجار لفروع القبائل الأخرى التي تنسب إليها .

ومن المواقف التي يخط الناس فيها الدين ببعض الممارسات الوطنية النزر حيث يلزم شخص ما نفسه بأن يوجب على نفسه ذبح شاه الله عند سفح الجبل الذي ينتسب إليه إذا تحققت غاية ينشدها ! ومن الأمثلة أيضاً كأن يدعو أحد مستعينا بجبل أو حيوان أو خلافهما على خصمه ان تحل به مصيبة نكراء .

وماعدا ماسلف نكره فإن معظم الزغاوة قد حسن إسلامهم وصفى من الشوائب . وكانت منطقة الزغاوة بحكم موقعها الجغرافي الفريد على صلة قوية بمملكة وداي الاسلامية في ، كما كانت مرتبطة بالحركة السنوسية في المغرب العربي الأمر الذي أخرج تغفل الطائفية الدينية والطرق الصوفية الوافدة من المشرق العربي إلا مؤخراً . والمذهب المالكي هو السائد والمعمول به في الأمور الفقهية . ومما يدل على تأصل الاسلام في

أوساط الزغاوة فشل الإدارة البريطانية إبان الحكم الثنائي الذي كان يطلق عليه الإنجليزي- المصري في السودان في محاولتها تنصير منطقة الزغاوة الاستراتيجية عن طريق أحد المبشرين النصارى المتخفين في شخص مفتش شمال دارفور وذلك المستر مور طاغية كتم.

## الفصل الثاني : الأفرح

تحتل الأفرح مكانة بارزة وهامة في حياة الشعوب وتحظى بخصوصية خاصة ، لمالها من طعم فريد ممزوج بالثبر من لحظات الصدق وصفاء النفس وتجلي الروح ، والمشاركة الحسية والوجدانية للآخرين والتطيق في دنياوات المحبة والفرح ، ولما تعد لها من استعدادات في المناسبات الخاصة بها . بعضها تصير وليدة اللحظة فتأتي عفوية وبدون اتفاق مسبق على إقامتها . والمناسبات التي تقام أو تتصوي تحت مظلة الأفرح كثيرة منها :

### 1. الزواج :

مقدمة : عادة ما يتم اختيار الزوجة من القبيلة أو فروعها ويندر أن يخرج أحد من القاعدة فيختارها من قبائل أخرى . ومن غريب الصدف أن الزغاوة - ولاسيما الكويبي - اصبحوا يتزوجون بنات أعمامهم و بنات عماتهم و بنات اخوالهم وبنات خالاتهم الأمر الذي كان في السابق وغير مألوف لديهم .

### (أ) اختيار الزوجة :

يقوم الزوج باختيار شريكه التي يرى فيها الميزات والسمات التي تناسبه . ولا يتدخل الاهل في ذلك إلا على سبيل تقديم المشورة ، وغالباً ما تكون نتيجة تلك المشورة صائبة يوافق عليها الفتى ، لأن الزوجة التي تجمع عليها الأسرة تكون لها مكانة خاصة لديها ، وتحظى باحترام كل العائلة وتعيش بين أفرادها معززة مكرمة . والزغاوة - كغيرهم من أهل البادية - لهم أسس خاصة في اختيار زوجة المستقبل لأي من أفراد الأسرة . إذ يرون أن أسرتها لا بد وأن تنتسم بالأصالة وخطوها من الشوائب وحسن السيرة

والسريرة . وفي الفتاة نفسها أن تتوفر فيها الخلق الخلق الحميد ، ويفضل أن يكون لها أشقاء ذكور "أخت رجال"!

بعد أن تتفق الأسرة على فتاة بعيتها يذهب أفرادها بزيارة أهل الفتاة طالبين يدها من ولي امرها الشرعي . ومن ثم يسألون راي باقي أفراد أسرتها من (إخوة وخالات- عمات وأعمام وأخوال) ليحظوا على الموافقة التامة والرضاء من كل الأسرة لأنهم بصدد ربط علاقة جديدة لا تنفصم عراها في السراء والضراء . وقد يكون طلاب هذه الفتاة اكثر من واحد من قبيلة واحدة او من قبائل شتى او من أسر مختلفة . فحينما يستشيرها والدها أو أخوها أو أمها عن رأيها في المتقدمين لخطبتها تكون الكلمة الأخيرة لها ، فتوافق على الذي تحبه وتختاره بعلاً لها فينسحب باقي الطلاب بطيب خاطر . ويعين موعد لاتمام مراسم الخطبة ، وفي هذا الموعد يتفاوض أهل البنت وأهل الشاب على المهر الذي كان في السابق يدفع بالأبقار اذا كان اهل الشاب ميسوري الحال ويكون متوسط المهر 35 بقرة . وقد يدفع خليط من الماشية كالأبقار والأغنام والجمال والخيول . اما الماعز والضأن عادة لا تصب ضمن المهر ولكنها تعطى لبعض أهل الفتاة غير الأقربين (لزم) . وقد يدفع أهل الزوج أشياء أخرى كالبنادق والسيوف والنقود حافزاً لنيل رضاء بعض أقارب الفتاة الأقل حماساً لفكرة الزواج منه، وهذا مايعرف بال "ميقري Migiri" و الذي قد يعنى "المغرى" علماً انه لا تقبل الحمير قط في مهر الحرة.

(ب) المهور

يختلف المهر أو الصداق إختلافاً بائناً لدى كل فرع من فروع قبيلة الزغاوة ، وأعلامهم مهراً هم البدييات إذ يكون المهر بالنوق(40 ناقة) وعند الكوبي ما بين 30 و 40 بقرة والكاليبا والتوار ومعظم باقي الفروع 12 بقرة (ثنية) ، علماً بأن المهور تدفع مقدماً ولايدفع منها بالأجل (مؤخر). ويستعين الخاطب باهله الأقربين في دفع المهر حيث يساهم كل قريب حسب طاقته بجمال او بقرة وهذا مايسمى "عونا" ويعني العون أو المساعدة . وتجدر الإشارة هنا أن عادة دفع المهور "بالماشية" فد اندثرت وحالياً تدفع نقداً فقط.

## (ب) إعلان الخطبة:

عندما تتم الموافقة ، تعلن الخطبة للمأ بالزغاريد وإطلاق الأعيرة النارية في الهواء . وتتبع الخطبة عقد الزواج ودفع المهر "الصداق" . ويتم تخصيص جزء من المهر للعروس ، ويعاد جزء آخر منه للعريس ، فيما يتم توزيع بعضه الآخر على أهل العروس الأقربين (الخال والخالة و العم والعمة).

## (ج) العرس:

يعرف العرس بالسبوع لاستمراره اسبوعاً ، ويعد من أهم مهرجانات الفرح الكبيرة في حياة الناس . وتسببه استعدادات كثيرة خاصة من جانب أهل العروس حيث يشيدون داراً خاصة للعرس تبعد عدة أمتار بجوار دارهم ويضعون فيها أثاثات قليلة . وتقوم مصصفة الشعر "المشاطة" بتسريح شعر العروس فس أبهى صورة بينما تكون والدتها قد جهزت لها الطي والزينة التي تتكون من قلاند الخرز "الزيتون والسوميت" والزامم للأتف من الذهب والخلخال أو العرجون للأرجل ، والفرج الله - وهما قرطان كبيران من النحاس - للأذنين ، وغواش "بتير أبو إبرة" وهي الأسورة المصنوعة من الفضة للمعصمين ، وقلادة ذهبية للعنق والصدر . والمسوحات من الدهون والدلكة والكركار والطور . كما تجهز سريراً وبرشاً "كوباء" أو أكثر من السعف يسمى دنور أو أتلاباء . وتختلف هذه التجهيزات من أسرة لأخرى حسب مكانتها الاجتماعية وحالتها الاقتصادية . وتقوم أم العروس أيضاً - بمساعدة قريباتها - بتحضير المأكولات والمشروبات وتشبيد رواكيب إضافية لاستضافة العريس واهله طيلة أيام السبوع .

## زفة العريس : (بقوراء - سوري - Bogura- Sauri )

على العريس - من جانبه - تحضير الشاي والسكر والطور وملابس العروس وقريباتها والذبايح . وفي الموعد المعلوم يزف العريس على جواد إلى بيت عروسه ليلاً ويكون في معيته الكثير من أصدقائه وأقربائه من الشباب وهم يمتطون جيادهم والفتيات يمشين على الأقدام حول جواد العريس ويطلقن الزغاريد ويغنين للعريس فيما تمسك إحدى قريباته من وقت لآخر بلجام حصانه وتغني أغان تمجد العريس وأسرته وقبيلته

ومآثرها من الشجاعة والإقدام والكرم وطيب الأخلاق والوسامة والجمال .. الخ و يمضي الجميع في مهرجان بهيج ببطء. وقد تكون الزفة مصحوبة "بالنفارة" لدى الكثير من البطون القبائل فيما لا تشارك النفارة بعضها الآخر . وتصيح النفارة بايقاعات أغاني الأعراس فتسمع من مسافات بعيدة تملو كلما اقتربت الزفة من قرية العروس حتى إذا ما وصل الجمع دار أهل العروس يجدون الباب الخارجي قد قفل بشجرة شوكية كبيرة يصعب اختراقها ، ومن ورائها يقف فتية اقوياء شاهري السيوف والرماح لاستعراض القوة . وهي عادة لاتعني ابداء الشر والنية لايزاء العريس وأهله ، إنما ليظهروا لهم بأن العروس من عائلة شجاعة ولها حرمتها وحمايتها . هنا تسكت لنفارة والاغاني فيعطن احد أقارب العريس بأنهم يفدون العروس بهدية تليق بها كالبقر والضأن فتعلو الزغاريد مرة أخرى فيفتح لهم الباب بالترحاب.

### زفة العروس : (تيني - سوني - Teneh sooni )

ينتظر العريس وصحبه ومعهم قارئ القرآن الكريم مقدم عروسه إليه - وفي منتصف الليل تقريبا تزف من بيت احد أقربائها في جوقة من النساء مشياً على الأقدام وسط الأغاني والزغاريد . ومن حين لآخر يقف الجمع لتغني لها إحدى قريباتها أو أمها اغانٍ كلها مواعظ وحكم تحثها على الصبر ورعاية زوجها وإكرام ضيوفه و" مسك البيت" وأحياناً في الذم والهجاء إذا ما اقصر العريس تجاه أهل العروس . وكثيراً ما تعمل العروس بتلك النصائح . وأيضاً تغني قريبات العريس أغانٍ تنصب في مدح العريس وكريم شمائله كما تمجد ام العروس بانها امرأة مقتدرة "باقوناء" . وعندما تصل الزفة باب دار العرس يقابلها العريس وصحبه بالترحاب فيهدون لصاحبات العروس بعض الهدايا فيسمح له باستلامها . وهنالك تقرأ سورة يس ويدعو لها الجميع بالتوفيق . والزغاوة في السابق لا يستعملون الحناء لذلك تقدم خلطة من العطور والبخور والدهن تسمى "لوي" لتدهن بها أيدي وأرجل العروسين وهي بمثابة الحنة المعروفة عوضاً عنها بالحنة حالياً بالحناء . وبعد ذلك ينفض الجميع تاركيين العروسين ينعمان "بليلة الدخلة" .

و من العادة أن يجئ مع العريس طفل يافع من أقربائه لم يبلغ الطم - لخدمته أيام العرس ويسمى وزير 'كوراي' كما وللعروس أيضا وصيفة او وزيرة تقوم هي الأخرى لخدمتها وتسمى "تيني سيراء" . وتختتم مراسيم العرس في اليوم السابع بطلق شعر رأس العريس وتليسه زياً جديداً وصنع أحذية بلدية من الجلد لكل من العريس والعروس والوزير والوصيفة "تيفي قيري" وهي علامة أو رمز ودليل على أن العروسين قد دخلا الحياة الزوجية وتأهلا للقيام بدورهم الاجتماعي المتوقع ، وتجدر الإشارة على أن انتهاء طقوس الزواج لايعني نهاية الفرحة ولكنها ايدان باستمرار ليالي السمر والأنس في بيت العرس . فتكثر زيارات الشباب من أصدقاء وصديقات العروسين وأهلها للتهنئة . وبعد مضي أربعين يوماً على هذا المنوال تنقضي أيام العرس ويمكث العريس مع أهل زوجته فترة قد تمتد إلى سنتين أو أكثر يقوم خلالها بخدمة نسبائه في الزراعة فينادي أهله وأصدقائه للنفير يذبح ثوراً ليتم حشاشة "تنظيف" حفل أهل العروس في يوم واحد مهما كان كبيراً وهذا مايسمى بتغير الحقل "تبيبي ابيي" كما يقوم بسقاية البهائم والسفر لجلب الدخن "توء" من اماكن بعيدة ويساعدهم في بيع ثيرانهم في الأسواق وشراء ما يحتاجونها . هذه الخدمة تقدم بكل طيبة خاطر ودون تذرر لأنه صار عضواً في الأسرة وساعدها الأيمن .

وبقدم أول طفل لهما يطلب إلى خاله بطلق شعر رأس المولود جرياً على ما اعتاد عليه الناس ويبادر الخال باهدائه بهيمة .. ويتوج قدوم المولود بترحيل العروس إلى منزل زوجها في ديار أهله وهذا مايسمى باعطاء البيت "ببيه كيري" - - Biyeh keiri ) ، فتحمل الدواب بكل احتياجات المنزل الجديد وتركب الزوجة ووليدها جملاً فيما يمتطي الزوج على حصانه وفي معيتهم بعض اهليهم والماشية الخاصة بهم المتبقية من المهر "الصداق" . وعند وصول الركب ديار الزوج يستقبل اهل الزوج الزوجة ووليدها بالحفاوة والترحيب ، وتتاخ الركائب في دارها التي شيدت من أجلها ، وتبادر هي باهداء اهل زوجها أدوات و اوان منزلية احضرتها معها من نويها لتوثيق عرى المحبة معهم ، وتظل مخدومة من قبل أسرة زوجها ولايسمح لها القيام بأي عمل شاق .

ومن مظاهر الإحترام لدى الزوجة أنها لا تتأدي أبوي زوجها باسميهما ولاينادي الزوج أم زوجته باسمها ول يأكل معها أو في حضورها وأيضاً ابوا الزوج لايناديان زوجة إبنهما باسمها لشدة احترامهم لها . لكنهم جميعاً يتبادلون الهدايا الرمزية بينهم لرفع الكلفة . ومن تلك المظاهر أيضاً أن يخلع العريس نعاله ليسلم على أم زوجته ولايأكل الطعام كله في بيت نسابته ولو كان جائعاً بل يأكل بعضه فقط . ومن عادة الزغاوة - في السابق- أنهم لاياأكلون مع النساء عموماً.

### بعض مظاهر الرفض في الزواج :

نسوق هنا بعضاً من مظاهر الرفض التي تصاحب بعض الزيجات والتي غالباً ماتكون نتيجة لتعنت الأهل ورفضهم لمن تحبه إبنتهم وتعتبر من المظاهر النادرة ولكنها كانت تمثل مظهراً من مظاهر الرفض القوية المفعمة بالسلوك العدائي التي تكون نتائجها سلبية على نطاق الأسرة والمجتمع نذكر ثلاث أمثلة منها :

1. يحدث أن يحب الشاب فتاة ويتفان على الزواج لكنهما يواجهان رفضاً شديداً من أهل أي منهما لسبب أو لآخر يستحيل معه اتمام الزواج بالطريقة الاعتيادية فيتفق الاثنان على الهرب فيقدم الشاب على خطف فتاته والذهاب بها الى بلد آخر ليعقد قرانهما قاض شرعي ، هذا مايعرف "بالجمونفا" أو الجمبكة. مثل هذا الزواج يحدث على نطاق ضيق جداً وغالبا مايكون مصحوباً بمشاكل وتعقيدات أسرية . يرسل على ضوءها الشاب ( العريس) الأجاويد الى أهل العروس لإلتماس رضائهم . فيعتذرون لما بدر من ابنهم ، وتنتهي المفاوضات بالتراضي والصفح والتسامح ودفع المهر . فيعود العريس بعروسه إلى ديار أهلها معززة مكرمة ، محملة بالهدايا فتذبح الذبائح وتقام الأفراح والليلالي الملاح .

2. في بعض الأحيان ترفض البنت الزوج المفروض عليها من قبل أولياء أمرها إما لفارق السن بينها وبينه او لأنه متزوج من أخرى او أخريات . أو أنه غير كفؤ لما تراها فيه من عيوب ونقائص . وأنها ربما تحب شاباً آخر ترى فيه فارسها المنتظر لكن أهلها

لا يودونه . وتسمى هذه الحالة بالبنت الطامحة "تيني تاميه Tameh" Teney اي البنت الراضة. قد ينجم مثل هذا الرفض من الفتاة قبل عرسها أو بعده . وهناك ملامح ظاهرية تعرف من خلالها ان هذه الفتاة رافضة وهي :

(أ) إنها تحرم على نفسها لبس الحلي والزينة وكذلك العطور والمسوحات من الدهون طالما ظلت الأسباب التي دعته الي تلك الحالة قائمة . فتظهر دائماً وعنفها خال من العفود كما و كأنه مظهر من مظاهر الحزن الناتج عن موت احد الاقربين.

(ب) تضفر شعرها على هيئة حبال كما تفعل المرأة الارملة دلالة على الحزن العميق . كما تضع ريشة النعام في إحدى ضفائر شعرها التي تجاور اذنها.

(ج) تحرص على الظهور في الأسواق والأماكن العامة وتغني في الأفراح أغاني حزينة مليئة بالشكوي والتظلم وتهجو فيها ذلك الشخص المفروض عليها فيذيع صيتها وتنتشر اغنياتها بسرعة في البلد.

(د) تظل تلبس الملابس السوداء.

مما تقدم نرى ما تعيشها مثل هذه البنت من حالة الرفض الناتجة عن القيود الاجتماعية ، ومع موقفها المتصلب واصرارها الشديد تحظى بإشفاق المجتمع عليها وتعاطفه معها - إن كانت محبة - حتى تفصل عن ذلك الشخص غير المرغوب فيه بفسخ الخطوبة "تيني كاييري- Teney Kairi" وقد اشتهرت بعض البنات الطامحات في دار الزغاوة وذاع صيتهن .

3. تعد هذه الصورة من أقوى صور التعبير عن التطرف في الرفض نحو الأسرة بل تتعداها إلى المجتمع الذي ينتمي اليه صاحب المشكلة. وتبرز هذه المشكلة عندما يتقدم شاب طالباً يد فتاة من أهلها ، لكنهم يواجهونه بالرفض القاطع وقد يصل الأمر بهم إلى تهديده على عدم التعرض لفتاتهم - على الرغم من أنها تبادلته الحب ولاترضى بغيره . فيعيش الشاب نتيجة لذلك الرفض حالة من الكآبة والاحباط . فتقوى رابطة الحب بينه وبين محبوبته لدرجة التطرف فلايباليان بأحد ولايحفلان بما يقوله عنهما الناس . ويكون سلوك الشاب عنوانياً ويجنح للشراسة والإنقام . ويمثل اوضح حالات

العشق والحب العنرى يهيم على وجهه كصعاليك العرب القدامى ، وقد يجن بحبها ويعيش عيشة الكفاف فينتحل جسمه وتظهر فيه هذه الملامح السلوكية :  
(أ) يرسل شعر رأسه ولحيته فلايلحقه أبداً - وتشبه حياته حياة "الهييز" - وتقوم بعض البنات المتعاطفات مع قضيته بتتظيف شعره ودهنه واحياناً إرساله وتضيفه . وفي بعض الاحيان فإنه يطق رأسه ويبقى منه مايشبه عرف الديك كما يفعل "البانكس" أو قد يرى مايعرف بالقنبور - سوريه - Sorreh وهو ضفيرة من الشعر تتدلى في مؤخرة الرأس وتشبه ذيل الحصان .

(ب) يتريا دائماً بأجمل الثياب لجذب انتباه الناس ولكن بعضاً مما يمانئونهم يفضلها متسخة وقذرة لنفس الهدف السابق .

(ج) من شدة تعلقه بمحبوبته ، فإنه لايقام الليل بل يقضيه في التغني بحبها وجمالها وحرمانه منها والأمل في الفوز بها . ويستعين بألة موسيقية مثل الكوري (كردنق) أو الأم كيكي (نيني) ومثل هذه الأغنيات ذائعة الشهرة عند الزغاوة . وسنعرض لها في الفصل الخاص بأغنيات الزغاوة . وفي الليالي المقمرة يجتمع اصداقاه في داره ليستمعوا الى غنائه في الوقت الذي تقوم فيه الفتيات بعمل الشاي وتقديمه لهم ويعملن كهزمة وصل في نقل اغنيات الحرقة واللوعة هذه الى محبوبته في دار أهلها ، فيما تقوم هي أيضاً بالرد على غنائه في مايشبه المساجلة او المطارحة . قد تنتهي بعض من هذه الحالات بالزواج - وإن طال الزمن - ويبؤ بعضها الآخر بالفشل ، فيتفق المحبان على حرمان نفسيهما من الزواج ابد الدهر ، والشواهد لمثل هذه الحالة قليلة لكنها معروفة في السنين الغابرة .

### تعدد الزوجات:

تعمل كل فروع قبيلة الزغاوة - بلا استثناء - بظاهرة تعدد الزوجات حسب ماحددها الشريعة الإسلامية - أقصاها أربع زوجات - و لارتفاع المهور أثره الفعال إن لم نقل الايجابي - فى الحد من هذه الظاهرة التي تطبق على نطاق ضيق نوعاً ما

ولا قيود للحد منها ، بل تتوقف على الحالة المادية لمن يتوفاها وتنتشر هذه الظاهرة لدى الفئات التالية :

- (أ) زعماء العشائر والأسر الحاكمة ويتزوجون من عدة قبائل خارج القبيلة لتقوية حكمهم
- (ب) الموسرين: ويعدون الزوجات لزيادة الإنجاب والتكاثر
- (ج) الرجل الذي حرمت زوجته من نعمة الإنجاب .. يتزوج بأخرى لعل الله يرزقه بأطفال
- (د) يتزوج الرجل زوجة أخيه المتوفي للحفاظ على الاسرة والنسب .
- وتقبل الزوجة أن تكون لها ضرة أو أكثر بنفس طيبة وكثيراً ما يستشيرها زوجها بنتيته في الزواج بأخرى وبالنسبة للتي لاتجب فإنها كثيراً ما تحت زوجها على الزواج بامرأة أخرى لتتخذ من أبناء ضررتها أبناء لها .
- إذا عاد الرجل من السفر وفي عصمته أكثر من زوجة فإنه يحط رحاله في بيت زوجته الكبرى "أول زوجة له " ويبيت أول ليلة هناك ، ومن ثم ينتقل بعد ذلك إلى الأخريات بالكيفية التي يراها هو .

### الطلاق :

يعد الطلاق من الأمور النادرة جداً عند كل فروع الزغاوة ، ربما لأن حياتهم خالية من التعقيدات لاعتبارات العِرض واختلاط الأنساب وعدم التفريط في الملكية الخاصة . وتلتزم الزوجة برد مهرها السابق كاملاً الى زوجها اذا هي طالبت بالطلاق عن طريق المحاكم الشرعية وهذا ما يعرف بالنشوز ولكن قلما يحدث ذلك . والأرملة يحق لها أن تتزوج من اسرة زوجها المتوفي وقلما تخرج عنها إذا كانت لها أطفال . وفي الحالات النادرة التي تخرج فيها الأرملة عن هذه القاعدة تتعرض لعقبات من قبل أفراد أسرة زوجها السابق الذين يهددون الزوج الجديد بالتأثر منه ويعتبرونه غريباً "بون-Bon " ولا يهدأ لهم بال حتى يبادر ذلك الشخص بدفع الجودية "باديرقي - Badergei " لهم . والجودية عادة عبارة عن جمل أو ثور يدفع فداء لحفن الدماء . واستمرت هذه الحالة حتى لوقت غير بعيد، واستقر الرأي في المجتمع أن من حق الأرملة الزواج ممن تشاء حتى ولو كان خارج أسرة زوجها المتوفي . وشاع ما يعرف بال "موت طلاق" ويعنون

بذلك أنه يموت الزوج تصبح الزوجة في حكم المطلقة يمكنها الزواج بعد مضي الفترة الشرعية "أربعة أشهر وعشرة أيام".

#### 4- "الطهور" الختان : Tairabeh

يحرص أفراد قبيلة الزغاوة على ختان أولادهم قبل سن العاشرة عملاً بالسنة النبوية الشريفة . ويعتبر الطهور من المناسبات الهامة في حياة الناس وتتبع هذه الأهمية من ارتباط الختان بنظرة المجتمع السلبية تجاه من لم يطهر والذي يطلق عليه كلمة " الأغلف " التي تعني النجس .

والمختون يعتبر في العرف الاجتماعي بأنه في صف الرجال ومؤهل للقيام بمهام مثل انكاء البهائم عند الضرورة . ويقوم رجل ذو خبرة جراحية "بصير" بعملية ختان الصبيان التي عادة تتم في الصباح الباكر لاعتقادهم بأن قابلية الجرح للنزف أقل وفي ذات الوقت يكون الجسم أكثر تهيئاً لتجلط الدم . والأدوات المستعملة بسيطة وتتكون من السكين الحادة أو موس وشعيرات من ذيل الزراف أو الحصان للخياطة ومسحوق من ثمار شجرة القرض كطهر ومانع للنزف . ويستعمل لوح خشب شجرة "القلل" الهشة في عملية القطع. وفي المكان المعد مسبقاً ، يتجمع أهل الصبي المختون من الجنسين ويلتفون حوله إظهاراً لدعمه والوقوف في صفه . وتتم عملية الختان وسط مظاهر الفرح والزغاريد التي تحمس المختون على تحمل الألم . وهذه هي الصورة التي كانت تتم بها عملية الختان في وقت لم تكن الخدمات الصحية كالمستشفيات والشفخانات متوفرة . وبعد مضي اسبوعين تتوج عملية الختان بإقامة إحتفالات قد تستمر اسبوعاً . وتسمى الرقصات الخاصة بالمختون بـ "بيراء دنيقت".

أما بالنسبة للبنات فإن الزغاوة أيضاً يحرصون على خفافهن ما عدا عشيرة أو عشيرتين تمتنع عنها لعادة قديمة عندها . وتتم عملية الخفاض في سرية تامة وتحضرها النسوة فقط . وتقوم بها امرأة خبيرة مسنة ، وتتفاوت درجات الخفاض هذه من فرع قبيلة لأخرى ، إذ تصر بعضها على الخفاض الفرعوني البغيض ، والأغلبية تعمل بما يعرف بخفاض السنة.

## الأعياد :

للعيد مكانة خاصة في حياة الزغاوة ، ويحتفلون - شأنهم شأن كافة المسلمين - بالأعياد الدينية المعروفة : عيد الفطر المبارك ، عيد الأضحى والمولد النبوي الشريف . وعند زغاوة الكوبي فالاحتفالات المتبعة في عيدي الفطر والأضحى لا تخرج عن طابعها التقليدي في العهدين العباسي والأموي. ويطن عن العيد في الليلة التي تسبقه بواسطة طبل كبير "ندر - Neder" فيما تصدح النحاسات ملهبة مشاعر السامعين . ويتوافد الناس من شتى أنحاء السلطنة منذ الصباح الباكر للصلاة . وتخرج الجموع في موكب بهيج مهيب يتقدمه السلطان راكباً جواده في أجمل صورة ويسير من خلفه وجانيبه خدامه وهم يحملون الأسلحة النارية والبيضاء والبيارق متزيين زي المحاربين وهم ينشدون "يرفعون الجلالة " والشهادتين " لا إله إلا الله ، لا إله إلا الله ، محمد رسول الله " والحداحيد يضربون النقارة فتدوي بأنغام تتفق وجمال المناسبة الكريمة والفرسان يمتطون صهوات جيادهم وظهور إبلهم والمشاة بكامل أسلحتهم والنساء والأطفال في ملابسهم الجديدة وكامل طيهم والجميع ينشدون فتعلو أصواتهم عنان السماء.

وفي المكان المعد مسبقاً للصلاة ، وفي أرض فضاء لاتبعد كثيراً عن الحاضرة الطينة تصلي هذه الألوف الكثيرة في صفوف متراسة خلف إمامهم الذي هو القاضي في نفس الوقت . فإذا قضيت الصلاة يسبح الجميع بحمد ربهم ويشكرونه على جزيل نعمائه عليهم ويهنئ بعضهم بعضاً ثم يرجعون الى الساحة الواسعة أمام بيت السلطان ويصطفون على ركائبهم فيمر عليهم السلطان على حصانه يحييهم فتطلق الأعيرة النارية فرحة وبشرى فيما تضرب النحاس والنقارة ، ويتبارى الفرسان في السباق المعروف بالدفرة بجيادهم وإبلهم وهم يلوحون بأسلحتهم وسط زغاريد النساء وصيحات المعجيين .



(\* بعض أفراد الأسرة الحاكمة لسلطنة الكوي في الطينة يحتفلون بعيد الفطر المبارك)

وينفض الناس إلى بيوتهم والضيوف إلى بيوت أهلهم ومراكز ضيافتهم ويريح الفرسان ركائبهم ويعودون الى نفس المكان لكي يتناولوا طعام الفطور المقدم من السلطان وسائر سكان الطينة الذين يعتبرون هذه الجموع ضيوفاً عليهم جميعاً . وبعد ذلك يلقي السلطان كلمته وهو جالس على كرسيه ، وتسبب لعدم وجود مكبرات الصوت في تلك الزمن كان الأمين فضل الله المعروف "بكلام تام" ومن بعده رابح مرسال المشهور "بخشم السلطان" بصوته الجهوري ، بتكرار مايقوله السلطان بصوت عال يسمعه كل الحاضرين ويتصب خطاب السلطان في مجمله على تهنئة الناس بالعيد السعيد ويتمنى لهم الخير والتوفيق ومن ثم يقدم إليهم تصائحه في شأن الزراعة وتربية الخيول والزواج والمرعى والسياسة العامة والضرائب والتعاميم الواردة إليه من المركز أو المديرية وما إلى ذلك . ويسمح لمن يريد التحدث عن أي موضوع أو إبداء الرأي فيه ، فيقوم الفصحاء في " لغة الزغاوة" بتهنئة السلطان والدعاء له بأن ينصره الله "الله ينصرك" ويعلم أحدهم مثلاً عن جملة أو حصانه الضائع فيورد اوصافه بأسلوب شيق بليغ واضح ويقدر الجائزة التي أعدها لمن يعلمه شيئاً عنه . وآخر يطن عن شئ ضائع يوجد عنده .. ألخ ولكل إنسان الحق في أن يقول مايشاء ، وينفض الجميع إلى ساحات

الرقصات الشعبية القبلية المنتشرة في أكثر من مكان للمشاركة في اللعب ( الرقص ) أو للتفرج ، وتستمر الأفراح أسبوعاً كاملاً.



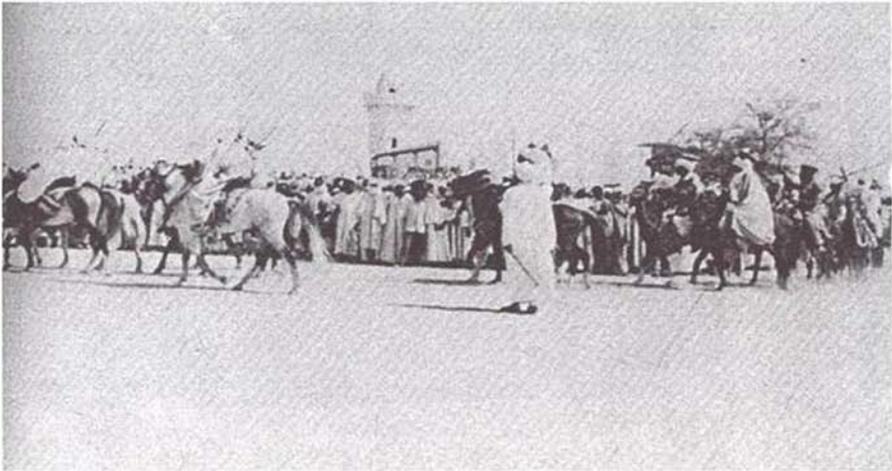
( \* فرسان زغاوة الكوبي في العرضة الخاصة بالعيد )

### المولد النبوي :

أما الإحتفال بالمولد النبوي الشريف "عيد الكرامة " فيقتصر على تجمع أهل الحاضرة ليلاً في ساحة منزل السلطان وتضاء الفوانيس ويجلس قراء المولد ويتناوبون في قراءة فقرات من كتاب المولد ، بينما يجلس حولهم عامة الناس يستمعون للإنشاد ويردون بعض المقاطع . أما النساء والصبيبة فيجلسون في مكان غير بعيد مستمعين نون مشاركة في الإنشاد . وخلال هذه الفترة يوزع الشاي والحلوى والتمر على الحضور ويعطر المكان بالبخور . ويختتم الإحتفال بتناول وليمة العشاء وينقض الناس الى منازلهم ، وتجدر الإشارة بأن مظاهر الرقص ودق الطبول التي تشاهدها اليوم في المدن الكبرى أثناء المولد لايعمل بها الزغاوة قط ، ويعزى هذا إلى عدم تعمق الطرق الصوفية وإنتشارها بين الزغاوة.

## مايقال في التهنئة بالعيد

عندما يصحو الناس مبكرين إستعداداً لاستقبال العيد فإن أول مايفعلونه هو تبادل التهاني ، إذ يقبلون على بعضهم مهنئين بفرحة مقدمه و داعين بخيره . وغالباً مايقوم الكبار بهذه التهنئة بترتيب معلوم وأسلوب خاص لا يخلو من البلاغة والفصاحة . وتتصب معاني التهنئة في الدعاء بطول العمر والسعة في الرزق - بالمال والبنين - والحج لبيت الله الحرام وحسن الخاتمة . وتتضمن على الكثير من صور المحبة بين أفراد الأسرة الواحدة . والمحافظة على العلاقات الطيبة بين الاسرة والجيران وبالتالي تشجيع المحبة والتسامح بين الناس . كما أن الاسلوب المتبع في التهنئة غني ومليء بالصور المأخوذة من البيئة المحلية . ولا تختلف فروع قبيلة الزغاوة كثيراً في التهنئة بالعيد . وهذه الصورة التي ننظرها عن التهنئة بالعيد عند زغاوة الكوبي كمثال . وهناك اختلاف يسير في الضمائر وأسماء الإشارة التي تخص الشخص أو الأشخاص المعنيين والمخاطبين بهذه التهنئة .



(\* الاستعراض التقليدي للعيد أمام بيت السلطان دوسه ويبدو في الصورة مسجد الطينة)



( \* لحضور لكثيف للأهالي يعتبر من مظاهر لعيد في دار لكوبي ويبدو قصر لسلطان دوسه وسوره لعيق )

### النموذج الأول :

وهو الشائع، ويشمل قطاعات عريضة من الناس والخطاب هنا موجه لجمع المنكر السالم أو جمع المؤنث السالم . ونفس هذه الألفاظ يخاطب بها الرجل أو المرأة . اما التانيث والتذكير فإن أثرهما غير واضح لغوياً إنما يكتمان في التخفيف والتقل في اللفظ . والجدير بالإشارة هنا أن التهنة تطول وتقصّر حسب مقدرة قائلها ، فما يَرُدُّ الْمُخَاطَبُ بعد كل جملة بكلمة أمين . ويلاحظ القارئ أن صيغة التهنة والدعاء تأتي مرتبة ترتيب نشأة الانسان ومراحل نموه ، وما تمر عليه من احداث وما يقدم عليه من أفعال حسنة من المهد إلى اللحد .

مايقال باللغة العربية

مايقال في العيد بلغة زغاوة الكوبي

|   |  |    |
|---|--|----|
| الحمد لله الذي الحفنا بالعيد سالمين       | آير أوزو عيد تباردينا دي داء             | 1  |
| مبروك عليكم العيد                         | عيدتاء قوارا قيتي نكييه                  | 2  |
| بالعافية والسلامة                         | تاء داناي تاء اوو نقينية                 | 3  |
| أطال الله في اعماركم                      | طول العمر نكييه                          | 4  |
| وسع الله لكم فيما تررعون                  | دراي كي نكييه                            | 5  |
| وسع الله لكم فيما تررعون                  | ديمينيه كي نكييه                         | 6  |
| حقق الله لكم كل أمانيكم                   | ايروقو آير تاقيبې سوكو كورو كوييري نكييه | 7  |
| أعزكم الله وجعل اسرة ابيكم سندا لكم       | باء بييرو دي نقينيه                      | 8  |
| أعزكم الله وجعل اسرة امكم سندا لكم        | كيزاء بييرو دي نقينيه                    | 9  |
| اطال الله في عمر والدكم                   | أباقونو كييري نكييه                      | 10 |
| اطال الله في عمر والدتكم                  | اياقونو كييري نكييه                      | 11 |
| اطال الله في عمر اشفانكم                  | كيراقونو بور كييري نكييه                 | 12 |
| أمدمكم الله بالقوة والمنعة                | مورويو كوري نكييه                        | 13 |
| أنعم الله عليكم بالصحة وطول العمر         | تورداء قيري قيتي نكييه                   | 14 |
| أجزل الله لكم سعة في الرزق                | اورداء انيرو هيدي نقينيه                 | 15 |
| انعم الله عليكم بذرية صالحة               | تاقوني انيرو نو نقينيه                   | 16 |
| جعل الله ايامكم وضاءة سعيدة               | كورهوراء انير تير ديرقير ونقينيه         | 17 |
| حباكم الله الغلبة والنصر المؤزر           | حوري انيرو كي ديرقير ونقينيه             | 18 |
| وقاكم الله شر الهم والغم                  | جارداء بيه انيرو هييري نقينيه            | 19 |
| وهبكم الله عمر الشيوخ المتوج بالطم الحكمة | تودو كمندي "ميرتي" نفودوريه              | 20 |
| احياكم الله لتروا فرحة عيالكم             | باء باقوتير نكييه                        | 21 |
| جعل الله بيتكم عامرا بالبنين والبنات      | كينيفي تودوك نقينيه                      | 22 |
|   | بورقو نوماي نسبييره                      | 23 |
|   | بورقونو بورقو دي ايري نقينيه             |    |

|                                      |                                  |    |
|--------------------------------------|----------------------------------|----|
| جعل الله حيكم مزادنا بالاھل والجيران | بييه تودوري بيه تنبيه            | 24 |
| يرزقكم الله من حيث لاتحتسبون         | قوية كيديرو "كوسو" نكييه         | 25 |
| ان يمدكم الله بالخير الوفير          | خير بلا شر نكييه                 | 26 |
| ان تتعموا بأداء فريضة الحج           | مكة كعبة بارو بيبه               | 27 |
| وهبكم الله حسن الخاتمة في الحياة     | جبل عرفات طلعي نسيري             | 28 |
| ان تكون الجنة مثواكم الاخير          | اينيري آري كلمة شهادة بيبه       | 29 |
| أعاده الله باليمن والبركان           | أوء نونويراء جنة زو بشرى نقينيه  | 30 |
| المسامحة لله ورسوله                  | ايبي آرا حَي زو تباردي عيد تيديه | 31 |
|                                      | مسامح لِلائي تيري                | 32 |
|                                      |                                  | 33 |

### النموذج الثاني :

تردد نفس المَقُولَة السابقة في النموذج الاول للذكور او للمفرد منهم مع هذه الإضافة :

|                             |                         |    |
|-----------------------------|-------------------------|----|
| الدعاء له بالزوجة الصالحة   | باقو دي بارو كيديه نكيه | 34 |
| الدعاء له بحياة زوجية سعيدة | بييه دي اوقوايرو بوبيه  | 35 |

### النموذج الثالث :

تقال التهنة في النموذج الاول للاناث او المفردة منهن مع هذه الاضافة :

|                              |                         |    |
|------------------------------|-------------------------|----|
| الدعاء لها بالزوج الصالح     | بورو دي بارو كيديه نكيه | 34 |
| الدعاء لها بحياة زوجية سعيدة | بييه دي اوقوايرو بوبيه  | 35 |

## التحية ومايقال عند الزيارة

من آداب الزيارة عند الزغاوة عدم دخول بيوت الناس دون استئذان أهلها وطرح السلام عليهم .

نورد هنا أمثلة للتحية بلغة زغاوة الكوبي : عندما يصل الزائر باب الدار التي يريد زيارة أهلها يقول :

ببيه بارتاء .. نيريا؟. بمعنى يا أهل الدار هل أنتم موجودون ؟  
فيجيبه أهل الدار :

اينق .. أروكيو . اي نعم .. تفضل .

(أ) اذا كان الوقت صباحا قال :

بيه بارتاء .. اوررونقيا . اي صباح الخير يا أهل الدار .

فيجيبيونه : اينق .. اورو تيفي .. عوجة تيدو . بمعنى نعم اصبحنا بخير الحمد لله بلا عوجة.

(ب) وان كان الوقت نهارا يقول :

اورو تارقوريا . اي طاب نهاركم.

فيجيبيون عليه :

اينق .. اورو تارقوري . نوء نديرو ناقوري ؟ (بصيغة الجمع ويقصد هو وأهله)

اي : بخير .. وأنتم كيف حالكم ؟ (بصيغة الجمع ايضا).

فيجيبيهم : عوجة تيلوء . اي الحمد لله نحن بخير - ما فيش عوجة.

(ج) واذا كان الوقت مساء واراد الزائر وداع اهل الدار قال لهم :

ايرورونيه نيغو . أي تمسون في أمان الله .

او : كييفي .. نيقيو . أي تصبحون على خير .

الجدير بالاشارة هنا انه من آدابهم في الماضي ان يخلع الزائر حذاءه عند مدخل الدار ويبدأ بالتحية على أهلها إحتراما وتأدباً . وقد يتبع ذلك الجلوس على الأرض . وتختلف التحية وتتباين حسب العمر حيث يبادر الصغير بالسلام على الكبير . فيقترب

منه لِيَمَكِّن الأخير من التربيـت على كتفه الايسر . وقد يطأطي رأسه لكي يمسح عليه الكبير دلالة على العطف والمحبة . وهذه الطريقة تسري على الجنسين رجالاً ونساء . اما التحية على زعماء القبائل وحكامها تاخذ طابعا مماثلا لما ذكر ويستثنى من ذلك حاكم زغاوة الكويبي الذي يسلم عليه الفرد وهو يجلس حاسر الرأس حافي القدمين ويضرب راحتي يديه ببعضها ومردداً جملة "الله ينصرك".

اما اليوم فقد تبدلت صور التحية التي اشرنا اليها نتيجة التحول الاجتماعي الذي صاحب التغييرات البيئية وهجرة الناس الى المدن فأخذت التحية تقترب مما نراها في سائر انحاء السودان .

### المطر والرعد :

يعتمد الزغاوة اعتمادا كلياً على المطر في حياتهم الزراعية والرعية ، لذلك فانهم يهتمون به كثيرا لما لهم من فراسة ودراية بالانواء واتجاهات الكواكب السيارة وتحركات النجوم . ويمتاز بعض الناس عن غيرهم بالتنبؤ باتجاهات الرياح وموقف الامطار لعام او اكثر ، وما اذا كان الخريف يبشر بالخير او بالقحط والجفاف والمجاعة . ومن أوراق الشجر يعرفون طول الخريف او قصره . ويتفعلون كثيرا ببعض الأشخاص الذين يعتبرونهم موفوري الحظ دائما في الزراعة فيختارونه "ملكاً" للمطر "بي ابناء" -- Bee Ina " عقب بعض الطفوس وذبح شاة وتفريق لحمها في عدة اتجاهات وتوزيع جزء من اللحم للناس "كرامة" ثم يربط في يده خيط من الحرير ويظل خارج داره عند نزول المطر الذي ينهمر -- بانن الله -- بغزارة .

وعندما تشح الأمطار في اواسط الخريف - و يصطلح عليه - " أريغو arigo " فإن اهالي القرية يجتمعون فيما يسمونها بالبلاء او "رفع البلاء" - وبطريقة جماعية يشترتون ثورا فيذبحونه ويوزعون كمية من لحمه على كل بيوت القرية و يطهون ما تبقى لتقدم وجبة غداء للرجال الذين اجتمعوا تحت الأشجار الظليلة يقرأون القرآن الكريم وآخرون يسبحون بحمد الله وبالطيف .. ويصلون في جماعة . ويختمون يومهم بالدعاء

والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم . اما في اعوام الفحط فإنهم يصلون صلاة الاستسقاء يسألون الله الغيث .

وارتبط الرعد او الصاعقة "أم طرقات" أو "بو" في اذهان بعض الناس بما يحمله من كوارث وحرائق واحيانا يتسبب في موت الناس والبهائم ، لذلك تجدهم يتحاشون ذكر اسمه في الخريف - لاعتقادات قديمة - ويعتقد الزغاوة عموما في السابق مثلا- اذا شخص انكر زوراً ضلوعه في جريمة سرقة إتهم فيها فإن صاحب الشيء المسروق يحق له أن يطلب أن يطف بالرعد الذي يعتقد أن تكون استجابته سريعة وقاضية وراعدة في نفس الوقت ، مما ترك في نفوس الناس ترسبات من الفزع والخشية تجاه الصواعق و الرعد . وعندما يصوت الرعد ويحدث نوباً شديداً مصحوباً بوميض البرق الذي يسميه الزغاوة بالسيف ، يمضغ الكبار والصغار ثمرة القرض الجافة ويطلبون الرحمة من الله وابعاد خطر الصواعق ، ولهم سلسلة من الادعية لايتسع المجال لذكرها ، اما الذين اوتوا من القرآن علماً فإنهم يقرأون آيات من كتاب الله الكريم من سورة الرعد .

### الزراعة والحصاد

يستعمل الزغاوة ادوات تقليدية بسيطة في الزراعة التي يشترك فيها كل افراد الاسرة فيقومون بتنظيف الارض من بقايا زراعة الموسم الماضي ويسوون الأرض ويعنونها للموسم الجديد. وقبل موسم الامطار يدفن بعض الناس بذور الذرة والدخن في التربة الجافة تحسبا لهطول الامطار المفاجئ في اي وقت . ولكن الغالبية العظمى فإنها تقوم بزراعة المحاصيل بعد نزول أول غيث وهي : الدخن والذرة الشامية والباامية والكردي والبطيخ والنفوس. أما الشامام والبطيخ فتزرع في اواخر فصل الخريف في الاراضي الطينية .

والادوات المستعملة في الزراعة او التيراب- Teirab هي الطورية "هيفيت- Heget" وتشبه السلوكة ، وفي الحشائش "إزالة الحشائش" فتستعمل الكدكة او "الدرباي- Darbai" والجراي أو الحشاش . وفي موسم الحصاد تستعمل السكاكين

وما يسمى بالـ "كنفوء- congo" في قطع قناديل الذرة وسنابل الدخن . ولأن المزارع واسعة وتحتل مساحات شاسعة من الأراضي الرملية "الفيزان" ولحمايتها من الدواب والبهائم ، تحاط بزرائب من الشوك .

ويتعاون الناس في عملية إزالة الحشائش ، اذ يجتمعون في النفير "أبي" ويعملون بصورة جماعية في انجازها بأسرع وقت ممكن . ويعد يوم الأربعاء عطلة ويسمونه "يوم البطالة" لاعتقادهم انه يوم شؤم يمتنع الناس عن العمل فيه ، وخاصة الأربعاء الاخير من كل شهر قمري . وتقوم النساء فقط في عملية نر الذرة او فصل الحبوب عن سنابل الذرة وتسمى "باقاء كيري -Baga kiri" أو دق العيش على المدق "توء - Tooe" بواسطة المضارب والضرايات "توقون - Doogoon" فيما تكنس بالمفشة "جوردو djordoe" وتذر بواسطة طبق كيديه -Kedeh" وتوضع في الريكة "كداره - Kadara" او "كيرييه -Kereh" وتكال الذرة والدخن بمعيار صغير وهو المد او "الميد - Mid" والكميات الكبيرة بالـ "سيفير Siger" وتجب الزكاة في الدخن والذرة عند الزغاوة في عشرة من المكيال الذي يعرف بالسيفير - حوالي 15 أردب - وتنقل الى القرية "قينييه - Geneeh" على الدواب في حاويات متباينة السعة تعرف بالجراب أو "اوردوبور - Urdobor" ومتوسطة تسمى "أوردي urdi" أما الفرفة أو "كاراء Kara" فتعد اكبرها وتحمل على الجمال وتخزن في شون كبيرة مصنوعة من الطين على هيئة براميل واحدها دبنفة "نونوء Noonoo" أما الكميات الكبيرة التي تصل الى الزكاة او اكثر فإنها تخزن في السويبه "كوركور Kurkur" أو في صوامع تحت الأرض وتعرف بالمطمورة .

وعند الإنتهاء من موسم الحصاد يَكُونُ السلطان قد علم بمنخرات المحصول لدى الناس عن طريق مشايخ القرى ، فيرسل مندوبيه اليهم لجمع الزكاة والعشور والفطرة وهي كميات عينية من الذرة والدخن تخرج للسلطان كل عام.

إحضار الماء وجمع الحطب :

في فصل الخريف " قبييه - Giyeh "، تورد النساء والبنات الماء " بيه - Beeh " من البرك "كي- Kay" والرهود القريبة من القرية ويحملنه في الجرار " قارو Garoe " ويحفظ الماء في الازيار " تي Teeh " ويستعمل في الشرب اثناء مصنوع من القرعة المرة او كأس يسمى "ميساء Misa".

وفي فصل الشتاء "دابو Dabou" أو "الدرد Tarba" حيث تجف البرك تقوم النساء اللاتي ليست لهن بنات - مع بنات القرية - بجلب الماء من رهود بعيدة تحتفظ بالماء لوقت طويل . هنا تستعمل القرب وتحمل على الحمير زوج من القرب" او على الجمال (أكثر من زوجين ) . وعندما يكون ماء الرهود غير نقي تعمل النساء على تنقيته بملح السبخة الذي يستخرج من الأرض و يسمى " أورقوي-Orgoi " او بلحاء شجرة المخيط "ماديراء-Madira " أو مادة الشب . أما في فصل الصيف "أيفي - Aigi " يعتمد الناس في مياه شربهم من الآبار "باء- Ba" ويستخرجون الماء بالدلو "كوي- KOI " ويصب في احواض من الخشب تسمى مادي - Madi " لسفاية البهائم او ملء القرب.

أما حطب الحريق فلا تشكل مشكلة في دار الزغاوة لكثرة الغابات في ذلك الزمن ويجمع الحطب " اوروء - Uroo " باليد بواسطة النساء والبنات من أطراف القرية ويكسر من الاشجار التي جفت منذ وقت طويل " أورو - تواري " باليد وراحة القدم وقد يستعمل الفأس " تيفير - tefer " أو الفرار في شق الكتل الكبيرة - الجبول - "مودور - Moodoor" . والحزمة التي تستطيع المرأة حملها على رأسها تسمى ربطة او كربة "اورو توقوي" وهي تربط بالحبل " ايبوء- Iboe " ، في وسط الزغاويد والاغاني تحتطب البنات ويرجعن الى القرية بنفس مظاهر الفرحة والسرور .

### الفصل الثالث : المأكولات الشعبية :

تعتمد كل فروع قبيلة الزغاوة في غذائها على الأطعمة الشعبية التي تنقسم الى خمس مجموعات غذائية رئيسية هي :

- 1- الحبوب والبقوليات
- 2- الألبان
- 3- اللحم
- 4- المكيفات والمشروبات
- 5- ثمار الأشجار

معظم هذه المأكولات الشعبية يشترك في تناولها سكان دارفور بمختلف مناطقهم ومشاربهم ، لما فيها من قيمة غذائية عالية تكون غذاء متكاملأً . ولكي نتعرف عليها يحسن بنا ان نتعرض عليها بشيء من التفصيل .

#### أولاً : الحبوب والبقوليات:

الحبوب الرئيسية هي الدخن والماريق " الذرة بأنواعها من فترتة ومايو والدبر ..الخ " والضفرة "؟؟ بأقسامها الثلاثة : دوقوري -أيري - جيفري " والكوريب "بوء" وبوء بوء" وتشكل العصيدة "غو Goe" وتعني القوت - غذاء رئيسيا . وتطهى بالماء ودقيق الدخن . أو المنزوع القشرة " دامرقة damirgah" . وهناك انواع مختلفة من المأكولات يدخل الدخن في صناعتها مثل ال" قوقور Googoor " وهي قراصة الدخن ، و" توقو تادوري - Toogootadori ، وأم دفان " أبوت " والمديدة " أومؤ- Omoe " والدشيشة " حرقاء -harga وبؤبؤ- Boboe وال" الجير - DjEER وتقوري والبلبلة . وتؤكل بانواع مختلة من الايدام (ملاح ) سؤ - sawe كملاح الثقيلة وملاح الروب وملاح البامية والأملوط وملاح الكول "كوال - Kawal- وملاح الحوت "بني كريبو" وملاح المرس وملاح اللوياء وملاح الملوخية والعيير ويدخل في صنع الملاح مسحوق البامية المجففة "الويكة" والشرموط "دقيق اللحم المجفف" والبهارات مثل الكمبة والثوم والكشبرة والفندار "الشمار" والبصل والطماطم المسحون "الصلصة " والملح الزقومي والدومي او الملح الاحمر وزيادة على السمن . وأطيب ملاح هو الثقيلة . و يدخل العطورون في بعض الماكولات كعصيدة العطورون وملاح البامية.

الجدير بالذكر ان وجبات الطعام الرئيسية اثنتان الفطور والعشاء . وتحتوي المائدة ايضا على أصناف مختلفة من المأكولات . فالخضروات كانت نادرة آنذاك ولكن هناك بدائل عنها من الاعشاب البرية كالخضرة "الملوخية" والتمليكة " نقاي - Ngai والبطاطا البرية (الفقع) والمائية "موقونوء- Moguno والسفيط بانواعها الاسود والاحمر " نقوء بي " (ماراء) ونقؤ كينيه(مبيه) ونبات متسلق يعرف بالعيير - Eyeir وننقيرتراء والسنة سنة - Seneh Seneh أو السنماكا و" تقورياء ، وتقورو حورو وهي جذر شجرة القفل الصغيرة .

### ثانياً : الألبان

اللبن أو " أوء- Owe " يشكل غذاء متكاملأ ، ومشتقاته متنوعة وكثيرة ، ومصادره تتحصر في الأبقار والنوق والأغنام والنعاج . و يمكن شرب اللبن نون عليه - آنذاك- ولا يسبب الحمى المالطية كما هو الحال في بعض البلاد ، ولكن يفضل شربه بعد غليه جيداً . وهناك مسميات عدة للبن في صورته المختلفة : فهو اللبيا "جوي- Joy والحليب " أوء جير- Owejir والبركيب "أوء- كير Owker والروب "أوء تقومو -Owe Togomoe . ومن مشتقات اللبن السمن "بورو حامو- BoroHamo " و الفرصة أو الزبدة "بورو دينيه BoroDenih" ويستعمل الدخن لاستخلاص السمن من الزبدة ويسمى الراسب منه "بورو سورو - Boro Soro " الذي لا يأكله الرجال لاعتقادهم انه يضعف الرجولة ويقعدهم عن ركوب الخيل . ومن السمن ما يستعمل للأكل ومنه ما تتخذ النساء دهاناً لشعرهن . وله استعمالات لأغراض أخرى . وتصنع من اللبن الأجبان ، كما أنه يدخل في العديد من الأطعمة والمأكولات كالعصيدة وقراصمة الدخن . ويختر اللبن " أوء كارس-owekaris " بثمار نبات يسمى " نبوق- Noboug " وبالعامية الجبن جبن ، ويدخل هذا النبات في دباغة الجلود.

### ثالثاً : اللحم

تتحصر مصادر الحصول على اللحم " إيني-Eni" لدى الزغاوة في الآتي :

## 1- لحوم الابقار والاعنام والجمال :

لم تنتشر الجزارات في دار زغاوة على نطاق واسع وذلك لعدم الحاجة الى شراء اللحوم لسهولة الحصول عليها بطرق مختلفة . والجدير بالذكر ان الزغاوة -آنذاك - كلما يذبحون الابل والابقار او الاعنام لأكل لحومها الا إذا كانت آيلة لأن تنفق لسبب من الأسباب .. ولكنهم كثيرا ما يبحونها للمناسبات الكثيرة التي تمر عليهم وخاصة اكرام الضيوف حيث يقوم المضيف بذبح شاة لهم ولو كان شخصا واحدا ، ويعيب على الزغاوي الذي يأتيه الضيف ولا يذبح له . ويدعو جيرانه واهله في القرية ليتناولوا الطعام مع ضيفه . وتحفظ اللحوم لمدد طويلة بتقطيعها الى شرائح رفيعة "دير - وتعلق لتجف بالشمس "شرموط" وحيانا تتم عملية التجفيف بالتمليح او بمسحها بالرماد الخالي من الشوائب.

## 2- لحوم الحيوانات البرية :

نسبة لكثرة الحيوانات البرية في الغابات والبراري آنذاك ، فإن الأهالي كانوا يقومون بصيدها بكل سهولة متى ما احتاجوا الى اللحوم . فكانوا يصطادون فلا يستطيع اصطيادها الا رجال قلائل مهرة يستخدمون انواعا مختلفة من الرماح والبنادق وهم على ظهور الخيل . ويستخدم الصيادون الكلاب والاسلحة النارية - بعضها من صنع مطي- والرماح الخفيفة والسفاريك (جمع سفروك) ويشتهر الحداحيد (قصيلة مضطهدة من الزغاوة) بصيد الحيوانات البرية باستخدام الشرك والرماح والحفر التي يعنونها مسبقا في مناطق مختارة ، ويستخدمون أساليب التمويه والخدع والالغاني وبعض طرق السحر في صيدها . ومن ثم يقومون بتقطيع لحومها وتجفيفها وبيعها للناس .

وهناك جانب آخر هام لصيد الحيوانات المفترسة ليس للحومها بل لجلودها او للتخلص منها انقاء لشرها لأنها تشكل تهديدا طبيعيا للماشية والادواب والناس . وهذه الحيوانات هي الأسد "سوراء - والنمر" اوقي- والذئب او المرفعين " سرديه والخنزير البري " تونفور - الذي يخرب المزارع . ولكل من هذه الحيوانات طريقة في صيدها . لكن اصعبها واشرسها صيداً هو الاسد الذي يتم صيده بصورة جماعية ولا

يصمد امامه سوى الرجال الشجعان الذين يستعملون الحراب الكبيرة والمعروفة بالشلكاية "كايار- والرماح "كوء- وكثيرا ما كان الفرسان يتعرضون للأذى البالغ من الاسد وهم يصرون ويصمدون لقتله مهما كلفهم الامر من ضحايا وجرحى.

### 3- لحوم الطيور الداجنة والبرية :

تشكل الطيور الداجنة والخلوية مصدرا غذائيا ثابتا وفي متناول اليد . فالدجاج "كودي- المنزلي يتكاثر دون تعب في تربيتها . فالطيور البرية يصطادها الأهالي بطرق واساليب واسلحة مختلفة ، فالعصافير "تورفوء- Tarfoe كالديوري والفرا وأبي الحطب وغيرها تصطاد اما بشراك التمويه او ببندقية الخرطوش ، كذلك الحال بالنسبة لدجاج الوادي "قوروي Goroy والطفراوي "كوراء- Kura فإنها تصطاد بالكلاب او بالشراك المصنوعة من حبال رقيقة قوية تسمى "جوري Juree- من شجرة ال "تيمو Timaw- وهي في اعشاشها "نكة Dakka- تحت الأشجار وبين الحشائش والنعام "يموء Imo" اكبر الطيور حجما لكنه لا يستطيع الطيران ، اتما عوض عنه بسرعة الركض لذلك يصعب اصطياده وتستعمل الحيلة والتمويه فى ذلك بحفر حفرة قرب المكان الذي تبيض فيه الأنثى - لون ريشها بني او رمادي - وتغطي الحفرة بفروع الاشجار والاعشاب وبطبقة رقيقة من التراب وتوضع بيضة واحدة فوقها لتستدل بها النعامة . فما أن تطأ عليها حتى تهوي في الحفرة وتقتل بأبسط ضربة على رأسها . والطريقة الثانية في صيد النعام هي بالخيل السريعة وقد تستعمل الاسلحة النارية ايضا في صيدها . وتصطاد الحبارى " حوء Huoh بالشراك والاسلحة النارية. مثلما لحوم هذه الطيور طيبة فإن بيضها تشكل مصدرا بروتينا وزلاليا هاما ويتناسب بيض الطيور تناسباً طريدا مع احجامها ، لذلك فإن بيضة النعامة هي اكبرها على الاطلاق . وتستعمل وعائها الخارجي نو الشكل الجميل في الزينة بالرسم عليها او بتشكيلها بالجلد المشغول الملون والسكسك والودع.

### 4- لحوم الأسماك :

توجد أسماك الحوت "حوت"-على قلتها - في البرك الكبيرة ذات المياه الساكنة فتؤكل طازجة او مجففة بطريقة التمليح . وتجلب احيانا من مناطق بعيدة ويعمل فيها نوع من الايدام"ملاح" يعرف بملاح الحوت - أو الليبا -Liba.

#### رابعاً : المكيفات والمشروبات:

(أ) الكيف : في الحقة من التاريخ التي نتحدث عنها كانت المكيفات كالسجائر والتمباك والسعوط (تابا-Taba") لم تكن منتشرة وغير مألوفة في مناطق عديدة من دار الزغاوة وكان القليلون الذين يدخنون السجائر او يستعملون السعوط لايجدون قبولا في المجتمع. لذلك ظل بعضهم يتعاطاها في الخفاء تفاديا للحرج واتقاء لاشانة سمعته في أعين الناس.

أما الشاي فيعتبر أهم أداة للكيف لدى معظم سكان دار زغاوة. ولايخلو بيت منه بل وتقام مناسبات خاصة بشربه وهي جلسات تضم الجنسين ولها فنون وطقوس خاصة بصنعه تختلف من منطقة لأخرى . وللشاي ادواته الخاصة مثل الشعبة"سيبه-Siba" الحديدية ثلاثية الأرجل التي تعلق عليها "الكفتيرة- Kafateira" وهي الابريق الذي يسخن فيه الماء . ويراد الشاي والكبايات التي تختلف في أحجامها وأسمائها مثل ال"درونوس"-Dornos وساق السيليل"سكسيل" والسفاسيك"- Sigasik والشوب و المشنخة والسادة وأخرى تعرف بأسماء بعض مطربي السودان المشهورين آنذاك . ويعرف أن اكبرهما حجما هي الشوب واصغرها السفاسيك . وللسكر أسماء منها رأس السكر " التليجي " والبغيتة " السكر الناعم . وللشاي ايضا كالشاي اليوغندي والسلون نسبة لجزيرة سيلان (سري لانكا) مهد الشاي. وللسفرة والملاعق اسماء ، حتى النار والذهب والجمر ونوع الحطب المستعمل لاتخلو مما اشتهرت بها من أسماء .

وهناك آداب وطقوس خاصة بطريقة تقديم الشاي وتناوله من الشاربيين الذين يجلسون في حفة (قعدة) تعقد ليلا ويتبارى الجميع بأشعار وبأغنيات خاصة بمدح الشاي ووصفه والفتاة التي تقدمه علاوة على مغامراتهم الشخصية وبطولاتهم. كما أنهم يصنفون شاربي

الشاي الى قسمين فالفرد في القسم الاول يسمى البرمكي او " الحريف - Hareef" وهو المحترف الحاذق الذي ينشد الكيف ويحسن صنع الشاي ويتطى بأداب شربه . وفي القسم الثاني "الكملكي"-Kemkeli وهو عكس الحريف لايهتم بالشاي ولا يبالي بأدابه وغير مبال بشربه . وللحريفات ذائعات الصيت مجالسهن والحديث عنهن وعن مجالسهن يطول . وننوه هنا أن تسمية البرمكي والكملكي اكثر ذيوعا عند قبائل البقارة ؟ ويفضل الشاي السادة على الشاي بالطيب "شاي البن" وتتدخل البهارات في تطيب الشاي . فالشاي بالنعناع تضرب به الامثال وايضا الفرفة والفرنفل والحبهان "الهيل" وبعض العطور . أما القهوة فلها شاربوها ومجالسها الخاصة التي لا تقل اهمية عن مجالس الشاي كما لها ظرفاؤها وحرفاؤها . وقد يجمع بين شربها وشرب الشاي في جلسة واحدة حيث يتناول الشاي اولا ، وتمارس طفوسه ومن ثم يلي شرب القهوة بكامل اركانها !!

(ب) المشروبات: ويمكن تقسيمها الى قسمين رئيسيين: مسكرات وغير مسكرات

1- المسكرات : في الماضي - كانت المشروبات التي تصنع من الغلال كالذرة والدخن والكوريب (بوء) تشكل ظاهرة اجتماعية منتشرة بين الرجال بالرغم من ان النساء يقمن بصنعها . وتقدم في معظم المناسبات - وإن لم تكن كلها- وكان يتعاطاها الناس دون حرج بالرغم من معرفتهم الدينية بحرمتها وذلك جريا وراء اشباع الرغبة ما تجلبها الخمر من اثاره وشعور بالنشوة والشبع . والخمر تسمى "قوروء-Gurue" ويصعب تعليل معناها في لغة الزغاوة . وهي أنواع منها:

(أ) المريسة: وتسمى بخو أو "بغو - Bogho" وهي المشروب الشائع وتحتوي على نسبة كحولية متدنية.

(ب) العجينة : وتعرف بالمشيشة وهي تؤكل وتشرب "حرقاء-Harga"

(ج) قوم زوط

(د) مسكاء نونق كودورونق

(هـ) كونيو مورو

2- غير المسكرة . وهي:

(أ) مديدة ومشتقاتها (ب) أميلي- (Ambelly ج) كمان جاني (د) مسكاء- عسلية (هـ) Asalia دكاي Duckai. و المشروبات غير المسكرة قد يتعدى تناولها الرجال حيث يمكن ان تشارك في شربها النساء والاطفال لأنها في العادة تكون بمثابة المشروبات الغازية كالبيبسي والكولا والسفن أب فهي لاتسكر ولاتذهب بالألباب مالم تضاف اليها الخميرة كالذراء او الذريعة !

وللمريسة حلقاتها وشاربوها من السكرجية "السكارى" الذين يتغنون عند شربها واحدا بعد آخر . ولها آدابها واغنياتها في المدح والهجاء . كما لاتظو هذه الجلسات من اللحم المشوي "سواء او شبة" وتوابعه من الشطة والملح والبصل والمرارة (إتاقة) و"أم فتفت" والمزّة.

ومن الأواني والادوات التي تستخدم لصنع المريسة - ومعظمها تصنع من الفخار "الخمارة-khammara" وأصغر اناء للشرب هو القلة او دولانق "أوء Oue" والمتوسطة تسمى "ميرقاع وصغير يسمى تبوساي "ميسابور Misabour"-والجدير بالذكر ان المشروبات الكحولية الروحية البلدية كالعرقى وماشبهها لم تكن معروفة فى كل دار زغاوة في الحقبة السابقة التي تؤرخ لها .

#### خامسا : ثمل الاشجار

ونقصد بها الأشجار التي تنمو دونما زراعة او رعاية من الناس. وتنتشر هذه الأشجار المثمرة في كل مكان من دار زغاوة ، لكن لها بيئاتها وفصول نموها والتربة التي تصلح لها . فمثلا بعض الأشجار لا تنمو الا في المرتفعات الجبلية والكتبان الرملية ، وبعضها تكثر في المناطق المنخفضة واخرى في الأودية والخيران ، وبعضها الآخر في شواطئ البرك والمياه الراكدة . ولها مواسم مختلفة تستوي فيها هذه الثمار كمنتصف فصل الخريف وفصل الحصاد "الدرد" وفصل الشتاء والصيف. وتؤكل هذه

الثمار عوضاً عن الفواكه التي يندر وجودها في المنطقة لاعتبارات مناخية معلومة ،  
ولعدم اهتمام الاهالي بزراعتها لانشغالهم بالرعي والترحال . هنا نورد بعضاً من هذه  
الأشجار وثمارها:

| تسلسل | الاسم  | الثمرة | الشجرة | تسلسل | الاسم | الثمرة  | الشجرة |
|-------|--------|--------|--------|-------|-------|---------|--------|
| 1     | نبق    | كبراء  | Kabara | 7     | -     | سوفقروء | Songo  |
| 2     | كورنو  | كبراء  | Keyeh  | 8     | -     | تورداء  | Turooe |
| 3     | طنضب   | نمار   | Namar  | 9     | -     | تودوء   | Tudoe  |
| 4     | مخبط   | مادي   | Madi   | 10    | صمغ   | نورقروء | Norgoe |
| 5     | قضم    | نياري  | Nyari  | 11    | لالوب | قيء     | Giyeh  |
| 6     | قرفضان | كورفو  | Korfoo | 12    | عريب  | مببير   | Meder  |

تجمع هذه الثمار بواسطة النساء اللاتي يقمن في معسكر ويعملن بصورة جماعية ،عما  
بأن لكل واحدة منهن نصيبها حسب نشاطها وانتاجها من المحصول . ثم يعدن الى  
قراهن على ظهور الدواب المثقلة بهذه الثمار. وتسمى هذه العملية بـ " كيقى kegeh  
وهناك مأكولات كثيرة تصنع من بعض هذه الثمار وعلى سبيل المثال فإن الكوندو -  
"Kodoe ويشبه الكيك يصنع من النبق او الكورنو وكذلك الميقاء عسل Miga -  
.Asal

| الأكلة                 | الثمرة التي تصنع منها              |
|------------------------|------------------------------------|
| كوندو                  | النبق أو الكورنو ويشبه الكيك       |
| ميقا عسل أو "لجين جين" | لب النبق والكورنو مطبوخة بعسل لنبق |
| فورلو                  | لب اللالوب وعسله                   |
| قيء                    | تسلق للالوب الاخضر قبل نضجه        |

## العسل الطبيعي:

يطلق الزغاوة كلمة " Eneh - على عسل النحل و"هاني موروء Hani-Maroo على النحل وليس لكلمة العسل مرادف لها في لغة الزغاوة انما تعرف بنفس التسمية ويوجد عسل النحل الطبيعي بكميات صغيرة في جوف الأشجار الكبيرة " أولوِّقاء Ulloga"- وفي اشجار الفقل اما الكميات الكبيرة منه فتوجد في المناطق الجبلية بين الكهوف والشعاب وايضا يوجد العسل في بيوت النمل " تورقوداء Turtuda" التي تنشأ بأشكال مخروطية على سطح الأرض. ويستدل على مكان العسل بمدخل النحل ، ويستعمل الدخان لطرد النحل من بيوتها استعدادا لجمع العسل وذلك لاتقاء لساعاتها المولمة الخطرة.

## تقورياء Togoria

وهي ثمرة شجرة الفقل ، كروية الشكل صغيرة الحجم ، تسقط على الارض عند نضجها - فهي لا تؤكل لكن يستفاد منها في صنع الفطران " ايفوء "eigoe-الذي يستخدم في دباغة الجلود ، وعلاجاً للبهائم (الغنم والجمال) من مرض الجرب.

## الصمغ:

الصمغ العربي انواع مختلفة لتنوع اشجاره ونورده هنا وان لم يكتن ثمرة بالتحديد الا انه يمثل ثروة طبيعية وتؤكل معظم انواع الصمغ في وقت لم تكن تعد بكميات تجارية. الأشجار التي يستخرج منها الصمغ "نورقوء"

| ملحوظات                            | الشجرة "نورقوراء" |
|------------------------------------|-------------------|
| يسمى الصمغ سبردي                   | سيه sih           |
| بها نوعان من الصمغ 1. طعمه حلو     | كايدو kaido       |
| كالسكر                             | تويه بيري- brown  |
| 2. لونه غامق يسمى كلوء وهو لا يؤكل | تويه بيري-dark    |

|         |        |                 |
|---------|--------|-----------------|
| موماراء | الطلح  | بل يستعمل للحام |
| منجور   | Monjor |                 |
| كيديراء | السيال |                 |

## النار

اهتم الانسان منذ بداية نشأته اهتماما عظيما في طريقة ايقاد النار لما لها من اهمية كبرى في الكثير من شئون الحياة . وتلخص فوائدها للانسان الاول في الجوانب التالية :

1- رأي ان اللحم الذي يأكله نيئا غير مستساغ وتسبب له كثيراً من الاوجاع في المعدة الامر الذي حدى به الى البحث عن طريقة افضل ورأى في تعريض اللحم على حرارة الشمس وتشييفه املا فيما كان يتشده ولكنه اتضح له ان عملية التشييف هذه تحتاج لمدة طويلة ولا تتناسب الا لأغراض الحفظ والتخزين . وكان ان وجد ضالته في النار التي اعطته نتائج سريعة في الشواء والطهي .

2- اتخذ من النار وسيلة هامة في عملية التدفئة لأن أغطيته من ورق الشجر والجلود لاتقيه من شدة البرد في الكهوف التي يتخذ منها بيوتاً.

3- كان يعيش حالة من الخوف والفرع وعدم الاستقرار من جراء الهجمات المتكررة التي تشنها عليه وعلى اسرته الحيوانات المفترسة والوحوش الضارية. لذلك كان يوقد نارا عظيمة خارج مسكنه ليخيف بها تلك الوحوش. وربما اضطر لايقاد نيران كثيرة تمشياً مع عظم الخطورة التي يتعرض لها .

4- اهتدى الى طرد الحشرات القارصة كالبعوض بتكثيف الدخان المنبعث عن النار. كما كان يعاني في مسكنه من الرائحة النتنة المنبعثة من بقايا طعامه او بسبب الرطوبة مما حدى به الى اكتشاف بعض الأعشاب ذات الرائحة الزكية عند وضعها في النار ، فكانت هذه اول عهد للانسان بالبخور .

5- ولما كانت الحاجة أم الاختراع فإن إجدادنا القدماء استهوا الى الدخان كعلامة ارشادية الى بيوتهم وسط الغابات والاحراش حيث لا توجد طرق تؤدي اليها وايضا للاستدلال به للوصول الى مساكن الآخرين ، كما انهم يعرفون بواسطته نقطة تجمعهم من قرى مختلفة عند قيامهم بعمليات الصيد الجماعية حينما تفشل الأبواق عن إيصال الرسالة المطلوبة نقلها !!

### الزغاوة وسبل الحصول على النار والوقود

تسمى الزغاوة النار - "جيهه djyeh" وتعني الحارة كما يطلقون ذلك على جهنم. وقد تمكنوا من ايفاد النار بطرق بسيطة لكن نتائجها كانت باهرة وأكيدة . ففي بادئ الأمر عرفوا كيفية اذكاء النار من مصدرين رئيسيين :

**الطريقة الاولى:**

عن طريق "الفرك" أو الاحتكاك وذلك بإحضار قطعة من خشب شجرة "العقل" الناشفة تسمى "آرسي- arsi" وتحديد نقطة في وسطها ويحرك عليها فرع رفيع من الخشب يسمى (آرسيبور) نو رأس مدبب بقوة وسرعة براحة اليدين ذات اليمين وذات الشمال حتى يتطاير الشرر ويتساقط على خرقة أو قطعة من القطن وضعت على جانبي الخشبة او تحتها فتتمسك بها شرارة ويتصاعد الدخان وتتشأ النار . وهذه الطريقة عملية جدا وسهلة . وهي تنتشر عند الزغاوة الذين يستخدمونها لشواء لحوم الصيد او الطبخ في الخلاء.

### الطريقة لثانية :

عن طريق ضرب حجر يعرف عند الزغاوة "هاء تاقوروء - Ha-tsguroe" على حجر آخر فيتولد عنهما الشرر الذي يتساقط على قطعة قطنية او لحاء بعض الأشجار ويشب عليها النار بسرعة ومن ثم توضع عليها الحطب وتنفخ فيها بالفم او يحرك عليها الهواء "بالهبابة" للمزيد من الاشتعال .

ومن المصادر الاخرى للحصول على النار حجر الزناد والكبريت .

### مصادر الوقود :

تنوعت مصادر الطاقة لكن أهمها :-

- (أ) حطب الوقود (الخشب)  
(ب) روث الماشية  
(ج) الحشائش  
(د) القصب من الحقول  
(هـ) بعض أنواع الحجارة الصلبة الملساء

إستخدامات النار (فوائدها) :-

للنار استخدامات كثيرة وفوائد جمة غير الطهي والاضاءة .فإن قبائل الزغاوة تتخذها للتدفئة ووشم الماشية لتمييز ملكيتها من فرع قبيلة لآخر كما أنها تستعمل في عملية الكي علاجاً للإنسان والحيوان . كما تنظف بها الأراضي الزراعية بما يعرف "بالتحريق" . أما الدخان فيستعمل لآبادة الحشرات والآفات من المزارع كالجراد والفراشات والديدان وكمبيد حشري ضد البعوض والذباب والزنايير .

ومن استعمالات النار أيضا صنع الفار "القطران" الذي يسميه الزغاوة " ايقوء Eigue " وتستخدم في دهن الجلود بقصد تليينها بعد عملية دباغتها . اما الحدايد فيعتمدون بشكل اساسي على النار في صهر خام الحديد لصنع ادوات الزراعة والاسلحة البيضاء وبعض مستلزمات الخيل وخلاف ذلك من استعمالات النار المعروفة .

الاحتياطيات اللازمة لدرء خطر النار :

مثلما للنار فوائدها الجمة فلها أيضا مخاطرها واهوالها . " والنار عدو" كما يقوله المثل الشائع لذلك يعمل الزغاوة حسابا شديدا وحذرا بالغا لتفادي الحرائق في مقار سكنهم (قراهم) ويحطاطون منها ببناء بيوتهم بعيدة عن بعضها وبطريقة تسهل على اخماد الحريق بالسرعة المطلوبة دون احداث خسائر كبيرة. لذلك تخلو البيوت والحيشان من تعقيدات البناء خارجيا وداخليا . هذا وعلاوة على طلاء اسفل المنازل من الداخل بالطين وروث الابقار الذي يحول دون نشوب الحريق كما يمنع دخول ماء المطر والهواء المباشر كذلك الآفات والزواحف الى المنازل . كما وأن الزغاوة يجيدون الاساليب الجماعية في الفرع حيث يهبون بسرعة ملبيين نداء المستغيث لخماد الحرائق سواء اكان

تلك في القرية او في المراعي كما يفظون ذلك في حالة الفزع للحاق باللصوص او لمحاربة الجناة والغزاة .

ومن مخاطر النار ماهي من صنع الإنسان ، بطريقة مباشرة او غير مباشرة وتحث نتيجة للاهمال . تلك الحرائق الكبيرة غير الحسوية التي تخرج عن سيطرة الانسان فتأتي على الأخضر واليابس مما تشكل عاملا اضافيا من عوامل التعرية . ومن العوامل التي ساعدت على التعرية والتصحح حرق الأشجار بقصد الحصول على الفحم .

### الحفاظ على النار :

في ذلك الزمن الذي نؤرخ له لم تكن وسائل الحصول على النار من أعواد الثقاب او الفداحات وغيرها معروفة ، لذلك كانت عملية الحفاظ على ما يشعلونها من نار باقية على الدوام امرا عسيرا . فابتكروا طريقتين :

الأولى : ايقاد نار عظيمة توضع فيها كتل من الحطب لتظل مشتعلة على مدار الساعة يأخذ سكان القرية حاجتهم منها ، وهي طريقة غير عملية وتتطوي على خطر انتشار الحرائق في البيوت او المراعي والغابات .

الثانية : و هي الأكثر امانا وسهولة ، تحفظ لنا بدفن الجمر تحت الرماد الحار وتغطيتها باناء فخاري . هذه الطريقة اضمن للحصول على النار في أي وقت . وتستغرق مدة الحفظ هذه نصف يوم تقريبا ، وتجدد العملية لفترة اخرى ، وهكذا .

هذا - و لأهمية النار سميت قرى بأسماء مشتقة من النار مثل حطة "جبيه تاي - djieh Tai" وتعني النار المشتعلة وحطة "جبيه ماراء-djieh Mara" أي النار الحمراء . وقد وصف الزغاوة الكريم والفقيه الذي يعلم القرآن بصاحب النار التي لاتخمد "جبيفو سوقوروء" . كما أطلقوا على الذين انهت المنية نسلهم وانقرض اصلهم بأن نارهم قد خمدت "جبيه كوقو كوريه" وللذين يعانون من الفقر المدقع بأنهم لاجحة لهم لايقاد النار في بيوتهم "جبيه تايرنو" وامثال أخرى لاحصر لها .

## السفر

كثيرة هي أسفار الزغاوة التي فرضتها الظروف المعيشية في بيئة البادية .  
والضرورة تقتضي السفر والترحال لفضاء كثير من حوائج الحياة ومتطلباتها . ووسائل  
التنقل في الأسفار عموماً هي الخيل و الجمال أما الحمير فلأسفار القرية أو الأسواق  
التي عادة تستغلها النساء - دون الرجال - لحمل البضائع او الركوب . وتتحصر  
الاسفار في الآتي :

### (1) الملاحة "الدومي" - doumi

وهي السفر الى بئر العطرون في الصحراء الغربية من السودان لجلب العطرون والملح  
الذين يستخرجان من باطن الأرض و التمر (البلح) من واحة نخيلة. وتكون الرحلة  
جماعية وعلى ظهور الابل وتستغرق شهرا او اكثر ولايستطيع تحمل أعباء هذا السفر  
الا الرجال الأشداء الاقوياء الشجعان الذين عرفوا بقوة التحمل ويتقدمهم خبير  
بالاتجاهات يستدل بالنجوم ليلاً حيث لا طريق يبين في الصحراء او العتمور ذات الرمال  
المتحركة ولايشاهد فيها غير السراب . ويفضل السفر ليلاً "السرى" ويحثون الابل على  
السير بالغناء والحداء والدوييت .

### (2) الآتياء : atia

وهو السفر الى داخل تشاد - و تحديداً - منطقة العرب البقارة التي تقع في إقليم  
البطحاء في قلب تشاد؛ وعاصمته مدينة آتيا التي تبعد عن أنجمينا بنحو 450 كلم؛  
لشراء أو معاوضة الجمال بالابقار الأصيلة المعروفة بكثرة ألبانها وولادتها . وهي تشبه  
الابقار الهولندية من فصيلة "الفريزيان".

### (3) الباجوري : bajoori

وهو السفر الى ما يسميه أهل دارفور عموماً "البحر" ويقصدون "الجزيرة المروية" في  
الإقليم الأوسط في السودان للعمل في الزراعة في الحواشات وجني القطن كعمال  
موسميين . وهناك العديد من الاغنيات تمجد هذا السفر والمصاعب التي يلاقيها  
المسافرون بعيدا عن ديارهم والأمال التي يطمحون في تحقيقها .

#### (4) المهاجرة mahajira

وهي الهجرة الى مناطق بعيدة تكثر فيها الخلوي لتدريس وتحفيظ القرآن الكريم .  
يمكث الشباب "المهاجرين" عند " الفقرة " أو الفقهاء فيما يشبه المدرسة الداخلية يقومون  
فيها بالاعتماد على أنفسهم في تأمين مآكلهم ومشربهم بالعمل الدؤوب ولا يرجعون الا  
وهم حفاظ للقرآن حاملين للاجازة الشفهية بأن كل منهم صار فقيهاً "فكي" والبعض  
الأخر ربما أثر أن يدرس في المعاهد والخلوي المشهورة في ام درمان والجزيرة و هناك  
من إنخرط في طائفة الأنصار منذ وقت طويل فحفظ القرآن وراتب المهدي و"جاور"  
الجزيرة أبا وجامع ودنواوي منقطعاً في خدمة المهديّة.

#### (4) النشوق "نسيك" Naseek

وهو السفر بالمائية لمناطق بعيدة تتوفر فيها الكلاً والماء لمدة قد تطول شهورا  
وذلك من اجل تسمينها ويطلق عليها ايضا في مناطق اخرى بالمرحال (المراحل)  
(6) السفر للإستشفاء :

ويقصد به شد الرحال الى المناطق التي تتوفر فيها المياه الكبريتية حيث يسافر  
اليها بعض الناس بغرض التداوي والعلاج من بعض الأمراض الجلدية والروماتزم. ومن  
المناطق التي اشتهرت تشمل دار المساليت والتي تسميها الزغاوة بالجنوب "توروء Toru"  
نسبة لاتجاهها من ديارهم ، وجبل مرة وبنر العطرون والقضارف التي ظهرت بها البئر  
التي سميت الفكي أبو نافورة.

#### (7) جلب الفرة "توء- Toe":

وهو السفر الى الجنوب "توروء Toru" الذي يقصد به المنطقة الواقعة جنوب دار  
الزغاوة وتشمل جرجيرة وكولبوس ودار الجبل والجنينة . وكان الزغاوة يسوقون بعض  
المائية ويبيعونها في تلك الاسواق ويشترون بأثمانها الدخن والذرة.

#### (8) التجارة :

لما كان الزغاوة - في ذلك الوقت - يعتمدون اعتمادا كلياً على المرعى والزراعة  
فإنهم كانوا يعملون كثيرا في تجارة ماشيتهم . وكانوا يسوقون الأغنام والخراف والثيران

ليبعها في بعض الأسواق مثل كباييه وطويلة -كتم- الفاشر - الجينية -كولبوس - دار الجبل- مليط وأم كدادة . أما أسواق الإبل المشهورة فهي الفاشر ومليط - النهود- الأبيض - أم درمان - دار الهدنوة في الشرق ودار الكبايش في كردفان ودارالبطانة . كما كانت تجارتهم مزدهرة مع كل من مصر وليبيا وتونس إذ كانوا يسافرون إليها بابلهم لمدة قد تصل شهورا سالكين درب الأربعين وصحراء العتمور مرورا بالوحدات الداخلة والخارجة ويبيعونها في أسواق معروفة حتى يومنا هذا ويشترون بأثمانها السجاجيد والبطانيات والاسلحة والايواني المنزلية من النحاس والالمنيوم والملابس .

### (9) الحج :

يحرص جميع فروع قبيلة الزغاوة على أداء فريضة الحج . ولايختلفون في ذلك عن سائر المسلمين في مشارق الأرض ومغاريها . وتسبق كلمة الحاج والحاجة من يؤدي فريضة الحج تكريما واحتراماً .

### (10) الاغتراب :

بدأت حقبة جديدة وهامة من تاريخ الزغاوة الحديث. ففي أواخر الستينات وبداية السبعينات من هذا القرن الماضي - كما هو معلوم - اكتسحت منطقة غرب السودان عوامل الزحف الصحراوي والجفاف الذي نتج عن قلة الأمطار . وفي نفس الوقت كان كل من السودان وتشاد يعانيان من حروب داخلية (حرب الجنوب والمشكلة التشادية ) وحالة اقتصادية متردية ، الأمر الذي جعل الكثير من الزغاوة ينزحون الى مناطق أخرى. وعقدت مؤتمرات وندوات - غير موفقة- لتهجير بعضهم و توطيئهم في مناطق معينة لها سمات بينية شبيهة بمنطقتهم على غرار ماحدث لسكان وادي طفا مع فارق الأسباب والظروف . ووصل الشباب الى قناعة أن لاخلاص الا في الاغتراب . وكان ان اتاحت لهم فرص العمل - كغيرهم- في ليبيا التي شهدت طفرة اقتصادية سريعة وهائلة - وهي المجاورة لمنطقتهم في تشاد والسودان ولأجدادهم صلة وثيقة بها - فاستوعبت هذه الأيدي العاملة التي اندفعت اليها لتعمل بهمة في البناء والتعمير و في قطاع الشركات واضعة نصب أعينها الظروف التي دفعتهم الى هذا الإغتراب . وكان

الرجال يقطعون تلك الصحراء اللامتناهية على ظهور الإبل ولأيام عديدة يتعرضون فيها للاهوال والجوع والحطش وماتت قوافل ضلت طريقها في الصحراء.

وشهد شمال دارفور انتعاشا اقتصاديا هائلا فلزدهرت التجارة بينه وبين ليبيا. وعاد هؤلاء المغتربين الزغاوة ليكوّنوا قوة اقتصادية يحسب لها حساب . وفي ظل هذه الطفرة تغير نمط الحياة لدى قطاعات عريضة من المجتمع . وصاحبت هذه النقطة الحضارية الجديدة الكثير من العادات تمثلت في العديد من مناحي الحياة الاجتماعية المختلفة كالزواج ونور السكن ، وبرز في المنطقة ايضا ماعرف بأدب الإغتراب ، وأغان من لون جديد تمجد المغتربين في ليبيا مما تحفز الآخرين وتحثهم على اللحاق بهم . كما تستفز من لم تمكنه ظروفه من السفر ، فكان ان ترك معظم العاملين في القطاع الحكومي وظائفهم ولحقوا بأقرانهم وذلك لإقتناعهم بأن المردود المادي من عملهم في الوظيفة لايفي بمتطلبات الحياة والتزاماتهم الاسرية والاجتماعية .

ان حالة الاغتراب هذه فتحت آفاقاً جديدة للزغاوة مكنتهم من الاتصال والاختلاط بشعوب العالم وسافر الكثيرون الى نول اوربا وشمال وغرب افريقيا وامريكا الوسطى وعمل بعضهم في قطاع النفط في فنزويلا . واتيحت لهم فرص العمل في نول الخليج وشبه الجزيرة العربية كالمملكة العربية السعودية والكويت والعراق واليمن. وحفزت الكثير من الشباب على مواصلة تعليمهم في الجامعات والمعاهد في الخارج فكانت لليبيا والجمهورية العراقية قصب السبق في اتاحة الفرص لهم في هذا المجال. ومن ثم دول أخرى خارج النطاق العربي .

الأتراح:

يطلق الزغاوة على الوفاة كلمة "ايني-Enih" وهي أس الحزن. ولا يمارسون أية طقوس عند وفاة احد ولا تختلف مراسم الجنازة من الغسل والصلاة والدفن مما هي عليه في سائر بلاد المسلمين . ولا يقيمون بناء أضرحة او قبابا(جمع قبة) على القبور ولا يكتبون على شواهدا اسماء الموتى قط .

وعندما يموت أحد الأفراد يجتمع الناس فيغسل جثته طائفة منهم ويكفونها ثم يحملونها في سرير خشبي على الأكتاف حتى يصلون المقابر فيصلون عليه و يدفونونه . ومن ثم يعوبون الى دار المتوفي فيتسابق أقرباؤه .. كل يأتي بذبيحة . ويجتمع حفظة القرآن الكريم وقرأؤه فيختمونه ، والذين لا يحسنون قراءته يسلمون ويحلقون ويذكرون الله باسم الجلالة ( لا إله إلا الله ) والتسبيح بالدعاء ( سبحان الله والحمد لله والله أكبر ) عدة آلاف من المرات وبالطيف مائة واربعة وعشرين ألف مرة . ويترحمون فيها للميت ويهبون ثوابها له بأن يغفر له ذنوبه ويدخله مدخل صدق مع النبيين والشهداء وان تكون الجنة مثواه.

وتوزع لحوم الذبائح على المساكين والضعفاء كما يقدم الأكل والشاي للمعزين . ويقوم الرجال بجمع بعض المال - كل على حسب طاقته - مؤاساة ومشاركة منهم لأسرة المرحوم .

وتقسم تركة المتوفى ميراثا على ما نص عليه الشرع . وعند الحداد تدخل الارملة مايسمى "بيت الحزن" اربعة اشهر وعشرة أيام . ويحق لها الزواج بعد ذلك ، الا انها كثيرا ما تتغيد بالعرف فلا تتزوج الا بعد مرور حول على وفاة زوجها . ويطلق على الأرملة "باغو توقوي -Baga Togui".

### الفأل والشوم

منذ أقدم العصور عرف الإنسان الخير والشر من خلال خبراته في الحياة. فصار الامل يحدوه لبلوغ مايسعده وتقادي ما يضره من شر . فكون حصيلة من الثوابت استخلصها من مجموعة احداث فصنف بعضها مؤشرات للفأل والأخرى للشوم، مثله كحال خبراء الإرصاء الجوية- رغم الفارق العلمي بينهم - الذين يبنون معلوماتهم على التنبؤات المستقاة من احصاءات تكونت لديهم في الماضي . فأصبح لدى الانسان شواهد بيئية ترمز بعضها للتفاؤل والبعض الآخر للتشاؤم . فمن أبرز هذه الشواهد الصيد البري (الغزلان) والطيور وبعض الألوان والرياح والكواكب والنجوم والانسان

بجنسيه صغيراً كان او كبيراً . ولقبيلة الزغاوة مجموعة من الشواهد يتشاعون من بعضها ويتفاعلون من الاخرى.

#### التفائل :-

اول ما يتفائل الزغاوة به هو اللون الأبيض وكل شئ يدخل اللون الأبيض في تكوينه او تركيبه لذلك فإن البن خير مايتفاعلون به . فيقولون في الامر "أبيض لبن" أي لاشائبة فيه ، كما يتفائلون بالخيول والاطفال والهلال عند مطلعته مانلا ناحية الجنوب وظهر النجمة المسماة "تلاف" في اتجاه الجنوب ايضا لأن ذلك بشير خير للأمطار والزراعة والرشاء وطول عمر الناس . و يتفاعل الزغاوة أيضا بالغزلان "Moroe" إذا ما اعترضت طريق المسافرين منهم ومرت أمامهم من ناحية اليسار لليمين . ويسمون ذلك موروء سوباري-Moroe subari" ، أي الغزاة العائدة الى الدار ، ويعتقدونها دليلا على الخير والسودد.

#### التشاوم:

يتشائم الزغاوة عموماً باللون الأحمر لأنه يشبه لون الدم و بأشياء كثيرة في بيئتهم مثل بعض الطيور كالغرنوق "قوندوء- gundoee" ، وهو طائر لونه أسود ، فإذا مارأه أحدهم فإنه لايتركه الا بعد ان يجطه يطير فتبين القوادم البيضاء من جناحيه ، لطرد الشؤم واحلال الفأل. وهناك طائر يسمى "حوقار - Hogar" يحدث بالليل صوتا يتشائم منه الناس فيرون على ذلك الطائر بعبارة "أشرب لك" . كذلك يتشاعون من بعض الظواهر الطبيعية كالكسوف والخسوف الذين يعتبرونهما موت للشمس والقمر ويطلق على السنة التي كسفت فيها الشمس بالسنة التي ماتت فيها الشمس . ففي هذه الحالة يقرعون قدور الطعام ويقلبونها وهي نذير شؤم يعتقدون أن شخصية هامة سوف تموت . كما يتشاعون بنجم يظهر من ناحية الغرب وينتج عن ظهوره شح في الأمطار وشيوع المجاعة ويطلقون على هذا النجم "تلاف" كذلك الحال مع الهلال عند مولده اذا كان مانلا ناحية الشمال . اما عند السفر او الذهاب لخطبة بنت ومرت في طريقه غزاة و اكثر من اليسار وسميها الزغاوة "موركيبي- Moroe kibo" فهي نذير شؤم يقع

الشخص عن طلب يد الفتاة ويطلقون على ذلك "سوراء نوء Sura Now" أي خطأ سيئاً ويعود المسافر ادراجه لذلك السبب.

و يتشاعون بيوم الأربعاء الأخير من كل شهر قمرى فلا يقومون بأى نشاط زراعى فيه و يطلقون عليه يوم البطالة.

#### استقراء الغيب :

نجد أن معظم فروع قبيلة الزغاوة في الماضي يعتمدون في محاولات استقراء الغيب على الرمل "قوروء - Guroora" فالرّمالي "قوروء Guroora" هو رجل خبر الناس فيه الحكمة . وفي أداء عمله هذا يقوم برسم نفاط متتابعة على التراب بأصبعه السبابة والوسطى في خطوط مستقيمة تتوازي في نهاية المطاف ، ثم يقوم بعدها حسب الاعداد الزوجية . ويضع خطوطاً جانبية بعد عملية العد هذه ويتفحصها بدقة ، فيقارنها بالثوابت التي يعرفها من قبل ويعتبرها من أسراره الخاصة ، ومن ثم يخبر صاحب الأمر بالنتيجة . وهناك أمور شتى يلجأ إليها الفرد فيها الى الرّمالي منها:

- 1- السفر وما إذا كان ميسرا ودون عقبات ليقدم عليه ان كان خيرا والا امتنع عنه .
- 2- الزواج وما اذا كان موفقاً فيسعى لاتمامه والا يغض الطرف عنه .
- 3- ما يضيع من الماشية وما اذا كانت وسيلة البحث ستسفر عن العثور عليها دون عناء والا التمس وسيلة اخرى مغايرة.
- 4- عند حفر الآبار واختيار اماكن للزراعة
- 5- عند اختيار موقع لقرية جديدة
- 6- عند الشراء والبيع
- 7- عند الغزو والحرب

والجدير بالذكر ان الحداحيد يمتنون "الرّمل" دون سائر الزغاوة وان كان من الزغاوة من يعرف عنه ايضا . ولا يأخذ الرّمالي شيئا من المال مقابل تقديم هذه الخدمة المجانية التي تعتبر "استشارة فنية" !! وبالرغم من ذلك الا ان الاهالي يقدمون بعض

الهدايا الرمزية للحداحيد ، ويطلق عليها "البياض" دلالة على استفتاح بالفأل وحسن النية ، أما ظاهرة التجيم وقراءة الكف وقراءة الفجان قليلة الانتشار ان لم تكن معدومة عند بعض فروع الزغاوة . أما الفكي فيستعين به البعض لعمل الاستخارة "الخيرة" حيث يقوم الفكي بما يصطلح عليه "فتح الكتاب" او بالدعاء المأثور بنية التفاؤل بالرؤيا الخيرة.

### الفصل الرابع : الحرب .. الثأر والفرع

حَفَلَ تاريخ الزغاوة بالكثير من الحروب والتي كانت الدوافع لها ومسبباتها كثيرة أيضاً. فمنها ماكانت داخلية بين فرع وآخر او بين عشيرتين ، ومنها ماكانت خارجية تدور بين فرع من فروع قبيلة الزغاوة وقبيلة اخرى مجاورة أو بعيدة بسبب الحدود والمراعي .

والأسباب التي كانت الحروب تنشأ من اجلها عديدة ولكن الاكثر شيوعا هي تلك المتعلقة بمواضيع الزواج والعرض والكرامة والتي لايتهاون الزغاوة فيها ابداً . وتعتبر من المشاكل المعقدة التي تنتج عنها ازهاق الارواح في بعض الأحيان عن عمد أو عن خطأ . ويحتاج فض مثل هذه المنازعات باللجوء الى العرف والاحتكام به في مجالس الأجاويد او المحاكم الأهلية .

وفي حالة حدوث القتل لابد من عمل اجراءات الدية التي عادة ما تكون قيمتها بالماشية . ويشترك كل أفراد قبيلة القاتل في جمعها ودفعها . وحيانا تزوج احدى اخوات القاتل الى احد افراد اسرة القتيل دلالة على التصافي وتوثيق عرى المحبة والتوفيق بين القبيلتين .

وتعمل القبيلة مع فروعها متحدة و بطريقة جماعية في الملمات الكبيرة كالحرب والثأر والفرع ، ويلبون نداء الداعي فيتسابقون في تقديم المساعدة والعون والحماية متى ما اريد منهم ولا يتقاعسون عنها . ويقومون بحماية المستجير بهم مهما كانت العواقب والنتائج حتى يتم تسليمه الى السلطة المحلية لتأخذ العدالة مجراها . وقد يدخلون - جراء تلك- في معارك مجانية ليست لهم مصلحة ولاهم المسيبون لها ، انما لنصرة

المستغيث والمظلوم . ومن المشاكل التي تؤدي الى نشوب النزاعات القبلية في دار الزغاوة المراعي ومصادر المياه ودخول الماشية في مزارع الآخرين وتخريبها .

الثأر :

الزغاوة كغيرهم من قبائل البادية يتصفون بالحمية والشجاعة وشدة المراس في الحروب للبيئة التي عاشوا فيها . وهم شديدا الألفة وعزة النفس والاعتداد بهويتهم وعضون عليها بالنواجذ . لذلك نجد أن الثأر عند قبيلة الزغاوة بقي ماثلا رغم دخول المدنية والتعليم في اوساط افرادها ، لأن الثأر من الموروثات المتأصلة عندهم منذ القدم واصبح من المسلمات التي لا يخضعونها الى القانون أو المنطق بل يهرعون الى تنفيذه كلما دعى الداعي . ويعتبرون النقا عس عنه ضرب من الذلة والخزي والعار وطعن في حميتهم . وفي هذه الحالة يعمل أفراد القبيلة على الأخذ بالثأر ويسمون القاتل "أوقوراء-O'gura" ويتربصون به - ولو لأعوام طويلة - ولا يهدأ لهم بال حتى ينالون منه أو من احد افراده . ويذكرنا حال الشاعر الجاهلي والملك الضليل امرئ القيس عندما قتل بعض الاعراب اياه حجرا بن كنده وحمل اليه نبأ مقتل أبيه وهو فى حالة سكر شديد وسط اصدقائه وجوقة من البنات . فلم يبد تأثراً لكي لا يخرب على اصدقائه جلستهم لكن خاطبهم قائلاً :

"ضيعني أبي صغيراً وحملني لمة كبيراً . لاصحو اليوم ولاسكر غداً ، اليوم خمر وغداً امر" وطفق يأخذ ثأر أبيه حتى لقي حتفه "

ومن دواعي الثأر عند قبيلة الزغاوة مايلي :

1- القصاص من احد افراد العائلة او حتى من أحد فرع القبيلة عمدا . وفي هذه الحالة يؤخذ الثأر من الجاني حتى ولو أتم مدة العقوبة بالسجن . ولا يهدأ بال أهل الغتيل حتى يفتصوا منه او يدفع الدية المنصوص عليها في العرف .

2- الفصاص ممن تسبب عمدا على الحاق الاذى الجسيم او العاهة المستديمة بأحد افراد الأسرة او فرع القبيلة ، وذلك اما بإحداث اذى مماثل او برد كرامة اسرة المجني عليه بدفعه تعويضا يتناسب والأذى الناتج حسبما يراه العرف.

3- الانتقام من الغريم "الخصم" الذي يسميه الزغاوة "بون - Bon" وهو شخص اما يكون قد حرض على فسح خطوبة او تزوج خطيبة غيره او تزوج أرملة احد أفراد الأسرة في وجود أشقاء او ابناء عمومة المتوفي . وفي الحالات النادرة من اقدم على اختطاف زوجة احد افراد القبيلة وهذه تأخذ طابعا قريبا اعتقادا ان كرامة القبيلة قد اهدرت . وأن امان القبيلة قد هدد .

4- الاقتصاص ممن اقدم على اخذ ماشية احد افراد القبيلة بالقوة مع إهانة الشخص ، الامر الذي يثير حفيظة كل القبيلة فيستفر افرادها للانتقام من الجاني انى وجلوه حتى ولو حكم عليه من قبل السلطة القانونية وقضى المدة المقررة من العوبة .

5- يقتص من الشخص الذى قام بقذف احد افراد الاسرة بما ليس فيه مما يشين كرامته وسمعته، فيسعى افراد الاسرة في الانتقام منه مالم يطلب الجاني السماح مع تقديمه ودفعه تعويضا عينيا "باء كوراقوء" "Ba koragoe" اعترافا منه ببراءة الشخص الذي قذفه ونقاء سريرته من الشوائب.

## الفصل الخامس : الحداحيد

### مقدمة :

نريد ان نفرّد لهذا الموضوع حيزا خاصا بشيئ من التفصيل لأن الحداحيد فئة فريدة لها ميزاتها وخصائصها التي تختلف عن بقية فروع قبيلة الزغاوة فى أمور شتى ، رغم وجودهم المستمر في دار الزغاوة منذ أقدم العصور ، ولأنهم يعيشون حياة هامشية موغلة في البدائية والتأخر ، مهضومة الحقوق ، ومشوية بالذلة والمهانة والاضطهاد . ووضعهم الإجتماعي مزري علاوة على انه غير انساني في بعض الأحيان ، الأمر الذي يحتاج الى العلاج.

## تعريف :

الحداحيد هم مجموعة عرقية قائمة بذاتها من الزغاوة يصعب الحاقها بأي فرع من فروع الزغاوة من ناحية النسب الا اننا نجد لكل قبيلة من قبائل الزغاوة او فروعها حداحيد خاصة بها ، فيقال حداحيد الكوبي وحداحيد الفلا وحداحيد البديات وحداحيد التوار .. الخ . وتطلق كلمة ماي "ماي- Mai" بمعنى الحداحيد والمفرد منها "مَينى Mai" وهو الحدادي . كما ترى ان كلمة الحداحيد هي اسم لهذه المجموعة ولا تعني بالضرورة المشتغلين بحرفة الحدادة المعروفة بالحداد . والزغاوة يطلقون كلمة ماي ايضا على الكبد لكننا لم نجد علاقة للإسمين .

## أصلهم :

من الصعوبة تحديد او معرفة اصل الحداحيد . ولكن الراجح انهم السكان الأصليون للمنطقة قبل مجئ الزغاوة اليها من شمال افريقيا . وكان الحداحيد عندئذ قبائل بدائية مترحلة يعيشون على صيد الوعول والغزلان وخلافها وجمع ثمار الأشجار . إذ لم يألفوا الزراعة والرعي او اية حرفة اخرى . فعمل الزغاوة على الإقامة في المنطقة واستعمروها واستصلحوا اراضيها واهتموا بتربية ماشيتهم . فشمّل هذا الاستيطان مصائد الحداحيد ومضاربيهم . فأبدى الحداحيد مقاومة ادت الى مجابهة أسفرت عنها حرب غير متكافئة نتجت عنها سقوط الكثيرين من جانب الحداحيد واستجار من بقي منهم بفروع الزغاوة المختلفة ، ولكنهم بحكم أقليتهم النسبية ذاب كيانهم وسلكوا طريقاً مماثلاً لضروب حياتهم السابقة . فأصبحوا مواطنين من الدرجة الدنيا ، وحدث لهم ما حدث بالسكان الأصليين "Aborigines" فس شمال وشمال شرق استراليا عند قدوم الاوروبيين او الهنود الحمر في امريكا الشمالية عند الغزو الاسباني والاستيطان بها ومن ثم صاروا طبقة منبوذة تماثل - مجازا- المنبوزين من الهندوس "caste" في عهد البرهمنين في الهند القديمة حيث كانت القوانين العرفية لاتسمح بزواج فرد من طبقة اخرى وتحكم نوع من الوظيفة ونوع الطعام بكل طبقة !

ولما لم يرق لهم نمط حياة الزغاوة المتمثلة في الرعي والزراعة أثروا حياة الصيد والتفقل فأصبحوا شبيه ما يكونون بالججر "gypsies" - (الطلب) ، غير ان ترحال الحداحيد لم يتعد حدود دار الزغاوة ومن سخرية القدر ان بعض الحداحيد قد عرف ما آلت اليه حالهم لصروف الدهر فقال شاعرهم أرجوزة دالة على أصلهم اثناء احتفالهم بصهر الحديد بالطينة 1960م حيث يروى أنه قال:

كنا الأصول وكنا الأوائل ولكن ساءت اقدارنا بأفعالنا فسخطنا .. فصرنا الأواخر والردال

توقوي ابرو بور سو تيري Tugoori eiro bor soo terieh

بوي كي تيديه تفسونويه تونوريه boi kei tedeh togosunoweh tonoureh

المكانة الاجتماعية :

نود أن نشير هنا على أن الحداحيد ليسوا مملوكين او ارقاء او خدماً او عبيداً او قناً - كما كان الحال في النظام الطبقي في اوروبا في العصور المظلمة - لأفراد او جماعات في يوم من الأيام ن ولكنهم نسبة لفقدان الثقة بأنفسهم وشعورهم بعدم الطمأنينة ارتضوا بمكانتهم الاجتماعية نون احتجاج او حتى شكوى جهرية ، فضربت عليهم الذلة المسكنة وفقنوا مصداقيتهم فأصبح الناس ينظرون اليهم نظرة الازدراء والاحتقار . والحدادي لايمكنه ابداء رأيه في معية الزغاوة او يأكل معهم او يجلس على فراشهم او يتسمى بأحد منهم . ويحرم عليه مجرد التفكير في الزواج منهم . وفي الحالات النادرة يسكن الحداحيد بقرية للزغاوة ولكن بيوتهم كثيرا ما تتشأ في الناحية الغربية للقرية تفصلها ساحة فضاء من فضاء لما لبعض حرفهم من بخان ملوث لبيئة القرية .

أما اذا اقاموا قرية خاصة بهم فإن الناظر اليها لا يختلط عليه الامر لمعرفة من اول وهلة وذلك لتمييزها عن قرى الزغاوة من حيث عدم النظام والنظافة وكثرة الكلاب وقلّة الماشية وبعدها عن اماكن الزراعة . كما و يمتنون حرفاً يعتبرها مجتمع الزغاوة حرفا غير نظيفة يترفع افراد قبائل الزغاوة العمل بها ومن هذه الحرف صيد الحيوانات بالمصائد والشراك ، واعمال الحديد وصهرها ، و دباغة الجلود وعمل الحبال و انواع مستلزمات القيد وصناعة سروج الخيل ، واحتراف دق النقارة. هذا عند الرجال ، اما

النساء "الحداديات" فيقمن بصناعة الفخار من ازيار وجرار وغيرها . كما يقمن بتصفيف شعر نساء الزغاوة ومشاطتهن اضافة الى تقطير القطران .



(\* امرأة من الحداديات تقوم بصنع الأواني الفخارية)



(\* من منتوجات المرأة الحدادية وتظهر عليها لمسات فنية رائعة)

و الجدير بالإشارة أن نؤكد أن الزغاوة يعتبرون محرماً ومحظوراً ان يقدم احدهم على الزواج من الحداحيد . ويعاب على الزغاوي المتشاجرة مع الحدادي او الاكل معه او تبادل الرابطة معه . ويروى أنه إذا حدث ان أحداً من الحداحيد قتل زغاوياً فكان الحكم في الماضي البعيد أن يحرق الحدادي على مشهد من الناس حتى الموت وذلك بوضعه مكبلاً في قيود داخل شجرة الطنضب مشتعلة فيه النار .

#### معتقدات الحداحيد:

رغم دخول الاسلام في المنطقة بنزوح الزغاوة اليها ظل الحداحيد - والى وقت قريب - يتمسكون ببعض المعتقدات الوثنية ، ويقف الوازع الديني والتورع عند كثير منهم فلا يأبهون الابتعاد عن الدين . وهذا الجانب من حياتهم احد الاسباب الهامة التي وضعت حاجزا اجتماعيا سلبيا بينهم وبين بقية فروع قبيلة الزغاوة .

ونود أن نشير هنا إلى ان هذه الصورة قد تغيرت كثيرا الآن اذ انتشرت تعاليم الدين الاسلامي في أوساط الحداحيد ، وحسن اسلام الكثير منهم نتيجة دخول ابنائهم المدارس ونزوح الكثير منهم الى المدن والحواضر الامر الذي سهل انخراطهم في مجتمع المدينة الذي تقل فيه المميزات العرقية .

#### لعنة الحداحيد "ماي كويولو"

يقول الرواة إنه في قديم الزمان كان لحداحيد الزغاوة وال جبار - ينتمي اليهم - يدعى "كوبولو Kobollow". وكان ظالماً قاسياً ، يقتل من يرميه قدره من الحداحيد في يديه بسبب او بدونه . كما كان يقتل الذكور من اطفالهم ، يأخذ ما يصيدونها من الحيوانات ، مما جعلهم ينفرون منه ، ويهربون من ظلمه وسطوته وبطشه . فصار مضرب الأمثال في الطغيان كما اصبح هاجساً ويعبأً مخيفاً للحداحيد . فهجروا مجتمع الجماعة وتفرقوا اشتاتاً بينون اكواخا متواضعة لهم في اماكن متفرقة اتقاء لشره . ومنهم من ترك المنطقة لينجو بجلده . ومضت السنون ولم يزل الناس يذكرون الحدادي كوبولو "ماي كويولو" "mai Kobolo" حتى ظن الحداحيد - على مر العصور - انهم جنس مغبوب عليهم في الدنيا واعترتهم النظرة الدونية والتشاؤمية في كثير من امورهم

الحياتية . و أوصلتهم هذه الحالة الى الاعتقاد بأنهم عنصر منقرض لأنهم - كما يزعمون - من "سلالة مَزَّة" لايعيش أفرادها كثيرا لأن لعنة كوبولو لم تزل ماثلة فيهم . ويعتقد الناس في زمننا الحاضر - خطأً - أن ماي كوبولو مرض قاتل يصيب الحداحيد ، لكنه اعتقاد لا أساس له من الصحة مطلقاً .

### حواضر الحداحيد

يندر للحداحيد ان تكون لهم حواضر ثابتة لأسباب موضوعية اشرفنا اليها الا ان بعض القرى في اماكن الزغاوة كانت خاصة بهم كحواضر اشتهرت على مر السنين ومنها :

- 1- كارشا ماي قبلي ، وهي حلة قديمة في مزبد .
- 2- شبرقيني كوك ، وبييه كيسي- وكو وجميعها قرى في منطقة فوراوية .
- 3- قاسمبا بيتير في دار قلا .
- 4- جوبا حلة الخليفة مرجان في دار الكوبي .
- 5- كاركاب ماي قبلي في انكا .
- 6- فرقان قليلة جدا وهي قرى موسمية في دار التوار .

### لهجة الحداحيد

تطلق فروع قبيلة الزغاوة على لهجة الحداحيد "ماي آء- Mai'a" لأنها لهجة مشتقة مولدة من أصل لغة الزغاوة "البرياء" و يسمونها " آء بور - A'aborr" وقد ابتكرها الحداحيد بأنفسهم ولأنفسهم منذ قرون خلت وسيلة للتخاطب بها فيما بينهم إضافة الى اللغة العامة للزغاوة "البيراء-Beira" التي يجيدونها أيضاً واستحدث الحداحيد لهجتهم هذه نتيجة للضغوط الاجتماعية والنفسية والنظرة الدونية التي ظلوا يعانون منها من مجتمع الزغاوة والتي ورد في هذا الباب في الموضوع الخاص بالحداحيد .

وتمتاز هذه اللهجة بالكثير من الخصوصية والميل إلى استعمال المصنعات اللغوية والبلاغية وتحتوي على العديد من صور التجريد والتورية وضرب الأمثال تفادياً للحرص والدخول في مشاكل هم في غنى عنها وليس في مقدورهم تحمل تبعاتها . لذلك

فهم يستعملون لهجتهم كشفرة خاصة بهم وهي بمثابة "كلمة السر" إذا اصطلحنا ذلك حسب المفهوم العسكري . كما يستعملونها للخلاص من المواقف الحرجة والتي تنطوي على عنصر المفاجأة والمباغثة في مجال عملهم ، خاصة أثناء الصيد . فإذا ماباغتهم أحد يريد بهم شراً أو لأخذ صيدهم فإنهم يلجأون للهجتهم لتحذير رفاقهم بالخطر المحقق بهم وطريقة الإفلات منه.

ويكثر الحداحيد استعمال كلمة نوح -Noah التي لايعزفُ معناها بالتحديد إلا انها إحدى المحسنات البديعية وتماتل كلمة "أوراه-orah" عند زغاوة الكويبي والتي تفيد التعجب والاستغراب وأيضاً التحسر على ماحدث أو يحدث . وربما للتمويه مع التهرب من الإجابة المباشرة . فنجد مثلاً عند ما يريد أحد الحداحيد الاجابة على سؤال بالنفي وعدم معرفته بالشئ فإنه يقول "نوح توقو -Tougoe" " Noah فيما تستعمل فروع الزغاوة "توقوء" لتعني النفي القاطع أو لست أدري. و للإجابة على سؤال بالإيجاب يقول الحداحيد: "بونوء إئني Bodoe Innei" لتعني نعم فهو كذلك . ويقول زغاوة الكويبي : " اينق -Ing" وتعني بلى . كما يقول الحداحيد "أياو كيتو - Ayao kito" فكلمة أيا للنداء (كما هي الحال في اللغة العربية الفصحى "، و أياو تفيد المفاجأة والمبالغة في النداء ، والمعنى: لا ليس هكذا ، فيما يستعمل الزغاوة كلمة "كيتو Kitow" لتعني ليس كذلك. وهذه مقارنة بين لهجة الحداحيد ولغة الزغاوة:

| الكلمة | بلهجة الكويبي | بلهجة الويبي | بلهجة البدييات | بلهجة الماي  |
|--------|---------------|--------------|----------------|--------------|
| حدّادي | ماي(أقيراء)   | ماي          | ماي            | تامار        |
| زوجة   | باقو          | بقو          | بقو            | دريراء       |
| بقرة   | هيري          | هيري         | هيري           | سيناري بيراء |
| حمار   | أردي(كودي)    | أدي          | كودي           | هيريقي       |
| أرنب   | سوموني        | سوبولي       | ساموني         | أنقور        |
| إخضيز  | كورو          | كادو         | كارو           | كيدو         |

|         |       |       |       |             |
|---------|-------|-------|-------|-------------|
| كودوكنو | سنيرو | ثيه   | سيه   | آكل         |
|         | ناو   | لوء   | نوء   | ردئ         |
| موروء   | ماروء | بادوء | موروء | غزالة       |
| قرقي    | إنيه  | إيليه | إينيه | تعزية "موت" |

ونورد هنا مثالين من القصص القصيرة بلهجة الحداحيد:

ذهب الحداحيد يوماً للصيد فأصطادوا بعض الأرناب وفجأة رأوا رجلاً من الزغاوة قادماً نحوهم . فأرادوا أن يخبئوا صيدهم عنه فقال أحدهم لأصحابه:

ماري كيرقو أنفور سايقو ( nail kergo angor saigo ) أي

أحد الزغاوة قادم خبئوا الأرناب

فقاموا باخفائها . فلما جاءهم الرجل قال له الحداحيد : لبيتنا اصطدنا كثيراً من الأرناب كي نعطيك إياها .

فضحك الرجل (وقد فهم قولهم السابق لسوء حظهم ) وقال لهم بنفس اللهجة:

- مارو كيرقو أنفور سايقو يبي ايبيسي ( Maro kergo, angor saigo ,yebeh ) (ibseh

أوء إيتير قينيق نامارا قيرقي تيدي Oo-iter gining, maro gergi tidy

- أوء نامار نوكتي كيفيني أيق قينيق

(oa –namar nokkotti ker keginah aigining)

- أوء كانا تيفيري ديرارو أفورقي قينيق

(Oo- kana tejeri deiraro outorgi gining)

- سوموء تانجار تيو قينيق

(somo tanjar tigo gining)

- هيرقي مودو حوحوي ييقي

( hergey moudu hohouegi )

فخاف منه الحداحيد ومن تهديده ووعيده فقالوا لرفاقهم

أياو كيداو

( ayao keidao )

أي احضروهن حالاً!

وخلصة القصة أن الرجل قال للحداحيد "إنكم ترفضون إعطائي لحم الأرنب فسوف تكون كرامة " وتعزية في قريتنا غداً. فإذا رأيت أحدكم هناك فإنني سوف اضربه ضرباً مبرحاً و"أبهله" وأطرده منها دون أن يأكل شيئاً. فلما علم الحداحيد أن الرجل سوف يحرمهم من تقديم واجب العزاء والمشاركة في تناول الأكل وخافوا من تهديده ورضخوا لطلبه فاحضروا له الأرنب!

القصة الثانية :

ذهب الحداحيد يوماً إلى أحد السلاطين لتحيته وتقديم فروض الطاعة وكان السلطان بديناً(سميناً) فالتفت أحدهم الى الذي بجواره يوسوس له بلهجتهم قائلاً. إذا كان هذا (وبعني السلطان) السمين بقرتك وذبحها فإن زوجتك سوف تفرح كثيراً بلحمها الطيب!

- أوء كي سيناري بيراي كينوي قينيق.

(Oo key sinaru beera kinoy gining)

-حوي بيني قينيق، دريرا قينو أنيني! ( hohoyanini gining derira gino )  
( inini

وكعهدهم بسوء الطالع فإن السلطان كان يفهم لهجتهم فقال لهم ضاحكاً وفي نفسه شيء  
من الحزن "وهل انا أسئى معاملة الحدايد حتى أوصف بهذه الطريقة"

أينا اير ابرقي نامارنو مورو ابراء

Aina err erigi nam ar do moru era?

فارتعد الحدايد خوفاً وألوا على أنفسهم وعاهدوا السلطان ان يهدوه مائة من الات  
الزراعة ومائة من الأتوات التي تستخدم في حشاشة المزارع كفارة لما جنتها عليهم  
ألسنتهم السليطة !!.

ديمينيه ميه

درباي ميه

demeneh mee

Darbai mee

### لغة الزغاوة

يسمى شعب الزغاوة اللغة التي يتكلمون بها "بيريا-Beria" وهي غير مكتوبة  
حتى الآن. ومن العسير معرفة أصلها بالتحديد ، والراجح - كما يقول د. عبد الحق -  
إنها لهجة من الأسرة الليبية القديمة وقد استقلت عنها قبل دخول العرب شمال افريقيا .  
فلهجة الزغاوة ولهجة التيبو تمثلان فرعين من عائلة لغوية واحدة لدى البربر سكان  
الصحراء أو ربما كانت لغة الزغاوة في الأصل هي لغة التيبو نفسها كما يرى بعض  
الباحثين . وذلك للمشابهة الكبرى بينهما" . أما المؤرخ ماكمايكل يجد علاقة وتشابهاً في  
بعض الكلمات بين لغة الزغاوة ولغة البرتي المعاصرة فهي عبارة عن لهجة عربية وإن  
كانت تتصف بالركاكة وارتضاخ العجمية أكثر من غيرها بين لهجات المنطقة العربية .

ويجمع الكثير من الزغاوة على أن لهجة الكوبي هي أساس لغة الزغاوة.

وبملاحظتنا لمفردات لغة الزغاوة نجد أنها تفتقر إلى بعض الحروف الهجائية (الأبجدية) العربية ، مثال ذلك بعض الحروف الحلقية كالحاء والحاء والعين والغين وينعدم فيها حرف الضاد - كما نتوقع - ولانجد حرف الذال والزاي والطاء والظاء والصاد والتاء. ولا يستخدم حرف الشين إلا نادراً. ويغلب على لغة الزغاوة المصدر عند حديثنا عن تصريف الفعل. و يتحكم الصوت والحركة في نشأة الكلمة. أما لهجة زغاوة الكوبي فإننا نلاحظ أنها تتميز بكثرة حرف الكاف والميل لاستعمال حرف النون مكان اللام . ونجد عكس ذلك عند فروع قبيلة الزغاوة الأخرى وخاصة الويقي إذ يتميز لسانهم بالإكثار من إستعمال حرف اللام عوضاً عن النون ، مثال ذلك:

| الكلمة بالعربية | عند زغاوة الكوبي | عند معظم فروع الزغاوة | عند زغاوة البديات |
|-----------------|------------------|-----------------------|-------------------|
| ماذا؟           | نوراي؟           | لواي؟                 | داي؟              |
| سعدتم نهاراً    | نارقوريا         | لاكورو                | نوكوريا           |

ونلاحظ أيضاً أن لهجة زغاوة البديات هي لغة وسطى تجمع بين سمات لهجة الكوبي ولهجة الويقي "باقي فروع الزغاوة" وتتصف بخاصية السرعة والخفة في النطق وتليها لهجة الكوبي ، أما لهجة الويقي فتمتاز بالثقل والبطء في النطق. وهناك ميزة أخرى في لغة الزغاوة وهي ان الكلمة الواحدة قد تتغير وتعدد المعاني الدالة عليها بمجرد إمالة اللسان في نطقها - دون تبديل الحركة من حيث الضم والرفع والكسر - الأمر الذي يجعل تعلم لغة الزغاوة في غاية الصعوبة لغير الناطقين بها ، مثال ذلك:

(أ) في ماي - mai تعني حداد مي - mi تعني عجل . - ميي - miyeh تعني أسود.

(ب) بي - Bee تعني ماء - بي - Bei تعني غنم ، بيي - تعني وعل .

(ج) بييري = زغاوة ، بييري = عام . بييري = يتقلب في الفراش . بييري يمस्क.

(د) باء = بيئر . باء = أب . باء = يد.

(هـ) أوء = إنسان . أوء = لبن .

(و) توء = نذهب . تو = بندقية . تو سلفة . تو = السفر لاحضار الدخن . تو = الحصان الذي بلا سرج .

طبعاً هذا لاينفي وجود ضوابط وقواعد في الكلام . وهذه اللهجات كغيرها من اللهجات المطية في أفريقيا لاتوجد فيها أدوات للتأنيث مثل التاء إذ يشار إلى النكر والأنثى بنفس الأسلوب والطريقة .

مثلاً نقول : أحمد كاري . أي جاء أحمد .

كما نقول : أمنة كاري . أي جاءت أمنة .

ونجد اللغة العربية الدارجة أيضا تأثرت بمثل هذه الظاهرة الناتجة - في اعتقادنا - عن اختلاف الألسن واختلاطها في كثير من مديريات السودان .

الضمائر وأسماء الإشارة:

تشير إلى أن الضمائر البارزة في لهجة الزغاوة - وكما نرى لاحقاً - هي :

أي " ضمير المتكلم (أنا) . ناء = ضمير المخاطب أنت أو أنتي . بر = ضمير الغائب

هو أو هي بئر : ضمير الجماعة هم أو هن . توقوي : نحن والملاحظ أن الضمير

يسبق الفعل مثال : أي كيبقي ، بمنى أن سأذهب . كذلك المبتدأ والخبر أي مَصَدَّ تي .

بمعنى انا محمد ، مع إضافة المقطع تي الذي يفيد التأكيد بالإيجاب لكننا إذا وضعنا

المقطع تو (أي محمد تو) فإن المعنى يتغير كلياً لأن "تو" يفيد النفي لذلك يقول المتكلم

هنا أنه ليس محمداً .

أما أسماء الإشارة فهي قليلة لكنها تفي بالغرض المراد تماماً وهي كي kee وتعني

هذا وهذه . توء Toe وتعني ذلك وهؤلاء وقس بهما باقي أسماء الإشارة .

الجدير بالملاحظة أن أثر اللغة العربية على لهجة زغاوة الويفي أوضح عما هو عليه

عند باقي فروع الزغاوة ولكن بعض المفردات العربية مثل الطاقية لا يوجد لها مرادف

في لهجة الويفي حيث يقولون "تاقى" التي هي قريبة من "طاقية" علماً أن لها مرادف في

لهجة الكوبي وهو "توريه-Toreih" . وعموماً فإن لهجة الزغاوة تمتاز بالبلاغة والبيان

والفصاحة ، كما تتسم بالحكمة وتكثر فيها التورية والتشبيه. ونجد هنالك بعض الفروق غير الجوهريّة في لهجة زغاوة الأرتاج إذ يلحنون قليلاً بقلب الواو ألفاً مثل (أورو) بمعنى بهمة ينطقها الأرتاج (آرو) كذلك (بورو) بمعنى رجل تنطق (بازو) وهكذا . كذلك الحال مع زغاوة الكوبي حين يقلبون التاء دالاً مثل "أتيم" تصير "أديم" وهناك اشتقاقات كثيرة للكلمة الواحدة في لهجة الزغاوة . ونلمح فيها أسلوب التصغير التدريجي بإضافة المقطع "بور" أو "بوراء" أو "مناء" كما في هذا الجدول :

| الكلمة | باللهجة | تصغير 1  | تصغير 2    |
|--------|---------|----------|------------|
| طفل    | جاء     | جابور    | جابوراء    |
| حمار   | أردى    | أردى بور | أردى بوراء |
| طائر   | تورفو   | تورفوبور | تورفوبوراء |

والتصغير بمقطع "مناء" أو منقاء يشمل الجنسين وهناك اختلافات جوهريّة لدى فروع الزغاوة مثلاً:

| مجرد تصغيره   | عند زغاوة الكوبي | عند زغاوة الويقي | عند زغاوة البدييات |
|---------------|------------------|------------------|--------------------|
| المرأة الصغرى | باقو منقاء       | باقو مناء        | بقو منيقو          |
| ولد صغير      | بور منقاء        | بور مناء         | بور منيقو          |
| بلد صغير      | دار منقاء        | دار مناء         | دا منيقو           |
| طفل صغير      | جاء منقاء        | نياء مناء        | نياء منيقو         |

للسؤال والتأكيد يستعمل مقطعين (-يا) أو (-وا) في نهاية الفعل المراد توكيدها أو بتكرارها مثلا كلمة "كيفيني" تعني ذهب .أما كلمة "يا" تعني يا أمي وكلمة "أبا" تعني يا أبي.

| الجملة أو الكلمة    | معناها                        |
|---------------------|-------------------------------|
| محمد كيفينيو؟       | هل ذهب محمد؟ أو لعل محمد ذهب؟ |
| سعدية كيفينيا؟      | هل حقاً ذهبت سعدية؟           |
| سعدية كيفيني كيفيني | أي أن سعدية ذهبت فعلاً        |

وتكرار الفعل عند الزغاوة يعني التحدي أو الأمر الواقع الذي لامناص منه مثال ذلك

|                          |  |
|--------------------------|--|
| دقيس دقيس - نواري كاقاني | فطت ذلك -ماذا أنت فاعل؟! للتحدي          |
| إيفيس إيفيس - ندى ييني؟  | قلت ولا أنكر - ماذا ستفعل؟! الأمر الواقع |

الجمع : غير واضح في لغة الزغاوة مثلاً كلمة أنداء= مراقب أو جاسوس تستعمل للمفرد والجمع على السواء ويلاحظ الفرق من صيغة الجملة فقط ومن خلال ميل لايكاد يوضح كثيراً.

وتوجد من الألفاظ ما تفيد التعجب والمفاجأة وايضا التحسر والندم على شئ لايراد حدوثه : فللتعجب تبدأ الجملة هكذا: أيا كرايفي كى ناديو؟ بمعنى وا بأمي هل هذا أنت؟! وللمفاجأة و الهول تبدأ الجملة بكلمة "أياو" مثال ذلك:

أياو نونوء .. تو ناى؟! و المعنى هلا نظرتم من هو ذاك؟!

و للتحسر و الندم و التورط فى أمر ما فإن الجملة تبدأ بكلمة "إيميه" التى تفيد ظرف الزمان مثل قولهم: " إيميه ندييفى حرديقى كورى؟! بمعنى ماذا أفعل الآن و قد ضاع حصانى؟! "

الضمائر :

تظهر الضمائر المنفصلة جلياً فيما تتعدم الضمائر المتصلة لكنها تعرف ضمناً من سياق الكلام كذلك الضمائر المستترة وتقديرها . ونلاحظ أن هذه الضمائر دائماً تبدأ الجملة بها في لهجة الزغاوة.

| الضمير | دلالاته | المعني به                          |
|--------|---------|------------------------------------|
| أي     | ai      | أنا للمتكم                         |
| ناء    | na      | أنت-أنتِ للمخاطب                   |
| بر     | ber     | هو- هي للمفرد المنكر أو المؤنث     |
| توقوي  | tugoi   | نحن للمتكلمين في صيغة الجمع        |
| نوء    | nou     | انتم- أنتن للمخاطبين في صيغة الجمع |

المنادي :

تستعمل للنداء اداتان "ياء" و"هوي" وتأتي الأولى في نهاية الجملة عكس ماهي في اللغة العربية بينما تأتي الثانية في وسط الجملة أو نهايتها . مثلاً إذا أردت أن تنادي أحداً فإنك تقول :

يا علي — علي يا . أو "علي هوي "

تعال يا جمال — جمال هوي .. كيو

كما تستعمل هاي كأداة للنداء لتبدأ بها الجملة هكذا

ياحسين — هاي حسين

مقارنات في لهجات فروع الزغاوة

| لهجة البديات | لهجة الويقي | لهجة الكوبي | باللغة العربية |
|--------------|-------------|-------------|----------------|
| أوء          | أوء         | أوء         | إنسان          |
| أوروء        | أوروء       | أوروء       | حيوان          |
| إيني         | إيني        | إيني        | نبات           |
| بي           | بي          | بي          | ماء            |
| بيفي         | بيفي-تندي   | بيفي        | سماء           |
| إيري         | إيدى        | إيري        | أرض            |
| سواء         | إرشيء       | سواء        | تراب           |
| دوقوء        | تئين        | دوقوء       | طين            |
| إيلوء        | أوتو        | إيلوء       | شمس            |
| أوردي        | أوردي       | أوردي       | قمر            |
| مار          | بار         | مار         | نجمة           |
| أوريه        | أوريه       | أوريه       | وادي           |
| باء          | باء         | باء         | بنز            |
| بوروء        | بوروء       | بوروء       | رجل            |
| باقو         | باقو        | باقو        | إمرأة          |
| بور          | بور         | بور         | ولد            |
| تيني         | تيلي        | تيني        | بنت            |
| نياء         | نياء        | جاء         | طفل            |
| بوييه        | بوييه       | بوييه       | شاب            |
| تيني تومبو   | تيلي تومبو  | تيني تومبو  | فتاة           |

|           |            |            |                  |
|-----------|------------|------------|------------------|
| ماء       | باء        | باء        | يد               |
| دي        | دي         | دي         | قدم              |
| كو        | كو         | كؤ         | وجه              |
| بقيدي     | بتي        | بقيدي      | شجرة             |
| إنا       | إيلاه      | إيناء      | ملك              |
| إي        | أي         | أي         | أنا              |
| دار       | دار        | دار        | بلد              |
| قيني      | قيلي       | قيني       | قرية             |
| أي        | أبي        | كو         | أغنية            |
| نقيا      | لقيلو      | نقيا       | صباح الخير       |
| كويو      | كويو       | كيو        | تعال             |
| هيه       | هيه        | هيه        | جهة              |
| بيرييه    | بيرييه     | بواء       | الشمال           |
| تورو      | صعيد       | توروء      | جنوب             |
| بيري      | بيري       | بيري       | زغاوي            |
| أراو      | أرلو       | أراو       | عربي             |
| ديقيري    | ديقيري     | ديقيري     | ميلوبي           |
| نوقاء     | نوقاء      | نوقاء      | برتاوي           |
| كوراء     | كوراء      | كوراء      | فورلوي           |
| نساراء    | نساراء     | نساراء     | انجليزي          |
| آء        | آء         | آء         | لهجة/ لغة        |
| أرماء     | أرماء      | أرماء      | اللغة العربية    |
| نسارا- آء | نساراء- آء | نساراء- آء | اللغة الإنجليزية |
| فرنسا- آء | فرنسا- آء  | فرنسا- آء  | اللغة الفرنسية   |

|         |         |         |         |
|---------|---------|---------|---------|
| سوراء   | سوراء   | سوراء   | أسد     |
| أوقي    | أوكي    | أوقي    | نمر     |
| دوندو   | دولو    | أيفيريم | ذئب     |
| دي      | دي      | دي      | جمل     |
| هردي    | هرتي    | هردي    | حصان    |
| تو      | منلوق   | توء     | بندقية  |
| كو      | كو      | كو      | حرب     |
| نوء     | لوء     | نوء     | عدو     |
| كواء    | كواء    | كواء    | الكنب   |
| سييه    | شبييه   | سييه    | الصدق   |
| توبوء   | توتوء   | تودوء   | قلب     |
| أكو     | أقو     | أوقوء   | دم      |
| إينيه   | إيلي    | أيني    | لحم     |
| مارو    | بادوء   | موروء   | غزلة    |
| بوء     | بوء     | بوء     | ثور     |
| هيرري   | هيرري   | هيرري   | بفرة    |
| جوء     | نر      | جوء     | خروف    |
| تارفوء  | تورفوء  | تورفوء  | طائر    |
| بوي ييه | بوي ييه | بوي ييه | القيامة |
| جني     | جني     | جني     | الجنة   |
| جيه     | ييه     | جبييه   | النار   |
| سيرري   | شيرري   | سيرري   | يأكل    |
| ياري    | ياريه   | جاري    | يشرب    |

|        |           |           |            |
|--------|-----------|-----------|------------|
| قماش   | تاري      | تاري      | تاري       |
| حذاء   | تيفي      | تيفي      | تيفي       |
| الحلي  | تيرياء    | تيرياء    | تيرياء     |
| مطر    | بتو       | بتو       | بودوء      |
| رعد    | بتو أونوي | أم طر قاع | بودو أونوي |
| الخريف | قبيه      | قبيه      | قبيه       |
| الصيف  | ميري      | أبيي      | أبيي       |
| الشتاء | دابو      | دابو      | دابو       |
| أخضر   | جير       | جير       | جير        |
| أحمر   | ماراء     | ماراء     | ماراء      |
| شجاع   | كوراء     | كوراء     | كوراء      |
| جبان   | كويراء    | كويراء    | كويراء     |
| ليل    | قيني      | قيلي      | قيني       |
| نهار   | كوباي     | كوباي     | كوباي      |
| حمار   | أردي      | أرتي      | أردي       |
| طريق   | قردي      | قاردي     | قاردي      |
| خير    | دي        | دي        | دي         |
| شر     | نوء       | نوء       | نوء        |

### الأسماء عند الزغاوة

رغم أن الأسماء في العادة لاتخضع للتطيل ، إلا أننا رأينا إضافة بعض ملولاتها واختيارها عند أفراد الزغاوة . ويمكن القول على أن قبيلة الزغاوة تختار لأفرادها

من الجنسين أسماء عربية وإسلامية في الغالب الأعم . مستمدة من أسماء الأنبياء  
والصحابة والسلف الصالح، وهذه يشار إليها بأسماء الكتاب مثل محمد وعيسى وموسى  
وعلي وعثمان وعمر وأيوب الذي يختصر إلى "أبكر" ، وفاطمة وعائشة وحواء ومريم  
.. الخ. ويمكن ان يشتق الاسم من أيام الإِسْبوع كجمعة وخميس و"أرباع" أو من شهور  
السنة كرمضان ورجب أو من فصول السنة مثل خريف أو من اليوم مثل نهار . وقد  
يستمد الاسم كذلك من البيئة المحلية كأسد ونمر وجاموس وصفر وحجر وبحر عندما  
يريدون إضفاء صفة القوة إلى المولود الذكر .

### الكنية:

نجد أن الزغاوة لا يتخرجون في أن يكونوا بأسماء بناتهم إذا كانت البنت هي أول  
مولود لهم ، ومثال ذلك أبو أمنة وأبو حوة وأبو مكة .. الخ . ولا يميل أفراد قبيلة الزغاوة  
إلى التنكي إلا بعد أن يولد لهم ، إلا أننا نجدهم يطلقون أسماء كأم الحسين وأم الفقراء  
وأم الناس وأم دلال على الإناث ولا نرى مقابل تلك في الذكور . وكان الأولون من أفراد  
قبيلة الزغاوة يرون من عدم اللياقة والذوق الحضاري تجريد الشخص من كنيته المعروف  
بها .

### اللقب:

تقل ظاهرة الألقاب عند الزغاوة بصفة عامة إلا في نطاق الأسر الحاكمة  
لفروعها ، فمثلاً نجد لقب "أبو" ويطلق على الفرد الذكر المنحدر من الأسرة الحاكمة  
ويقصد به الأمير أما البنات فيلقبن بكلمة "أمو" وتعني الأميرة . وكلمة "كويراء" لزوجات  
أفراد الأسرة الحاكمة وهذه بمثابة الشيخة أو الأميرة . والغريب في الأمر أن زوجات  
حكام الزغاوة لا يتمتن بأي لقب مميز !! وهناك لقبان يطلقان على أشخاص ليسوا من  
الأسرة الحاكمة وهما : "أمين" ويلقب به الخلاء من المملوكين ، وعادة يتولى أسرار  
الحاكم الداخلية ويحتفظ بمفاتيح الخزائن ويوزع الحصص التمييزية لزوجات الحاكم ويقوم  
بجرد الموجودات وطلب النواقص منها . أما "كورسي" فيلقب به شخص لا ينتمي الى

المملوكين يختاره الحاكم أو يتطوع لخدمة الحاكم الذي يكلفه القيام بمهام مثل السفر ونقل الرسائل الشفوية والبحث عن الجناة والقبض عليهم . وتطلق كلمة "جهادية" كلقب على الأرقاء في العهود التي سبقت استقلال السودان لتحل مكان كلمة العبيد التي يتورع الناس في إستخدامها . هذا وقد أشرنا إلى ألقاب حكام فروع قبيلة الزغاوة في الفصل الثالث من الباب الثاني.

درج الزغاوة في الماضي على إختيار بعض المواقف لاشتقاق أسماء منها ، وهذه المواقف في مجملها تتعلق بالموت وذلك إما تيمناً بشخص مات أو درءاً لتشاؤم قد يحدث ، ونمثل ذلك بالآتي :

1. بورماي: ويطلق على الطفل الذي يولد ويعيش عقب وفاة إخوته السابقين أثناء الولادة.
2. بورباقي: ويمثل "بورماي" إلا أن إخوته السابقين قد توفوا لأسباب ليست لها علاقة بمولدهم.
3. أتييم: وهو اليتيم الذي لم ير والده (مات أبوه وهو في بطن أمه).
4. أبو كوري(أبو قوري) : وهي المولودة التي تتزامن ولادتها مع وفاة جدتها.
5. إيركوري (إيرقوري) : وهو المولود الذي تتزامن ولادته وفاة جده.
6. بوركورقو : وهو آخر حصيلة الأبوين من الأطفال .

وقد تختار الإسم لاستبعاد الشر عن المولود وذلك بإختيار أقبح الأسماء له كقولهم أري حمارو للذي يريدون تسميته بالجحش أو الحمار . ويلاحظ أيضاً أن بعض الأسماء تشير إلى أحداث مثال ذلك نوسه وحره وتطلق على المولود الذكر إذا تزامن مولده باندلاع حرب أو غزوة . أما التوائم فيطلق عليهما أسماء مشابهة إذا كانا نكوراً مثل حسن وحسين ، توم وتيمان . وإذا كانا ذكراً وانثى مثل توم وتومية أو تومة ، حسن وحسنية أو حسين وحسنة . وفي حالة ميلاد طفل بعد توأمين يسمى هري وان كانت طفلة سميت هرياء.

## الأسماء المساعدة :

نجد أن الزغاوة قد أطلقوا أسماء حركية "مشكار" مرادفة لبعض الأسماء المعروفة وتكون أكثر شهرة واستعمالاً أثناء الطفولة واليافة ومن هذه .

عمدة لمن يسمى محمد صالح

عصر ونامو لمن يسمى محمد

مئي وجبة لمن يسمى سليمان . ويقال دئي لمن يسمى عبد الله .

بركة وخليل وقرض لمن يسمى إبراهيم . ويقال جرناء لمن يسمى يوسف اما عبد

الرحمن فله ثلاثة أسماء مساعدة :جروه ،شالود وفرتي . ولفظة شطة وأحمادي مقابل

أحمد . وهري لهارون .

اما بالنسبة للإناث نجد عائشة يدلعونها بلفظة كنجوري ، ومستورة يقال لها جكي

وتواء لكلثوم أو كلتومة ، وحليمة يقال لها كباي وست الاهل يطلق عليها مرقوني.

وتتميز أسماء فرع زغاوة البديات بغرابتها وميلها إلى اللغة الزغاوية منه إلى العربية

وهم- كما نعلم - سكان البادية التي توحى لهم بأسماء البدو الجزيرة العربية ، أمثال

مورنو ، قارينو - قيرنو - نيفي - اونيفي - نيفيد - نوتاء - مقوري - جوقوي - دقيم -

حننو...الخ .

وأكثر أسماء الزغاوة غرابة تتسمى بها فئة الحداحيد والذين يندر أن تجد لهم أسماء

ألفها الناس . كما علمنا في الباب الخاص بهم - يعمدون الى الإبتعاد عن إختيار

أسماء اشخاص في طبقات اجتماعية أخرى ، ومن اسمائهم : مقو ويعني المر وأسار

ويعني إهمال ، دوي ويعني وحيد - ماراء - بيرري - ديوفيو - ماي قاي - ارقو -

مبيقيت - آرو - دنقا . أما الإناث فأسمائهن موغلة في القبح مثل قيديه - توري -

باسيه - وكل هذه الأسماء يقصدون بها إخفاء هويتهم وصولاً إلى تفادي الدخول في

حرج كامن قد يحدث .

ومن الملاحظ أيضاً ان الزغاوة يقرنون أسماء حركية "مشكار" بالأسماء الأصلية لفراهم مثال تلك توناء للطينة ، دماريك (وأظنها ضل بارد ) لطنضبائي . دايا (واظنها ضاحية) لكرنوي . دوردور لخزان باساو وهكذا.

### الأعداد الحسابية

لا توجد في لهجة قبيلة الزغاوة الحروف الهجائية "الأبجدية" كما سبق أن أشرنا إليها و بالمثل ليس لديهم نظام حسابي مكتوبة الأعداد . ويعتمد النظام الإحصائي للأشياء على مركبات العشرة ، فيبدأ عد الأشياء من الواحد إلى العشرة إلى العشرين فالثلاثين ، فمازاد عنها لا يوجد عدد مقابل للأربعين أو الخمسين الخ . لذا يستخدم مركبات العشرة أو العشرين أو الثلاثين للحصول على المجموع الكلي إلى ما لانهاية .

وتستخدم وسائل مثل أصابع اليد والمسبحة لعد الأرقام دون المائة فيما تستخدم الحصى بألوان مختلفة لترمز إلى المئات والآلاف .. الخ . ونجد أن رعاة الماشية يقومون بحصر قطعانهم بتدقيق النظر على القطيع وفحص افرادها وتفقدتها وصولاً لمعرفة عددها وما إذا كانت ناقصة العدد أو خلاف ذلك عن طريق الفراسة دون اللجوء إلى إتباع أسلوب العد التقليدي وهذه ميزة سائدة لدى جميع فروع قبيلة الزغاوة .

يطلق الزغاوة على العدد الزوجي (أقي - A'gi) وعلى العدد الفردي "موقوء" ويتبعون أحياناً الطريقة الإحصائية في كتابة الأعداد في مجموعات يسهل عدّها واحصاؤها . فمثلاً تكتب الخمسة هكذا (////) أو (////) وبالتالي فالعشرة هي نتاج جميع مجموعتين منها (////) (////) . ونورد هنا النظام الحسابي عند زغاوة الكوبي :

| العدد | بلهجة الكوبي | منطوقة باللغة الإنجليزية |
|-------|--------------|--------------------------|
| 0     | نبرلوه (جوه) |                          |
| 1     | نوكو         | Nokko                    |
| 2     | سوي          | Sooy                     |
| 3     | ويه          | Weh                      |
| 4     | إستي         | Isti                     |
| 5     | هوي          | Hooy                     |
| 6     | ديستيه       | Desteh                   |
| 7     | ديستي        | Disti                    |
| 8     | أوتيه        | Otteh                    |
| 9     | لستييه       | Deestee                  |
| 10    | سوقودي       | Sogodi                   |

وبالنسبة للأعداد من الحادية عشرة حتى التاسعة عشرة فإن منزلة العشرات تظل ثابتة بينما تتكرر الأحاد فمثلاً العدد 11 يقرأ هكذا سوقودي (وتعني عشرة) إيه (وتعني العين دلالة على الإضافة) أيضاً "قبييه" بدلاً عن "إيه" وتتتابع الأعداد على نفس المنوال ولايختلف تسلسلها عند الزغاوة عما هو عليه في النظام الحسابي العام المتعارف عليه عالمياً.

|    |                                   |
|----|-----------------------------------|
| 18 | سوقودي قبييه أوتي                 |
| 19 | سوقودي إيه لبيستيه                |
| 20 | ديدي (و) سوقودي سوي Dedi          |
| 21 | ديدي إيه نوكو                     |
| 30 | داني أو سوقودي ويه Dani           |
| 31 | داني إيه نوكو أو داني قبييه نوكو  |
| 40 | لبيدي سوي                         |
| 41 | لبيدي قبييه نوكو                  |
| 50 | لبيدي سوي قبييه سوقودي (10+20+20) |
| 60 | داني سوي (30+30)                  |

|                               |      |
|-------------------------------|------|
| دلي سوي قيه سوقودي (10+30+30) | 70   |
| دبدي إسني (4+20)              | 80   |
| دلي ويه (30+30)               | 90   |
| ميه Meeh                      | 100  |
| أليف Elif                     | 1000 |

الجدير بالذكر أن فروع قبيلة الزغاوة الأخرى ليس لديهم نظام حسابي كما لفرع زغاوة الكوبي فنجد مثلاً ان زغاوة الويفي تكرر العشرة في نظامها الحسابي والعددي هكذا :

|                              |      |         |                  |    |
|------------------------------|------|---------|------------------|----|
| تيم شويه                     | 20   | Lakko   | لاكو             | 1  |
| تيم ويه                      | 30   | Shuweh  | شويه             | 2  |
| تيم هوية                     | 50   | Weh     | ويه              | 3  |
| تيم لي تيم كافا تيم لو "ميه" | 100  | Ishti   | إيشتي            | 4  |
| تيم لي كافا ويه (لف)         | 1000 | Hooweh  | هويه             | 5  |
|                              |      | Deshteh | ديشته            | 6  |
|                              |      | Dishti  | ديشتي            | 7  |
|                              |      | otteh   | وتني             | 8  |
|                              |      | Deeshti | ديشته            | 9  |
|                              |      | Teem    | تيم              | 10 |
|                              |      |         | تيم بير يقي لاکو | 11 |
|                              |      |         | تيم بير يقي شويه | 12 |

اما النظام الحسابي والعددي لدى زغاوة البدديات فلايختلف كثيرا عما لدى زغاوة الكوبي ، والاختلاف فقط في المسميات للتباين الطفيف في اللهجة بين الفرعين وهذا النظام ايضا مبني على أساس عشري.

## النظام الحسابي عند زغاوة البديات (التوباء)

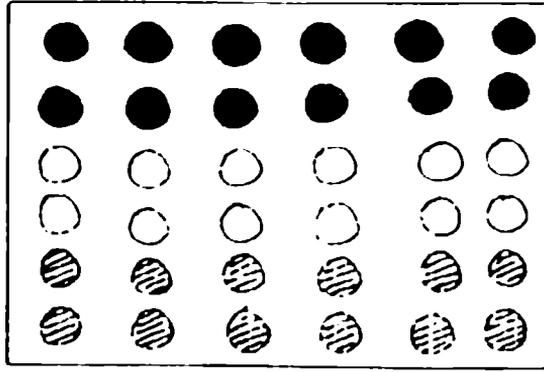
|                     |     |        |    |
|---------------------|-----|--------|----|
| سافودي سويه 2 x10   | 20  | ناكو   | 1  |
| سافودي وبه 3x10     | 30  | سوي    | 2  |
| سافودي هوي 5X10     | 50  | ويه    | 3  |
| سافودي دبسته 9X10   | 90  | لستي   | 4  |
| سافودي سافودي 10X10 | 100 | هوي    | 5  |
|                     |     | لستيه  | 6  |
|                     |     | لبيستي | 7  |
|                     |     | لوني   | 8  |
|                     |     | لبيسته | 9  |
|                     |     | سافودي | 10 |

### ألعاب التسلية عند الكبار

يقضي رجال قبيلة الزغاوة أوقات فراغهم بأنماط من ألعاب التسلية الشعبية التي تتميز بالمرونة في ضوابطها والسهولة في أدائها ويمارسها الشباب والكهول والشيوخ من الذكور على حد سواء . وتسوق هنا بعض النماذج والأمثلة لها :

#### 1- الضالة Dala

وهي لعبة واسعة الانتشار بين معظم قبائل المنطقة ، وتشبه الشطرنج إلى حد كبير ويشارك في أدائها شخصان مع وجود مشجع لكل منهما . وادوات اللعب عبارة عن 12 حصاة ومثلها بعر الإبل . ويتم اللعب على رقعة مسطحة من الرمال محفورة فيها 36 حفرة ضطة . وهناك شروط تنظم اللعبة واهمها عدم إعادة ماتم تحريكه من أدوات الضالة بأي حال من الأحوال ، وهذا الشرط يطلق عليه ال "عود فروء"



## 2- الطاب: Tab

وهي لعبة تلعبها النساء أيضا كما الرجال ولكن كل جنس على حدة ، وتشبه لعبة الدومينو "الدومنة" وتتكون من أربع قطع من الخشب أو القصب متساوية في الطول ومتشابهة في الشكل - ولكل قطعة سطح خارجي غامق اللون ويسمى الظهر ، و سطح داخلي أبيض اللون يسمى البطن . ويمكن إشتراك عدد كبير من الأشخاص فيها . وتكمن مغزى هذه اللعبة في المنافسة على زواج وهمي من فتاة جميلة غالية المهر . ويكون فائزاً أول من يحصل على أعلى نسبة من النقاط ، والمهر عبارة عن ثلاثين أو أربعين من الماشية . اما كيفية لعبة الطاب هي أن تقذف القطع الاربع في الهواء فتسقط على الأرض :

(أ) فإذا سقطت كل القطع ويطونها الى أعلى = حصان واحد ويقيم الحصان بأربع بقرات .

(ب) إذا إنكفأت جميعها = جمل واحد ، ويقيم الجمل بست بقرات .

(ج) إذا انكفأت ثلاث وبقيت واحدة ويطنها إلى أعلى = بقرة .

(د) إذا إنكفأت إثنان والأخرى بطنيهما إلى أعلى = حمار تقيم البقرة بحمارين . وتقيم الحصيلة على أساس البقر فمن يكون مجموع نقاطه في اللعبة أربعين بقرة يعتبر فائزاً

وعريساً !! كذلك الحال مع البنات فإن من تكون مجموع ما عندها أربعين تصبح فائزة بعريس !!

### 3- آبار كاراء (كاراء باء-Kars ba'a)

ولها إسم آخر بلهجة الزغاوة قيه نيري أو قيه ليري . وهي أن تحفر آبار (حفر ضطة) تختلف في العدد حسب المشتركين في اللعبة ويوضع في كل بئر قدراً من بحر الغنم ، وهي لعبة يتسلى بها الكبار وتستغرق وقتاً طويلاً كما أنها تحتاج إلى حدة الذكاء الحسابي وتعتبر من الألعاب المعقدة نوعاً ما . وقد ذكرناها هنا لكون تفصيل .

### 4- دخول السنة :

هي عبارة عن كرنفال شبابي للإحتفال برأس السنة القمرية وتتخلل هذا المهرجان ألعاب ورقصات يشترك فيها الشباب من الجنسين مع تنافس بين قرى مجاورة في أسلوب الإحتفال . ويتم التحضير لهذه المناسبة قبل يومين إذ تجمع حطب الحريق من أشجار الفقل التي بها خاصية سرعة الإشتعال مع تطاير الشرر . كما يحضر المشتركون أدوات التتكر والمكياج من ملابس وألوان تقتصر على مسحوق الفحم والرماد والطباشير . وفي ليلة الإحتفال يجتمع شباب كل قرية أو حي فيوزعون الأداوار فيما بينهم ويلبسون وجوههم للتمويه والتتكر وإثارة الرعب في نفوس منافسيهم ثم يشعلون النيران ويحمل كل شخص منهم شعلتين متوهجتين من الحطب فتتطلق صيحات الفرح والزغاريد ثم يهاجم كل فريق الآخر بينما يضرب الشعلتين بعضهما ، فيتطاير الشرر في عنان السماء . وتضئ ارض الكرنفال فيما يشبه الألعاب النارية التي نراها في أعياد رأس السنة الميلادية في بلاد غرب اوروبا وامريكا .

وتتطوي هذه اللعبة على خطر كامن من جراء الحرائق التي قد تنشأ وتسبب خسائر في الممتلكات والمرعى والأرواح ، إذ يتعرض بعض المشتركين للحروق خلال الإحتفال .

وهناك ألعاب أخرى للتسلية مثل الدونق كروق وابو اربعة والسوكة والسيجة والنطاط والسفرجت والفرقور والوروار وخلافها من الألعاب التي لايسعها حيز هذا الكتاب.

## ألعاب الأطفال

كانت ألعاب الاطفال في الماضي تقام بطريقة جماعية ، منها ماهي للصبيان فقط ومنها ماهي للبنات ، ومنها الأخرى تجمع بين الجنسين دون العاشرة من العمر . وكانت هذه اللقاءات تتطوي على البراءة ونقاء سريرة الأطفال إذ كان أطفال القرية يعتبرون أفراد أسرة واحدة . أما المغزى من هذه الألعاب فهو تدريب الأطفال وتعليمهم وتعودهم على التربية الرياضية والفروسية وحياة الجماعة . ومن الالعاب التي تقام في الليالي المقمرة مايلي :

### 1. قوقوء - Googoo أو الشليل

ينقسم الأطفال إلى فريقين ، ويقذفون قطعة من العظم تسمى " قوقوء" ثم يقوم الفريقان بالبحث عنها . ومن يعثر عليها يحدث صوتاً متفقاً عليه ويركض نحو نقطة الإنطلاق مسجلاً بذلك نصراً لفريقه ، أما إذا حال لونه أحد أفراد الفريق الآخر وأخذ منه القوقوء فيعتبر فريقه خاسراً.

### 2. حُكُو - hokko او شَدَت :

ويلعب فيها فريقان يختار كل منهما من يمثله ، فيثبي كل ممثل ركبته ويمسك بها إلى أعلى .. و يعدو كل منهما برجل واحدة بطريقة الوثب إلى نقطة معينة والرجوع إلى نقطة الإنطلاق التي هي نهاية السباق ، ثم يكرر طفلان آخران نفس اللعبة وهكذا نواليك . وقد يعمل كل لاعب جهده في إعاقة خصمه ونلك بفك رجله المثنية . وفي الختام تظهر النتيجة وبالتالي الفريق الفائز .

### 3. تيلام تيلام : Tilam Tilam

وفيهما يجلس الاطفال من الجنسين على الأرض في صف واحد باسطين أرجلهم في حلقة دائرية . ويوم أحدهم بتلاوة فزورة ، وفي كل مقطع يلمس إحدى الأرجل والتي تليها كانه يعدها عداً . ومن تنتهي عنده يعتبر خاسراً ويخرج من الصف . وهكذا تصغر

المجموعة شيئاً فشيئاً حتى يفوز واحد فقط باللعبة . ومما يقوله أطفال زغاوة الكوبي في هذه اللعبة :

"تيلام تيلام .. عاشة نيام نيام ..دري كوندي كوندي .. ديو نا ريفيس .. نفو ديورتيني .. كوندوس سيارو .. تاقينوجو . كانا مانا تام بيو."

وهي نفس اللعبة المعرفة على نطاق السودان ب : تيلام تيلام تيلام جانو ..الخ ومن الألعاب التي تتطوي على جهد بدني كبير ، وتحمل وشدة يقوم بها الأولاد نون البنات ، وغالبا ماتقام نهاراً ومن خلال رعي ماشيتهم . ومنها :

- (1) شد الحبل : وهي لعبة معروفة .
- (2) نط الحبل : وهي أيضاً معروفة .
- (3) نط الشوك : وهي أيضاً معروفة على شاكلة نط الحبل .
- (4) حي ولا ميت : وتعتبر من اللعبات الخطرة ، وتتوقف قوة التحمل والصبر ، وهي ان تحفر حفرة في رمال الوادي الناعم في ماتشبه القبر ، ويوضع فيها أحد الصبية ويغطي وجهه بقطابه فيميل عليه أقرانه التراب ثم يسألونه بصوت عال "حي ولا ميت" ويقول هو "حي" ويهيلون عليه التراب مرة أخرى ويسألونه ويجيبهم حتى إذا لم يسمعون يجيبهم يعلمون انه في ضائقة من أمره فيزيحون عنه التراب و يخرجونه من الحفرة و قد أصابه التعب والإعياء . ثم يليه آخر .. وهكذا .. ومن يقضي أطول فترة في الحفرة يكون فائزاً.

(5) المصارعة : " أداري Adari" وهي نوعان: المعروفة وبالصدر وقد تشترك البنات فيها أحياناً.

(6) الفروسية : وفيها يتعلم الصبية ركوب الخيل والتسابق بها وايضاً القفز على حواجز الأشجار والزرائب .

(7) الفات الفات : ولها إسم آخر هو " تلّ وفات " بمعنى أطلّ وذهب ، ويشترك فيها الأولاد والبنات وذلك بأن يجلس المشاركون في حلقة دائرية ويدور عليهم أحد الأطفال - من الناحية الداخلية من الدائرة - وهو يخبئ في يده قطعة من القماش ويجري ببطء

وهو يردد "فات فات" ويردد الآخرون "طلّ وفات" . وفجأة يرمي بالقطعة على كتف أحد الجالسين الذي يركض وراءه بسرعة ليضربه بها ، فإن استطاع الأول ان يجلس في مكانه دون لمسه او ضربه بالقطعة يكون فائزاً وعلى الآخر إعادة الكرة حتى "يخلص نفسه" ويرمي القطعة لطفل آخر وهكذا دواليك.

### (8) الرماية :

وفيها يتعلم الاطفال الصيد ويبدأون برمي "السفاريك" والرماح وبعد إجادتها يبدأون في الرماية بالأسلحة النارية .

(9) الدجاجة والبيض: وهي لعبة في شكل تمثيلية تعبر عن الدجاجة التي تريد أن تضع بيضها لكنها لم تجد مكاناً . ويشترك فيها الأطفال من الجنسين حيث يقفون في حلقة ضيقة ويضع كل منهم يديه على كتفي الذين يجاورانه فيشكلون سياجاً بأرجلهم ، ثم يجثو احد الأطفال على ركبتيه - ممثلاً الدجاجة - داخل الحلقة الدائرية ويبدأ بالغناء ويجب عليه الآخرون هكذا :

| لمشاركون | باللغة العربية            | بلهجة زغاوة الويقي      | بلهجة زغاوة الكوي       |
|----------|---------------------------|-------------------------|-------------------------|
| الطفل    | هل من مكان أضع فيه البيض؟ | كبيه جيه فولو بيقا بيقو | كبيه جيه فونو بيقو بيقو |
| المجموعة | لا .. لا يوجد!            | كيلاء يوء!              | كينا جوء                |
| الطفل    | ولو بيت لدجاج ؟           | كوتي بيقاء؟             | كودي بيرو؟              |
| المجموعة | لا .. لا يوجد.            | كيلاء يوء!              | كينا جوء!               |
| الطفل    | ولو فوق الرحي "المراكاة"  | شيفي توتويقاء؟          | سيفي تودويراو؟          |
| المجموعة | لا .. لا يوجد!            | كيلاء يوء!              | كينا جوء!               |
| الطفل    | ولو تحت "الدبنقاء"؟       | نونو توتو يقاء؟         | نونو تودويراو؟          |
| المجموعة | لا .. لا يوجد!            | كيلا يوء!               | كينا جوء!               |

و هكذا تتعب الدجاجة و يصيبها الإعياء و فجأة يضغط الطفل بقوة على أرجل الواقفين و يهرب خارجاً. و يكون الدور للطفل الذي خرجت الدجاجة من بين رجليه، فيقوم بتمثيل نفس الدور .

## الفصل السادس: الطب الشعبي عند الزغاوة

### مقدمة :

عني الإنسان منذ بدء الطليقة بأسباب بقاءه معافى مما يعتل صحته ، وحرص على تفادي مايجلب له الضرر واتقائه. وسعى حثيثاً على معالجة ما ألمّ به من مرضٍ . ومع مرور الأزمان تجمعت لديه حصيلته من الخبرة والمهارة في معرفة الداء وإيجاد مايلزم من الدواء . وفي سبيل ذلك إعتد على البيئة المحيطة به لاستخلاص الدواء من مكوناتها كالأعشاب والأشجار والماء ومكونات التربة . فإستحدث وسائله في سبر تضييد الجروح وجبر الكسور ، ومن خلال ممارسته لفن التطبيق مر بمراحل التجربة والخطأ والصواب حتى إستدل على بعض الحقائق والأسس الثابتة عن الامراض التي كانت تفتك به والعلاج لها . وعندما لم يجد من البيئة المحيطة به تفسيراً أو علاجاً لبعض الظواهر المرضية أول ذلك لقوى خارجية كالجن والسحر والعين والحسد والارواح الشريرة كأسباب لما أصابته من علة ويحث العلاج عند المعالجين الروحانيين وخلافهم .

وقبيلة الزغاوة عرفت التداوي بالأعشاب وجبر الكسور وسبر الجروح والكي بالنار والحجامة والفضادة لأمراض الجسد ، كما عرفت طرقاً للعلاج النفسي كما أنهم أخذوا بأساليب الوقاية من الأمراض وعملوا بها .

**الجراحة وجبر الكسور:**

خبرت قبيلة الزغاوة أساليب الجراحة وجبر الكسور والتي استمدها من نمط حياتهم الرعوية التي كثيراً ما عرضتهم للإصابة بالجروح الناتجة عن أسلحتهم البيضاء والنارية في الحرب و السلم أو من فعل احتكاكهم اليومي بماشيئتهم او من الحيوانات المفترسة كالأسود والنمور وخلافها عند تعقبها للقضاء عليها . أما الكسور فكثيراً ما يحدثها السقوط من ظهور الدواب أو من على الأشجار أو في قاع الآبار وقمم الجبال او الإصابة بطلق ناري عن طريق الشجار والتأر .

يستخدم مسحوق ثمار شجرة "القرض" أو مسحوق لحاء شجرة الحراز لوقف النزف من الجروح الحديثة . ويستعمل لحاء أشجار السيال والسنط والهشاب كضماد ، وذلك بلفها على الجروح السطحية لتقيها من الأتربة والملوثات . أما بالنسبة للجراح العميقة تتم خياطتها بعصب الدواجن او بسبائب شعر الخيل والزراف وذلك بعد تنظيفها بالقرض والملح. اما الكسور فيقوم البصير بارجاع العظام المكسورة إلى طبيعتها عن طريق الشد ثم تثبيتها بجبيرة (تابا-Taba) تتسج من اعواد الفنا أو البوص وتبطن بالصوف ، وهي عادة تتيح التهوية اللازمة للطرف المصاب وسهولة جريان الدم في العروق .

### جراحة الرأس:

ولقبيلة الزغاوة فيها الخاص في علاج جروح وكسور الرأس . وفي الفترة قبل إنتشار الخدمات الصحية الحديثة إشتهر نفر منهم في فن جراحة المخ والأعصاب وكان البصير يقوم بفحص الجريح وسبر غور الجرح ويقرر على ضوءه ما إذا كانت حالته تحتاج إلى فتح الجمجمة او خلافه معتمداً على خبرته الذاتية المستفأة من تجارب أسلافه الذين اخذ منهم المهارة. فمثلاً البصير لايقدم على عملية "التربنة" أي عمل تقوب في الجمجمة ورفع العظم المكسور أو إزالته لإراحة أنسجة المخ إلا إذا وجد المصاب لايستطيع التحدث أو في غيبوبة . الأمران اللذان يدلان على مدى جسامه الضغط على المخ .

ويستخدم البصير في هذه الحالة قليلاً من الأنوات كالمسبر "مقاش" وموسى من الحديد وسكين حادة وإبرة للخياطة وخيوط من عصب الدجاج وقطن وسمن حار ومسحوق القرض كمطهر ومخدر ومجلط للدم وماء ملح الطعام ، وسبائب شعر الخيل لخياطة فروة الرأس . وتستعمل الآلات البسيطة لعملية إزالة العظم أو رفعه . ويعاون البصير في هذه العملية مساعون ذوو خبرة وعادة تجرى العملية في الصباح الباكر إعتقاداً منهم بأن نزف الجروح يقل في هذه الفترة من اليوم . ونجد أن نجاح مثل هذه العمليات في تلك الحقبة عالية . ويتم إقرار أهل المصاب بإجراء عملية جراحة الرأس

عرفياً . وقبل إجراء العملية يوضع المصاب في حفرة إلى وسطه مع دفنها وذلك لمنعه من الحركة أثناء العملية لعدم وجود وسائل التخدير "البنج" ، وهذه في حالة المريض بكامل وعيه ، أما في حالات الغيبوبة فلا تستدعي اللجوء إلى مسألة الحفرة.

### علاج الملدوغ والملسوع :

يتم علاج لدغة الثعبان ولسعة العقرب بوسائل مختلفة بالفصادة والحجامة أما في إفراغ السم من موضع اللدغة مع ربط اعلى الجزء المصاب للحد من سرعة إندفاع الدم الحامل للسم إلى بقية أجزاء الجسم وعلاج الجروح الناتجة عن اللدغة لإيقاف النزيف . والعلاج بعروق الأعشاب و الأشجار التي عرفت بفعاليتها ضد السم ومعظم هذه الأدوية مقيئة.

### الحجامة والفصادة والكي بالنار :

من الاساليب المستخدمة في علاج بعض العلل الحجامة ودواعي استخدامها الصداع الحاد والمصاحب لضربة الشمس الذي يعتقده الزغاوة ناتج عن تراكم دم فاسد في عروق الرأس ومؤخرة الرأس والرقبة الأمر الذي يجعل البصير يفسد موضعين في مؤخرة الرأس حذاء الأذنين ثم سحب الدم منها بالمحجم . وتستمر هذه العملية لفترة يقررها البصير فيشفى الشخص من الألم. ويلاحظ أن بعض الناس قد اعتاد على الحجامة دورياً في كل عام خاصة بعد موسم الحصاد "الدرد" للوقاية من نوبات الصداع .

اما الفصادة فهي عبارة عن إحداث جروح دقيقة في جانبي الوجه عند الصدغين مع إزالة الدم النازف من هذه الجروح عدة مرات حسب مايراه البصير . وعادة تستخدم الفصادة في حالات الأطفال المصابين ببعض أمراض العيون والحميات . والكي بالنار علاج قديم قدم التاريخ . وقد استخدم لعلاج الإنسان والحيوان . أما دواعي استعماله للإنسان في حالات الصفار "اليرقان" إذ تكوى نقطتين في وسط الزراعين ، وقد يستعمل الكي أيضاً في إصابات الرأس التي تؤدي إلى كسور في الجمجمة وأيضاً لأمراض

الجهاز الهضمي المزمنة المفعمة بالأمل كما يستخدم في حالات إنزلاق المفاصل  
وكعلاج أخير للعلل المستعصية .

التداوي بالعقاقير الشعبية :

ونعني بالعقاقير الشعبية العلاجات المستخرجة من الأعشاب والأشجار ومن  
التربة والحيوان .

التداوي بالأعشاب :

تستخدم جنور "عروق" الأعشاب والأشجار وأوراقها وثمارها ولحاءها في أشكالها  
وتركيبتها المختلفة في تسكين الآلام وعلاج الأسقام ، ومن هذه السنه سنه أو نبات  
السنامكة الذي تستعمل أوراقه في علاج الإمساك للصغار والكبار . أما الجلبة فيعطى  
مطولها الحار للمصاب بالدوسنتاريا المزمنة وحياناً تمضغ حبات الحلبة عوضاً عن  
المحلول . وتوصف محلول الكركدي "العنقارة" والقرض وحبات من الدخن - معاً لعلاج  
الزكام والتهابات الشعب والالتهاب الرئوي . ولتسكين السعال "الكحة" تمتص ثمار شجرة  
السنط (القرض) أو تعريض المصاب بالكحة على نخان ثمرة القرض مع إبعاده عن  
تيار الهواء المباشر ، وذلك بتغطيته . أما شجرة الهطيج "الللوب" فلها إستعمالات عدة :  
تمص اللابوية كعقار لفتح الشهية وملين في حالات الإمساك والزكام ، أما زيتها  
فيستخدم لعلاج السعال الديكي "أم قنطو" . و زيت السمسم يدخل في تطيب شتى العلل  
منها السعال بأنواعه وبعض الأمراض الجلدية . وللملاريا وصفات منها مطول شجرة  
العرديب . ولأمراض الفم والأسنان يستعمل مطول لحاء شجرة الجميز وشجرة اللبخ . أما  
الليمون فيدخل في علاج الكثير من الأمراض كالتسمم من الأكل والمغص "القبضة" .  
وفي حالات إلتهاب العيون الذي يلزم المصاب بمرض الحصبة يستعمل ماء بليلة  
الدخن كقطرة كما توصف خلطة الدخن والثوم والبصل في شكل شراب لمرض الحصبة  
ايضاً . ويعطى مرضى اليرقان "الصفار" مطول نبات الريحان "أبو الريحان" والكول بعد  
إذابتها في الماء ، أما الهرجل "الرجل" فيشرب مستطبه كالشاي لعلاج آلام البطن  
غير أن الشيح يشرب محلوله لأوجاع القلب "قم المعدة" والطمام "اللوعة" . أما في

حالات التهابات الجيوب الأنفية فتعالج بنشوق مسحوق ما علق من دخان على سقف "القطيعة" من الداخل . ومن وصفات الأمراض الجلدية الاستحمام بمنقوع عشب المحاريب "المرحيب".

## (2) التداوي بمكونات التربة :

يستعمل الطين بتليخ جسم المريض المصاب بالجذري الكاذب "البرجم" لتسكين الحكّة "الأكولة- أو الكاروشة"! كما نجد أن النساء عند وحام الحمل يأكلن الطين الجاف الذي يهدئ حدة الحموضة واللوعة . ومن إستخدامات العطرون " النطرون " المغص والحموضة "حيرقان المعدة" . وفي الحالات التي يتعذر الحصول على العطرون يستخدم الرماد بديلاً عنه .

## (3) التداوي بالزيوت ومستخرجات الألبان :

(أ) زيت النعام : وله خاصية التسرب السريع لذا يستخدمه الزغاوة في دهن المفاصل المصابة بالروماتزم "الرتوبة" وفي حالات قصر الأطراف أو تشوهها بعد تعرضها للكسور نتيجة لسوء تجييرها فتدلك بهذا الزيت بطريقة معلومة ولمدة محدودة يقررها البصير .

(ب) زيت السمسم : فهو علاج للسعال عند شربه ولأمراض الجلدية عند مسحه وله استطببات اخرى .

(ج) السمن البقري : وهو ترياق لعل شتى في مفهوم الزغاوة ويدخل في علاج امراض الجهاز الهضمي المزمنة والالتهاب الرئوي والربو الشعبي "الأزمة- التتك" وفي حالات السعال عند الأطفال كما يستخدم وسيطاً لصنع لبخات لمسحها على الجسم في الأمراض الجلدية كالجرب إضافة إلى إستخدامه كدهان للشعر للوقاية من القشرة . وهذا قليل من كثير من أوجه إستعمال السمن البقري اما الزبدة والمعروفة بالفرصة تعطى الأطفال الرضع كملين .

#### 4) عسل النحل :

قال تعالى في سورة النحل "وأوحى ربك إلى النحل أن إتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فأسلكي سبل ربك يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون (69) صدق الله العظيم.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الشفاء فى ثلاث : شربة عسل وشرطة محجم وكية نار وانا أنهى أمتي عن الكي ". وفي حديث آخر : " عليكم بالشفائين العسل والقرآن " وفي حديث ثالث : " إن كان في شئ من اوبئكم خير ففي شرطة محجم أو شربة من عسل أو لزعة بقار تراقق داء وما أحب أن اکتوى " صدق رسول الله.

يستعمل العسل لأمراض الجهاز التنفسي كنزلات البرد والزكام والسعال بأنواعه وأمراض الرئة وايضا يستعمل في أمراض الجهاز الهضمي لعلاج زيادة الحموضة "الحيرقان" وأمراض الكبد "اليرقان" ويستعمل في حالات إسهال الأطفال والدوستناريا عند الكبار كما يستخدمونه أيضاً في حالات الضعف والوهن ويعطى للمريض في طور النقاهة من الأمراض المزمنة لفتح الشهية للطعام . ونلاحظ أن العسل في كل هذه الحالات - يقدم للمريض بصورته المصفى الخالي من الشمع وبقية عناصره الأخرى.

#### 5) الدسوسة :

وهي الطريقة التي يلبس المصاب بالحمى المجهولة جلد خروف او عجل فور سلقه حيث يدثر به كل جسمه مع عدم تعرضه لأي تيار هواء مباشر لمدة تتراوح بين ست إلى اثنتي عشر ساعة .

#### العلاج الشعبي للأمراض العقلية

كما سبق أن أشرنا فى مقدمة هذا الباب إلى أن الإنسان عمل جاهداً لمعرفة مسببات أمراضه ولما لم يجد تفسيراً واضحاً عزاها إلى قوى خارجة عن بيئته المادية المحيطة به كالجِن والسحر والعين والحسد " العمل " والارواح الشريرة كأسباب لما

أصابته من عل وبحث العلاج لدى المعالجين التقليديين مثل الفكي والكجور وشيخات الزار والمعراقيين والمشعوذين والذين يدخل في وسطهم احياناً كثير من المحتالين والدجالين الذين كل همهم أن يبتزوا أموال البسطاء.

### أسباب الاضطرابات العقلية :

إنطلاقاً مما أشرنا إليه فإن مفهوم أفراد قبيلة الزغاوة لأسباب الأمراض العقلية

إنحصر في :

1- الشيطان : ويعتقد ان الشيطان "يضرب" شخصاً وغالباً هذا الشخص يكون صغيراً في السن وينتج عن ذلك نوبة الصرع المعروفة ويكون المريض بين النوبة والأخرى سليماً ويطلق عليه بالمشوطن . ومثل هذه الحالة يتم علاجها عن طريق الفكي "الفكي- Feki" بقرآءة القرآن " وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين إلا خساراً \* سورة الإسراء الآية 82 " . أو بالعزيمة أو بالتمائم والأحجبة . ويصرف الزغاوة على المعالج بسخاء وعادة يعطونه كمية من الماشية عند شفاء مريضهم .

2- الجن : يعتقد الزغاوة أن الجن يسبب الاضطرابات العقلية المزمنة التي تتصف بالسلوك العدائي الشاذ وكثرة الكلام الفارغ أو السكوت المفاجئ . ويطلق على مثل هذا المريض بالمجنون . ويصعب علاج هذا المرض رغم محاولات ذويه بالصرف عليه وطرق أبواب شتى المعالجين التقليديين من الفكي إلى "العرافات" ومزارات الأولياء وأخيراً ينتهي بهم المطاف إلى تقييده بالأصفاد.

3- العَمَل "الطَّب" : والإعتقاد ان هذا ينتج من فعل كيدي يقوم به خصم المريض وعادة باستعانتة ببعض المشعوذين لجنب الضرر بأشكال مختلفة حسب مايتفق عليه، فيصاب المريض بالوهن والوساوس وفقدان الثقة بالنفس والأرق . ويقال في مثل هذا الشخص فيه "طب" أو عمل . ولا يمكن علاجه إلا بعد معرفة نوع العمل سواء أكان ذلك بعقد الحدايد او مريزط بحبل البتده "banda" وعندئذ يتمثل العلاج في تبطيل العمل عن طريق العرافة أو الساحر أو الفكي وتجدر الإشارة إلى ان كل هؤلاء المعالجين هم عادة من غير الزغاوة ويفدون إلى المنطقة لترويج سلعتهم .

4- العين : الاعتقاد السائد أن الإصابة بالعين تحدث من شخص حاسد يتميز بمقدرة ان بإمكانه إختراق الأجسام عن طريق النظرة التي تترك ضرراً بليغاً أينما وجه بصره إليه بنية سيئة . وهناك قصص من تراث الزغاوة وينكر فيها بعض الأشخاص الذين كان الناس يفقدون نظرهم لاتقاء أنفسهم وماشيتهم شر اعينهم . ويطلق على صاحب العين "بالسحار" و يعرف المصاب بالمعيون. ويعتقد أن حدة العين تكون على أشدها في الصباح الباكر وقبل أن يتناول السحار طعام الإفطار "على الريق". ومن أساليب العلاج ريق السحار " بصاقه" ، يمزج بالماء ويعطى للمعيون إنساناً كان أو حيواناً فيشفى.

5- القسم بالزور: الاعتقاد هنا أن بعض الأمراض العظمية نتاج حلف اليمين بالزور سواء أكان هذا الحلف بالمصحف الشريف أو بغيرها كالصاغة والأوثان مثل الجبال والاشجار والآبار أو الأسلحة او الحلف بالتسمم من الطعام . والمريض بفعل حلف الزور يعاني عادة من تعاسة الحظ وسوء التوفيق في أموره الحياتية إضافة إلى الأسقام والعلل التي تلازمه وتقعه أحياناً وقد ينتقل سوء الطالع إلى نريته وماله . ويتمثل أسلوب علاجه في تقديم القرابين والندور مع إبداء الندم والتوبة وهذا بالضرورة يزيل حلف اليمين زوراً حسب ما يعتقد فيشفي .

6- الدعاء: ويعتقد هنا أن المريض قد أصيب بالدعاء عليه لفعل شنيع أقدم عليه وتتحصر أنواع الدعاء في هذه الحالات في الدعاء على شخص بإبتلائه بشر يصيبه من الصاغة والآبار وفي هذه الأخيرة تسبفها طفوس وثنية او سحرية . و يعترى مثل هذا الشخص من العلل وسوء الطالع في شخصه وأهله وماله ولا يتم العلاج إلا برد حقوق من ظلمهم او حصوله على عفوهم مع تقديم القرابين والندور والاستعانة بالمعالجين التقليديين كالعرافات والمعرقيين والسحرة والفكي.

#### أساليب الوقاية من المرض عند الزغاوة:

عرف الزغاوة منذ القدم ان بعض الأمراض مثل الجدري والسل الرنوي والسحائي والحمى الراجعة والسعال الديكي عند الأطفال معدية وينبغي أخذ الحيطة والحذر

بالابتعاد عن المصابين بها . ويسمح فقط للأشخاص الذين أصيبوا بها من قبل ثم شفوا منها "العتيق" بالقيام بالتمريض والعناية بالمريض .

ويعزل المصاب بالجذري خاصة في بيت منعزل يبني غرب القرية وعلى مسافة لاتقل عن الكيلو متر ، ويكلف شخص عتيق لكي يعنى به حتى يشفى او يقضى نحبه . وفى كلتا الحالتين يتم حرق ذلك البيت وما احتوى عليه . اما بالنسبة لبقية الأمراض السالفة الذكر فيطلب من نوى المصاب أن يحدوا من تحركات المريض خارج دارهم وعدم الاختلاط بالناس أو مشاركتهم في الأكل والشرب .

كما يحرصون على عدم تناول لحوم او البان المواشي المصابة ببعض الأمراض الفتاكة حيث يحرقون بقاياها او يدفنونها .

أما في الأمراض غير المعدية فيكتفون بغلي ألبانها عند الشرب وتعريض لحومها على النار وعدم تناول بعض أجزائها مثل الكبد والطحال والرنيتين . ومن محاسن عاداتهم دفن الغائط اذا ما قضى احد حاجته في الخلاء . ونجد أنهم يتبعون اساليب مماثلة للوقاية من الأمراض يطبقونها على ماشيتهم من أبقار وابل واغنام وخيول . ويستثنى من ذلك عدم المامهم بما قد ينتج من تلوث مياه الشرب في البرك والرهود حيث كنا نجد الانسان يشارك ماشيته في ماء شربه من نفس المصدر ولاسيما عند انحسار مياه البرك والرهود اذ تتلوث المياه بروث وبول الحيوانات في نهاية الخريف وقبل الشروع في حفر الآبار . ولطنا نعزي ذلك لعدم وجود البديل وضيق الامكانيات.

## الفصل السابع : القصة والأمثال الشعبية عند الزغاوة

مقدمة :

التراث الشعبي لقبيلة الزغاوة حافل بفنون القصة والأمثال الشعبية وتشتمل على الأحاجي وأقاصيص البطولة والغرام وأقاصيص السفر والمغامرات إضافة الى الطرفة والفكاهة واللغز . أما الأمثال الشعبية تتعدد مراميها واغراضها في قوالب إبداعية تجمع

بين الافادة والمتعة والخيال والتجريد ، وتشكل في ذات الوقت إبداعاً فكرياً وأداة تربوية تتم عن الرقي في الطرح والمعالجة .

### القصة الشعبية :

الأحاجي أو القصص الشعبية عند الزغاوة شاملة وتحتوي على كل الفنون المعروفة من حيث اعتمادها على الأسطورة والخرافة والتي تدور القصة فيها حول الجن والعفاريت والبعايت وبعض الحيوانات كالأسد والثعبان وغيرها ، فهي تجلب السعادة أو الشقاء للشخصية محور القصة . وجدير بالإشارة هنا أن الحجوة عند الزغاوة تتخذ من وادي سبراء (وادي عرييب) مسرحاً في اغلب الاحيان لوعورة هذا الوادي ولوجود الغابات الكثيفة التي تشكل حظيرة طبيعية للحيوانات الوحشية وللاعتقاد السائد عند الزغاوة أن الجن يتخذ وادي سبراء مرتعاً ومسكناً له.

والحجوة عند الزغاوة نوعان : قصيرة وتدور القصة فيها حول لغز أو مسألة صعبة وتبدأ بعبارة (حجيتك مابجيتك) وفيها يحاجي المرء غيره ويتحدها ويتطلب منه الجواب . وطويلة هي العبارة عن الحكايات التي تسترسل في السرد.

### الأحلي الطويلة :

وينسب الزغاوة هذه القصص الى الجدات او الحيويات ويسمونها "أوبوتي " Oubotei اي قصص الجدات ، وذلك لان الجدة عادة لها حصيلة وافرة من القصص والحكايات المتنوعة والشيقة المتواترة التي ترويها لأحفادها الصغار بعد وجبة العشاء حين يجلسون حولها ويصغون إليها بشغف تلك القصص المفعمة بالطرافة والجدة والحزن والفرح والتي لاتخلو من المواقف المرحجة والدراماتيكية وأيضاً الكوميديية علاوة على القصص التاريخية والخرافية التي تغذي خيال الاطفال .

وقبل ان تبدأ الجدة في سرد القصة يردد الأطفال كلمة "ساسا" وتعني السكوت السكوت حتى يتمكن الجميع من سماعها بوضوح . ويتنوع موضوع القصة ، الا أنها تدور حول نوادر شخصية "نبيه" والتي تماثل شخصيات ود نفاش وام غلبونا في التراث القومي السوداني وشخصية جحا في الأدب العربي . ونبيه هذا رجل يفتعل البلاهة

والاستهبال" إلا أنه في واقع الأمر يتميز بالذكاء وسرعة البديهة وله المقدرة في إيفاع الناس في مآزق "عويصة" يصعب إيجاد مخرج منها . وكثيراً مايقع هو نفسه في مواقف محرجة ويكون في وضع لا يحسد عليه ولكنه يجيد استدرار عطف الناس . وهو بطل في نظر الأطفال المنتصر في كل الأحوال . وتتميز قصصه بالاثارة والتشويق وتكاد لاتكون لها نهاية فهي سلسلة متواصلة من الحلقات التي ما ان تنتهي واحدة حتى تبدأ أخرى وغالباً ما يكون لكل حلقة موضوع مختلف وتشبه في ذلك قصص ألف ليلة وليلة من الحوادث العجيبة والقصص الغريبة وال نوادر الفكاهية مما تحفز الأطفال على متابعتها والحرص على حضور باقي الطقات في ليلة لاحقة .

### الأحلي القصيرة(الألغاز):

وهذه تعتمد على الذكاء وسرعة البديهة وتشبه لحد كبير المطارحة الشعرية وفيها يمزج الراوي الخيال الشاطح مع الكذبة البيضاء المبالغ فيها ونمثل ذلك بالتالي :

التقى رجلان يسميان كاذب وكذاب فادعى كل منهما أنه يفوق صاحبه في الكذب والمبالغة . فدعا كذاب منافسه لزيارته في داره في وقت معلوم لكي يثبت له صحة إدعائه . فلما أتى كذاب في الموعد المحدد لم يجد في دار كاذب سوى ابنه الصغير . فدار بينهما هذا الحديث :

كذاب: أين أبوك ياولد؟

الطفل: إنه خرج لتوه إلى هناك - مشيراً بيده - لكي يزيل اعوجاج الطريق الملتوي لأن شخصاً مهماً سيزورنا اليوم- لعله أنت! و أوصاني ان تنتظره وسوف لن يتاخر عليك كثيراً.

كذاب: لقد تأخرت على أبيك لأن النار قد شبت في البحر منذ يوم أمس وتعبت في إطفائها لأنني كنت لوحدي حتى تمكنت من إخمادها .

الطفل : صدقت .. فقد رأيت البط والأوز تطير مسرعة من هنا وقد شبت النار في ريشها !

ثم طلب كذاب من الطفل ان يأتيه بالماء كي يشربه ، فدخل الولد في البيت وظل يتلأأ فيحرك الماء في (الزير) فيحدث صوتاً عالياً . فناداه : ماذا تفعل أليس في داركم ماء؟

فاجابه الطفل : إن في زيرنا مزيج من ماء أمس واليوم وانا بصدد فصلها لأعطيك ماء اليوم لتشربه !

وظفق الطفل يطرد ديكاً أبيض فقال له كذاب في استغراب : وما شأنك بهذا الديك تطرده وتثير علي الغبار؟ فرد عليه الطفل : انني اريد ان امسك به واحلبه لكي اصنع لك من لبنه "تسيه" ويعنى به الروب الممزوج بالماء!! وتعجب كذاب من الفتى فقال له وهو يودعه :

اذا كنت أنت هكذا فكيف يكون أبوك؟ اذا جاء كاذب فقل له انه "مش كاذب ويس انما شيخ الكضايب كافة، وانه كسب التحدي" ومضى في سبيله .

ويمكن ان يتنوع اللغز فيكون في صيغة سؤال يطلب فيه الراوي او السائل من الأطفال معرفة مرماه بالإجابة ، فيبدأ السائل بلفظة "ساسا" و التي تماثل حجيتك ما بجيتك عند عموم اهل السودان ثم يلقي بسؤاله على مستمعيه الذين شد انتباههم كأن يقول:

جوقيس كيقيس نوراي أقاني؟!

تراني غدياً وراحاً فمن انا؟!

وهنا يبدأ الصغار في ترديد ما يرونها الاجابة الصحيحة بينما ينفى صاحب اللغز صحتها حتى إذا اهتدى احدى الى الصواب "الباب" صفق له الجميع فرحين مهللين . وتستمر الجلسة المرحة وتتكرر الأسئلة ويسبح الصغار في خيالهم التجريدي للحصول على مرامي الالغاز التي يقدفهم بها الراوي الى ساعات متأخرة من ليلة الخميس من كل اسبوع لانشغال الاطفال في الليالي الاخرى بالدراسة في الخلوة او التفرغ لأنواع أخرى من الألعاب كالشليل وخلافها من أنماط اللهو البرئ لترجية الوقت . ومن الجدير بالتنويه ان الصورة التي أشرنا إليها كانت سائدة في حقبة تاريخية لم تكن المدارس النظامية

منتشرة في منطقة دار الزغاوة وبالطبع فإن النشاط والواجب المدرسي قد امتص بالتدريج الفراغ الذي كانت ليالي السمر تشغله ولم يبق وقت لما ذكرناه الا في نطاق محدود في القرى والبيوادي في العطلات السنوية للمدارس حيث يعود التلاميذ الى ذويهم .

الزغاوة وقصص البطولة :

نجد ان الزغاوة بجميع فروعها لها قصص محورها الأساسي سيرة بطل شجاع يخوض المعارك ويجندل الخصوم ويخرج منتصراً . ومن هذه القصص الملحمية قصة حقار هاروت عند زغاوة الكوي . پروي أن لحقار هذا قوة خارقة وشجاعة نادرة في مقارعة اعدائه والحاق الهزيمة بهم ، فصارت الحكايات عنده أساطير تناقلتها الاجيال وفيها نونت كثيرا من أخبار الحروب وسجلت أحداث تاريخية هامة . ويقول الرواة انه في آخر معركة شهدها وقتل فيها قد أحاطت به فصيلة حسنة التسليح من جيش سلطنة وداي وهو في نفر قليل من رجاله فحارب بشراسة تسنده قوة خارقة متمكناً من القضاء على معظم تلك الفصيلة . ثم تعب فلولها الهاربة حتى أصابه رمح طائش في أحشائه فخر صريعاً . فأتاه ابن أخت له محاولاً اخذه والانسحاب به الى مكان آمن لينقذ حياته فأبى حقار ذلك قائلاً ما الفرق بين مايسمى بالانسحاب والهرب فالموت في سبيل الحق شهادة وشرف ، سأسمح لك انت بسحب نفسك من المعركة ان اردت . فما كان من ابن اخته الا ان هجم على خصومه وابلى بلاء حسناً واستشهد هو الآخر .

اما حقار فقد لفظ انفاسه الأخيرة في ساحة القتال متأثراً بجراحه .

وبعد أن تاكد جيش وداي من موت حقار قدم قائدهم في معية ثلة من جنده وأمر بيقر بطن حقار واخراج قلبه ليفحصه لمعرفة تكوينه التشريحي ان كان يختلف من قلوب سائر البشر والذي قد يكون تفسيراً لشجاعته الفذة والقوة الخارقة اللتين كان يتميز بها حقار هاروت .

وتسترسل هذه القصة الملحمية ويستطرد الرواة قائلين بأن جنود وداي عندما اخرجوا قلبه لم يجدوا فيه المكونات الطبيعية للقلب بل رأوا قطعة من العظم ذات شعبتين . فأصابتهم الدهشة وداخلهم الخوف والرهبة فعادوا الفقهري واقلعوا عن اطماعهم

التوسعية في بلاد الكوبي . وهناك قصص أخرى في البطولة كقصص بحر دقلو وقصة احمد إبرة وأيضاً قصة سيرفوء. ويمكن اعتبار سير بعض همباتة الزغاوة أمثلة لقصص البطولة وإن إتخذت طابعاً مغايراً للصور التقليدية التي تعارفت عليها .

### الزغاوة والقصة الغرامية

إن مجتمع الزغاوة لا يخلو من القصص التي تصور شخصية المحب ومواقف الحب المفعمة بالعشق والغرام والوله والتضحية والعفاف والحرمان . وقد سجلت الأساطير شواهد من هذا القبيل .

### نوره قمرء

هذه القصة الغرامية التي ترد نكرها نابعة من التراث الشعبي لقبيلة الزغاوة ظل الناس يروونها بلهجتهم المحلية جيلاً بعد جيل . فهي قصة واقعية كان مسرح أحداثها قرية في منطقة الطينة حاضرة زغاوة الكوبي .

بطل هذه القصة يدعى حماد والبطلة قمرء بنت رجب . نشأ الاثنان وترعرا في قرية واحدة . وهما ينحدران من نفس العشيرة ولما شبا عن الطوق صار حماد فارساً قوياً شجاعاً يتحلى بمكارم الأخلاق ، مما جعلته محل إحترام أهالي القرية . ومن جانب آخر فقد كانت نوره قمرء فتاة غاية في الرقة والجمال ، كاملة الأوصاف فاصبحت محط أنظار شباب قريتها والقرى المجاورة ، مما حدى بكل منهم محاولة التودد إليها والتقرب منها علّه يظفر بحبها . ولكن نون جدوى فقد سبى قلبها حماد المتيم بحبها

حيث نشأت بينهما قصة قوية من الحب العنري والغرام المفعم بالعشق والوله . وصار حماد - من فرط تعلقه بمشوقته - يتغزل بها ويقول فيها الشعر ، مما حدى ببعض أفراد أسرتهما على تحذيره من مغبة التعرض لها واعتبروا اشعاره في بنتهم تشهيراً بها .

تقدم حماد طالباً يد نوره قمرء من أبيها الذي لم يبد حماساً كبيراً في الموافقة ، بل عمد على إقصائه من زمرة خطاب إبنته بان بالغ في حجم مهرها . ولما كانت عادة الزغاوة أننذ دفع المهور بالماشية فقد قرر رجب -والد نوره قمرء- أنه لن يقبل بشيء أقل من ستين بقرة . ولما كان حماد لا يملك الا جزءاً يسيراً منه حزن وساورته الشكوك

في نوايا والد محبوبته تجاهه . ولكنه لم يستسلم لليأس بل قرر امام هذا التعجيز ارتياد الصعاب والسفر الى الديار البعيدة بغية الحصول على مهر معشوقته . فأمتطى جواده وتمنطق سيفه ويم غرباً الى منطقة أتيا في السودان الفرنسي حيث اشتهر اهلها بتربية اصائل الإبقار والاتجار بها .

كان الطريق الى تلك المنطقة مخوفاً بالمخاطر ووعراً تقطنها السباع والوحوش الكاسرة . وترتاها عصابات من قطاع الطرق . وبالرغم مما قابلته من صعاب استطاع الوصول الى أتيا وتجرول في سوق الماشية فاستبدل مامعه من جمالٍ وحلي بالابقار . وكان البيع مجزياً إذ اكتسب سبعين رأساً منها ثم قفل راجعاً يشده الشوق والحنين إلى ديار أهله وحيبته . ولما بلغ مسيرة يومين اعترضت طريقه جماعة من قطاع الطرق وشهرت في وجهه السلاح فدارت معارك حامية الوطيس استخدم فيها حماد سيفه البتار وهو يضرب ذات اليمين وذات اليسار يصرع خصومه أينما إتجه . وفي خلال هذه المعركة التي أبلى فيها بلاءً حسناً كان لايفك يشو بشعره في حبيته نوره قمرء ويردد باستمرار عبارته "اكو نوره قمرء" التي كانت تمده بةوة خارقة وثبات متقطع النظير .

أسفرت المعركة عن انتصار حماد على العصابة التي أبيد معظم افرادها بينما فر الباقون بجراحهم . وفي هذه الأونة تدور شائعات عن مصيره يروجها منافسوه في خطوبة محبوبته ، اذ قاموا وقالوا ان حماد قد هلك في مجاهل وداي باري في غرب دارفور على أيد لصوص البقر . فحزت له نوره قمرء في حين ان والدها تنفس الصعداء وحسب ان خطته قد نجحت وان الوقت قد حان لينفذ ماكان ينوي من فعل تجاه تزويج ابنته من عامر ابن شيخ القرية والذي عرف بسعة رزقة وكثرة ماله عياله، ثم حدد موعد للخطوبة. هذا ماكان من امر اهل نوره وخطابها اما هي فما ان غمت ما يبيت لها أبوها حتى توسلت اليه الا يجبرها على الزواج من عامر الذي لم تكن تحبه يوماً . إلا أن أباه بقي على إصراره قائلاً ان البنت ليس لها رأي في مسائل الزواج ، وعليها ان تدعن إلى مايقرره لها نووها . وحيال هذا الموقف والمصير الذي ينتظرها جاهرت برفضها وآلت على نفسها ألا تلبس الطي والزينة وان تحرم نفسها من الطيب وألا تأخذ

من الطعام والشراب الا مايسد الرمق ، وجعلت تذرف الدمع مراراً وتأرقت فلم تجد للنوم طعاماً ونحل جسمها وشحب لونها . ولم تغد محاولات أمها وقربياتها من أن تعود الى رشدها بتناول الطعام وقبول الأمر الواقع . اما حماد فقد جمع أطرافه وساق أبقاره بعد المعركة وإتجه صوب الطينة . و وصل وداي أبو سنط حيث حط رحاله ليستجم من عناء السفر وجهد المعركة اللذين بلغا به أي مبلغ ، وترك أبقاره ترتع في مروج الوادي بينما غط هو في نوم عميق لم يوقظه منه إلا زئير الأسد وخوار أبقاره الفرعة المستتفرة فهب قائماً وركب جواده واستل سيفه وشهر رماحه وحمل على الوحش الذي كثر عن انيابه ثم أرغى وازبد فملأ الغابة رعباً وجلبة بعد أن تمكن من إفتراس إحدى تلك الأبقار ، فرماه بثلاثته رماح اصاب منه مقتلاً ، ثم ترجل عن سهوة جواده وعمل في الأسد ضرباً بالسيف وطعناً بحريته الكبيرة "الشكايبة" حتى مات ، فجمع حماد أبقاره واحصاها وقصد ديار أهله فرحاً يتوق إلى لقاء حبيبته وهو لايدري ماكان يدبر في غيابه.

ولما بلغ مشارف القرية لقي صبية فاعطموه أن كل شئ في القرية على مايرام وأن نوره قمرء ستترف إلى عامر في ذلك اليوم ، فصعقته الاخبار الا انه تجلد وتذرع بالصبر وواصل سيره حتى وصل ساحة القرية وغبار أبقاره تحجب الشمس المائلة الى للغروب.

انفتحت المجتمعون ولما رأوا قطيع البقر ومن ورائه حماد - سادهم الوجوم والدهشة ولم يفو بعضهم على البقاء فنفرقوا إلى منازلهم وقراهم من شدة الحرج بينما أوما حماد عليهم بالتحية ومر مسرعاً إلى دار أهله الذين إستقبلوه بمشاعر مفعمة بالفرح والحزن في آنٍ واحدٍ فأووه وأزروه محاولين التقليل من حدة الصدمة التي ألمت به .

لم يستسلم حماد للأمر الذي فرضه عليه آل محبوبته بالرغم ماكان يحسها من مرارة وكآبة وحرمان والتي جعلته يهيم على وجهه وقد براه الوجد والهيام وكانت اشعاره الملاذ و الهرب من شجونه وهمه وغمه ، ويقضي الليالي الطوال يعزف على آلة الكوربي (الكردينق) ويغني بمحاسن معشوقته نوره قمرء ويندب حظه ويوبخ من سعوا

في شقائه من أسرة حبيبتة بينما يهجو عامراً مر الهجاء ويتوعده اذا لم يفسخ خطوبته المزعومة .

كانت الليالي التي يأرق فيها حماد بمثابة متتدى لبعض شباب القرية من الجنسين يشاطرونه بالإصغاء اليه والسهر معه وتنقل الفتيات مضامين شعره وغناؤه الى نوره التي صارت حبيسة في دارها اذ فرضت عليها الرقابة ومنعت من الخروج من المنزل إلا أنها كانت تغلت أحياناً من عين الرقيب وتلتقي بفتاها حماد فيتاجيان ويبث كل منهما الآخر شجونه بينما ينقل كل منهما للآخر إصراره والتزامه بالوفاء وامل اللقياء في نهاية المطاف في بيت زوجية رضي الأهلون بها أم أبوا .

راجت أقاويل في هذه الأثناء في القرية أن العاشقين جعلا يلتقيان خلسة . وعمد المروجون للشائعات في تأجيج نار الفتنة . وتناقلت إلى مسامع عامر تلك الأقاويل مفخمة فاستشاط غضباً واتخذ من حماد موقف الخصم الذي يهدر دمه في عرف الزغاوة ويطلق عليه "بون - Bonn" وهو المنافس الذي يحرض ويغرر بخطيبة غيره ، ويلزم الأخذ بالتأثر منه على يدي أي فرد من أهل الخطيب.

تمر الأيام وتلوها الليالي وتتأزم العلاقة بين ذوي حماد وعامر . وتسود حرب باردة بين الطرفين وتصل الخصومة قمتهما في ثاني أيام عيد الفطر المبارك . وخلال الإحتفال التقليدي لأهالي قرى المنطقة يتقابل حماد وعامر كلاهما في معية أقربائه وخصائه من الأصدقاء في طبة رقص الفتيات ، فيتأبط عامر شراً ويباغت حماد بضربة من سيفه إلا أن الأخير لم يخترق سيف جسمه الذي زعم انه كان موقى بالأحجية والتمايم ، فيلتفت حماد نون أن يفلت منه عامر فيسد له عدة طعنات من سكينه . وتوسعت دائرة المشاركة بمشاركة أهل الطرفين . وحمي الوطيس واختلط الحابل بالنابل وساد المكان الهرج والمرج ولم يعد الناس إلى رشدهم وفض الشجار الا بعد تدخل زعيم العشيرة بحراسه المدججين بالسلاح .

اخذ المصابون الى خلوة القرية وجلب لهم البصير لمعالجة جراحهم بينما اعتقل المشاركون في المعركة الى بيت زعيم العشيرة وظلوا فيه حتى كتب الشفاء للجرحى ،

فشكّلت محكمة اهلية من الاجاويد لفض النزاع على العرف السائد ، واسفرت المحاكمة عن تغريم كل من عامر وحمام بقرّة وافرج عن المعتقلين .

ولما رأى والد نوره قمرء ماوصلت إليه الامور من اقتتال وتنافر من جهة ورفض ابنته واصرارها على عدم الموافقة على الزواج من عامر من جهة أخرى استدعى عشيرته الاقربين واسرة عامر في حضور ابنته ليبلغهم قراره القاضي بفسخ خطوبة عامر من نوره درءاً للمشاكل التي افسدت حياة القرية العامرة . ونزولاً على رغبة ابنته التي لم توافق قط على عامر . وفي نفس الوقت طلب منها ان تمنحه حق التصرف فيها مقابل فسخه لهذه الخطوبة . فوافقت في غمرة سعادتها وهي تكاد لاتصدق نفسها هذا التحول المفاجئ في أييها . لكنها لم تكن تدري ماوراء تلك التحول ومايضمرة لها أبوها .

وكان من الحضور من الناس بين مصدق ومكذب حتى اذا فرغ رجب من فسخ تلك الخطبة انبرى الى نوره قمرء قائلاً: " بنيّتي انني قد حققت لك ماكنت ترغين حيال رفضك لعامر . . ولكنني أقسمت الا اسمح لك بالزواج من حمام أيضاً ، فأختاري ممن تشائين بعلاً لك " .

ووقعت هذه الكلمات في نفس نوره قمرء وقع الصاعقة فأغمى عليها . كذلك ساءت حالة حمام النفسية فعاشا في حرمان تام . وقيل أنهما كانا يلتقيان من وقت لآخر يندبان حظهما العائر ويشكوان قسوة "رجب" الذي وأد حبهما وقد تركا كثيراً من الاشعار والأغاني وأصبحت سيرتهما الذاتية تشبه الى حد كبير مجنون ليلي ومافتى أفراد القبيلة يتناقلونها جيلاً بعد جيل .

### الزغاوة والأمثال الشعبية

تكثر الأمثال الشعبية في تراث الزغاوة وتتنوع بتباين الظروف الحياتية . ومحاولة تعريبها وترجمتها تفقدها الكثير من رونقها وحلاوتها علاوة على ضياع فصاحتها الخاصة وأسلوبها المميز . ونورد هنا بعض النماذج عنها:

1. دي تارى مان كاقاي ( تجمع الحمل على رأس الراحلة ) المعنى ( بلغ السيل الزبي )

2. دي تاقو كو ايررو ( الجمل مايشوف عوجة رقبتو ) ( لايرى المرء عيوبه )
3. دار دار كينودونق .. سوموني قو جاقينو سييري ( دار ولادارك .. أرنب تاكل عيالك) ويعني (لايشعر المرء بمكانته وعزته إلا في وطنه)
4. تاميسي سينا تابارو (العين لاتعلى على الحاجب) أي يستحيل لمس الأنف باللسان.
5. أقو كوييري باقو حيرو ( ربط الخشم ما تفكو اليد) أي الربط بالكلام أقوى من الوثاق بالحبل .
6. بي ييري ديرقي سييري ( المعزة المفارقة للمراح كثيرة الثغاء) أي نادم من فارق الجماعة .
7. دي تينونق بوي نيري.. بيبه تينونق كبري نيري ، ويعني (حال معدوم الراحة كحال العازب).
8. تايني تاسيرو (لايمكن إعادة الشباب بعد الكبر) أو (هل يصلح العطار ما أفسده الدهر).
9. كينو او كيري دي (جرادة في الكف ولا ألف طائر) أي (شيئ خير من لاشيئ)
10. أيه كيديرو تيراء .. أوء دار كوفيني (إلزم حدودك في ديار الآخرين).
11. بيي قينو دي ورنيفيني .. بيفينو تيه كير يرا اكينو (مد رجلك على قدر لحافك).
12. بوني بيونق .. بوء هيري دور بويدي ديه (جئاً تعرفو ولا جئاً ماتعرفو !).
13. ايري تيني نيڤيرو .. كانيرو سوبقي .. تيني نيڤيدي ديه .. أي (أن تُنسى كاظماً للغيب خير من أن تصبح نادماً).
14. تبار تونق .. ديسنو (المابنحفو .. جدعو).
15. قير قيراء .. نسيرو (جعجة بدون طحين).

## الفصل الثامن

### الهمبنة عند الزغاوة

مقدمة :

لم تعثر على كلمة الهمبنة أو أي من اشتقاقاتها عند البحث عنها في معاجم اللغة العربية للتحقق من مصدرها ومعناها . لكنها اصطلاح يطلق على عمل يمتنه أفراد من المجتمع عرفوا بالهمباتة ، خرجوا عن المألوف واحترفوا المخاطرة بحياتهم وصولاً لأخذ مال الغير عنوة وغايته صياغة فكر اجتماعي فريد يحمل في طياته معان ومفاهيم شتى منها الرفض والثورة والتأثر والبطولة حيناً والتمرد على الظلم والحرمان أحياناً أخرى وخلاف ذلك من الدوافع والغايات .

والهمبنة تكاد ان تكون مؤسسة اجتماعية لها مفاهيمها واعرافها واخلاقياتها كما ولها آدابها وسلوكياتها المميزة . ولم تكن الهمبنة وليدة اليوم او محصورة عند قبيلة الزغاوة فحسب ولكنها وجدت عبر التاريخ عند القبائل البدوية المترحلة ولاسيما تلك التي تعنى بتربية الإبل (الجمال) . ففي تاريخ العرب في الجاهلية نرى شواهد للهمبنة من خلال دراستنا عن شعراء صعاليك العرب أمثال عروة بن الورد والشنفري وتأبط شراً وعمرو بن براق وسليك بن السلكة وخلافهم الذين ينتمون الى قبائل مختلفة جمع بينهم نمط حياتهم وفكرهم الاجتماعي المفعم بالثورة والرفض الذي كان يطق مضاجع الأغنياء والسادة فغلبت على شعرهم الطبيعة القتالية حيث يؤكدون فيه لزوم الحرب في سبيل الحياة الكريمة دون ذل أو ضيم.

ونجد الهمبنة منتشرة على نطاق السودان في قبائل الجلول والمهرية والعطيفات والكبابيش والكواهلة وقبائل رفاعة والبطاحين في البطانة (الطيب ود ضحية) والزغاوة والميدوب والزبادية وقبيلة التبوسا في منطقة كابويتا بالاستوائية وبعض قبائل شرق السودان والتي تعرف همبنتها - ان جاز التعبير - بالشفنة.

وحياة الهمبنة تتسم بالقساوة وشظف العيش ، محفوفة بالمخاطر وتشبه لحد كبير الصورة الدرامية لحياة راعي البقر (الكابوي) في الافلام الامريكية (الوسترن).

أما الخلفية الأسرية للهمباتة فتتباين تبين الأشخاص ، فنجد الكثير منهم ينحدرون من أسر ميسورة الحال بمقاييس بيئاتهم ومجتمعاتهم والقليل منهم من خلفية فقيرة محرومة . ومن الملاحظ أيضا ان الخلفية الثقافية لافراد البيئة التي ينتمي إليها الهمباتي عادة لا تنكر أو تعيب الهمبته بل تجدها مقبولة وإن نظرت إلى الفرد منها الذي يحترف الهمبته بنظرة إشفاق شديد خوفاً مما قد تعثره من عقبات ومخاطر، وما يتعرض له من مساءلات قانونية من قبل السلطات . وتعتبر الهمبته إحدى إفرازات المجتمع .

### آداب الهمبته وسلوكياتها :

من أهم سلوكيات الهمبته الالتزام بالعرف الذي يكاد ان يكون قانونا ويشمل هذا حفظ الأسرار وعدم الإقضاء بها ولو أدى ذلك إلى هلاكه . والذي يحيد عن هذا الإلتزام الاساسي يعرض نفسه الى تصفية جسدية والتأثر من نوبه مع ما يتبع ذلك من إهانة لسمعته وإلحاق العار بشخصه ومقاطعته . وهم شركاء بالتساوي فيما يحصلون عليه من مال عن طريق الهمبته وهناك مايشبه الضمان الاجتماعي يتكفل به الهمباتة برعاية أهل من يصاب منهم بالعجز أو يتعرض للسجن او الموت.

ومن آدابهم عدم التعرض لأموال القبائل المتاخمة لهم في السكن أو المستجيرة بهم مالم يكن ذلك انتقاما منهم لو شاية أضرت بهم من احد أفراد تلك القبائل المجاورة . ومما يترفعون عنها سرقة ماثية غير الإبل ويحرمون أنفسهم سرقة أمتعة او نفود . ومن اصول الهمبته نصره الضعيف والمظلوم واغاثة الملهوف والترفع عن السطو على المنازل . ومما يعتبرونها حلالا مستساغا بندقية "الحكومة " او جمال الهجانة "جمال ميري" ومن رفيع أخلاقياتهم الوفاء لرفقاء سلاحهم من الهمباتة الذين تأخوا معهم من قبائل أخرى على نطاق السودان .

وللهمباتة مايشبه الشفرة "كلمة السر" عند تخاطبهم مع بعضهم او عند تركهم وصية مع اهلهم لابلاغها لأحد رفاقهم. ومن سلوكياتهم ايضا المبالغة في الكرم والقدائية في الشجاعة . ويتم إلحاق المستجد من الهمباتة الى عصابته بعد اجتيازه اختبار قوة التحمل والشجاعة والصبر والصدق عوضا عن اجادة الرماية بشتى انواع الاسلحة

النارية من بنادق تقليدية الى البنادق الحديثة سريعة الطلقات "الأوتوماتيكية" مثل ال(جي م3) والكلاشنكوف والقنابل اليدوية والمدافع في السنين الأخيرة !  
مشاهير الهمبئة:

نود أن نشير هنا إلى أن الهمبئة عند الزغاوة تنتشر في نطاق ضيق وعند بعض الفروع لون الاخرى عكس مايشاع ويعتقده كثير من الناس - بصورة نمطية -حتى صارت سرقة الجمال كسمة مرادفة لكلمة الزغاوة . وهذا الموقف قد ألحق الضرر لكثير من الأبرياء لمجرد إنتمائهم لقبيلة الزغاوة عند اتهامهم بنهب الجمال ، وماقد يتبع ذلك من تأثير على مجريات العدالة حينما يصعب توفر الادلة الثبوتية والبيانات لدى السلطات القضائية .

وقد اشتهرت بعض الشخصيات من الزغاوة بالهمبئة فأصبحت سيرهم الذاتية اسطورية تقالقتها الالسن جيلا بعد جيل ومن هؤلاء عبد الكريم كرايو من فرع زغاوة البديات اذ روي انه كان يتمتع بمكارم الأخلاق ولاسيما الشجاعة وكان متمردا على السلطة الحاكمة في اواخر الثلاثينيات من هذا القرن حيث كان الانجليز يحكمون السودان ويطبّقون سياسة العصا الغليظة مع تنفيذهم قانون المناطق المغلقة على دار الزغاوة حيث كانت اولويات هذا القانون تجريد السكان من السلاح الناري وتعقب من يعتبرونهم مشبوهين والقبض عليهم واهانتهم وكراههم على الاعتراف باقتناء السلاح ثم إحضاره بأي ثمن في مدة زمنية وجيزة . فبرز عبد الكريم في تلك الأوتة كأحد الراضين لتلك السياسة الاستعمارية فجدد نفسه واخوانه ورفقاءه للاقتصاص والتأثر من السلطة الحاكمة آنذاك فولدت القساوة عنفا مقابلا فذاع صيت عبد الكريم كرايو فخاض معارك كثيرة اسفرت عن انتصاراته الباهرة . فعملت السلطات على القبض عليه لكنه لم يمكنهم إذ كان يفلت بدهاء شديد واستمرت الحرب سجالا بينهما حتى اسدل الزمان ستاراً عليه في معركة فاصلة وقع فيها عبد الكريم في الاسر بعد ان أبلى بلاء حسناً واخذ الى الفاشر وحكم عليه بالاعدام فتم شنقه في سجن خير خنفا في بداية الاربعينات من هذا القرن .

وتزامن ظهور عبد الكريم مع ذباغ صيت عبد العزيز الزغاوي في منطقة شرق دارفور في شريف كباشي . وكانت ثورة عبد العزيز موجهة ضد الإستعمار واتخذ طريق من الفاشر - ام كدادة- الابيض مسرحاً لعملياته القتالية . فكان يترصده السيارات الحكومية الناقلة للبوليس ومهمات الدولة نون المساس بممتلكات الأهالي او مركباتهم بسوء. وقد أزعجت حركته مضاجع الإنجليز في الفاشر مما حدا بهم الى ارسال قوة مسلحة من الشرطة تجوب منطقة نفوذ عبد العزيز فالتقت تلك القوة به فدارت معارك حامية الوطيس انتصر فيها عبد العزيز ولم ينج من القوة الا القليل من الرجال الذين فروا الى الفاشر . ثم أرسلت حملة ثلو اخرى حتى استشهد في احدى المعارك لتتطوي تلك الصفحة من تاريخ الهمبته المميزة.

ثم عادت الهمبته الى منحائها التقليدي بعد الاستقلال فبرز من الشخصيات هري ادريس من زغاوة انكا وعاصر خويجيل الجولي . فذاع صيته وانتشرت اخبار معاركه مع شرطة شمال دارفور الذين تمكنوا من مداهمة قريته صباحا وأردوه قتيلاً بعد معركة ضارية قيل ان زوجته كانت تقاتل معه.

أما بويو حسن من زغاوة البدايات قد دون حياته ومماته في أغنيات تميزت بالطرافة بجانب استقراؤها للأحداث ومنها دنو أجله ، فافترض ان منيته ستفترن بالهمبته من اجل التوق في حين ان صديقه إيربي "غضب" سيصرع في معركة نذيلة بسبب ولعه بالغنم ونهبها وهي امور يترفع عنها الهمبته . ومن سخريه القدر أن بويو حسن مات وهو في فراشه ميتة طبيعية بمنزله بقرية هلالية جنوب غربي كرنوي و يقول في إحدى أشعاره:-

إريقا بي جوريفو دوري      بويو حسن فا دي جوريفو دوري !

وهناك من ألقع عن ممارسة الهمبته نهائياً أيباً وتائباً ومنصهراً في المجتمع بعد صولات وجولات ، ومن هؤلاء آدم حفيظ من زغاوة قلا الذي كان آخر عهده بالهمبته عند هرويه من سجن السلطان بوسة في الطينة متجهاً إلى منطقة القصارف حتى وافته المنية في 1960.

ومما يروى عن الهمباتة من أخبار ان ابراهيم المنتمي لفرع زغاوة البدايات انه كان السبب المباشر لنزوح عرب الجلول من شرق تشاد ابان الاستعمار الفرنسي الى السودان . قيل انه كان في صفوف الحركة الوطنية ضد الاستعمار حينئذ فتوطدت صلته بسلطنة وداي التي درجته عقيدا على العرب الرحل الا ان المقام لم يطب له لمضايقة الفرنسيين له مما حدى به الى الهجرة للسودان في معية القبائل الرحل التي منها الجلول التي قويت علاقته بها بعد زواجه من احدى كريماتها واختار منطقة شمال دارفور مقراً له واقام قريته في مكان يقال له القوز وهو لايبعد كثيراً عن السريف . وظل العقيد ابراهيم الزغاوي حلقة وصل بين قبيلة الزغاوة وعرب الجلول ، وساعد في فض النزاعات القبلية التي كانت تنشأ من وقت لآخر بسبب المرعى وموارد المياه أو خلافها .

### الغناء والهمبته

لعبت الهمبته دوراً هاماً في إثراء أغنيات الحماسة فصارت كل منها تؤثر في الأخرى فتولد نوع من الالب الشعبي المميز الذي يمكن ان يطلق عليه مجازاً أدب الهمبته . وهذه الاغنيات هي المحرض الأول لعصابات الشباب ومجموعاتهم الرافضة مما تجعلهم يلتحقون بالهمباتة او الخطابطة كما يطلقها عليهم بعض الزغاوة كمنطوق غير فصيح او محرف لتعني الهمباتة.

ونجد اغنيات الهمبته في منطقة الزغاوة تتناول مواضيع عديدة منها الفخر والشجاعة ومكارم الأخلاق من كرم ونصرة الضعيف والجهر بالقول في وجه السلطة . كما تحت اغنياتهم على الترفع عما يشين سمعتهم او كل ما يخالف مبادئهم ومثلهم من فعل او قول . كما يشيرون الى ما اشتهر من بلاد واسواق كمراكز تجمع الهمباتة لبيع ماحصلوا عليها من جمال الكيري ، فمما يذكرونها من مناطق مثل تمبول(رفاعة) البطانة - الدمازين - أمبارد في شمال كردفان - مليط - المالحه - الجينية - مزبد- فوراوية - أتكا- باهاي في دارفور - وبارداباء في تشاد .

وعند وصول الهمبارة الى المن يحطون رحالهم للترويح عن أنفسهم والاستجمام في الأنادي (جمع انداية - Indaya) المنتشرة في بعض الأحياء حيث تقدم لهم النساء المريسة واللحم المشوي بالإضافة الى الترفيه بالغناء والرقص . كما يتسامرون ويتبارون بانشاد الشعر الشعبي المعروف بالدوبيت . وتدار قعدة الدوبيت على أصول ثابتة وعرف معلوم حيث تقوم شيخة الانداية بتوفير متطلبات الجلسة . وفي هذا الجو الرومانسي تجود قرائح الهمبارة فتصدح حناجرهم بعيون أشعارهم فيبدا أولهم بذكر مآثره وبطولاته ورفقاءه من الهمبارة ويصف شفة للعتامير والصحاري والتيه على ظهر ناقته او جملة البشاري "سبة الى الجمال الأصليلة عند قبيلة البشارين في شرق السودان" ثم تنتقل الكأس الى الذي يليه فيتغنى هو الآخر بالدوبيت ويصف محبوبته التي من أجلها يركب الصعاب كما يمدح صاحبات الاندايات في مناطق عدة ، ويتغزل بجمالهن وحسنهن .

ويمضي الليل وتدار كؤوس المريسة ويظل السهاري يشربون نون السكر فيغدقون بنات الانداية بالهدايا والنقود ومن ثم يشلون رحالهم و يتابعون سيرهم ليلا بعد ان افرغوا جيوبهم مما حوتها من نقود على المثل القائل "إصرف مافي الجيب يأتيك مافي الغيب"! أمثلة من دوبيت همبارة الزغاوة

تجدر الإشارة هنا بأننا أفردنا مساحة كبيرة لدوبيت الزغاوة في الفصل التاسع من هذا الباب وهو الخاص بالرقص والغناء عند الزغاوة ، لذلك نكتفي بنماذج من دوبيت همبارة الزغاوة:

#### 1- دوبيت زغاوة البدايات :

جير بو دام دام ، ديريني سوتو نيفي ، ديريني أوريرونيفي ديريني تورو نيفي ، بيفيني كوتوو أبو كسيربي بيرقي ، تاوري قيني تيفي ، حيرني قيني بييقوا جاقو ، سايناء قيني توي باي جاقى ، مجوير دانار تيفي.

\* الإنداية : مكن تباع فيه الخمور البلدية بواسطة نساء، وللإنداية نبتة هي صلحيتها.

الشرح:

يقول الهمباتي يصف جملة البشاري الذي يطاوعه في عملياته لما توثقت من رابطة الحب بينهما فيمشي الهونا متى ما أراد ذلك حتى لا يكاد يسمع وقع خطاه لأن أخفاه تطأ الثرى في خفة . ويعطف على جملة لأنه يضربه أحياناً بالسوط ليسرع وهذا يسبب للجمل هماً ومن جانب آخر انه يحمل عليه قرب الماء والزداد وكذلك بندقيته والجبانة اللازمة للقيام بهمبته الجمال . ويشفق على جملة - الذي يحبه كثيراً - لأنه لا يجد الوقت الكافي للأكل مما يضطره احياناً الى أكل الرسن ! ويقول إنه إتخذ من الخلاء سكناً له شأنه في ذلك شأن الهمبابة كما انه يترفع عن تناول الطعام او شرب الماء من منزل امرأة لاتحسن صنع الطعام (خمباء)!! لكنه يشرفه ان ينزل ضيفاً في دار المرأة "الفنجرية" التي تجود طبخ الأكل . وانه يتفاعل اذا ما اعترض طريقه نوع من السمريات.

## 2- دوبيت زغاوة الويقي :

تشير وقا حرامي شيفي ، تمباك توقوي كوقى ، دي نتيراقا توقوري ماني شيفي ، باء نتير اقا بيبق وياقو ، تولو بوري توقر كاروقا بيرقي باما قوري اوري كاروقا بيرقي ، جزاريقا انيبفو شيفو ، تيلي تيفا مال لوقو شيفو ، قوروقا شردي بيبه اينبي بيفي ، موسوبورقا تيني شراقي ديربي تاوقي ، قاضي فاكروسي باري بيربي ، أفنديقا قلم باري بيربي ، تاء ميبفا سجاني كاقاي ، دي كوريفا بوليس كاقاي، أيفا كلوقو تيفي سورقي ، جنينة أردا مارتاقا سوقبلي كينجا بيفلي ، دايقا تياريفي بويقي.

الشرح

في هذا الدوبيت مجموعة من آداب وسلوكيات الهمبابة يقول الهمباتي وهو يجز النم انه يعرف الحلال والحرام لكنه يتعاطى الحرام ويسف السعوط (التمباك) لكنه في نفس الوقت عفيف يترفع عن الرذائل كما أنه يحفظ حرمة جيرانه فلا يسرق جمالهم او يصيبهم بسوء ، انما يحميهم ويموت من اجلهم . ولايتعدى على اموال المستضعفين لكنه يجاهر بشربه للخمر ويأكل اللحم المشوي من المال المسروق "الكيري" ويفتخر

بذلك ويتحسر على القاضي الذي يقضي العمر في المشاكل والقضايا والأفندي ويقصد به كاتب المحكمة الذي يورقه هم تسجيلاته وتدوينه للقضايا . وعلى السجان الذي يسهر الليالي في الحراسة كما أنه يشفق على الشرطة الذين ما ان يسرق جمل الا وتابعوا اثر اللصوص ليواجهوا الاخطار . كل ماتقدم يعبر الهمباتي عن المكنون الانساني في نفسيته وربما شعوره بالذنب ، لكنه فجأة تعثره الحالة العدوانية في داخله فيحزم امتعته ويشد راحلته ويذهب الى الجنيحة وأرامتا لشراء ما يحتاج اليها لرحلة الهمبته الطويلة فيقوم - بتهديد صاحب المراح الذي تركه يرتعد خوفا وساق كل المراح وذهب لوجهة غير معروفة .

### 3- دوبيت همبته الزغاوة بالعربية الدارجة :

(أ) حوت ياجمل ده بلد الغرية ، بلد البعيد ، بلد الأم شقوق ، كمل لينا قرب المويه ، شراب المويه ما تتخلي ، ترمينا في بيار قصار ، مرة في تيفة ومرة في جدية مرة في ام المركوية . ابو اجلاً قصير خلاني مطر مع صوابه (نزوله) . الحي يقوم يودي خبرنا .

(ب) أمهات البنات للفغري كيف بابوه

والفقر زررنا دخلنا في الراكويه

لاجملاً سديس لاناقة مطوية

كركون سلاح ساكن جبال النوية

(ج) كنت ولدأ صغير قبضونا قضية الناقة

وجابونا الزنزانة ، الضابط قام ضرب القلم في سنو

قال لي أم الحوار ديل من وين ؟ يا ضابط نظرك كفاية

أم الحوار ديل من وادي كجا وغادي

(د) أمك سماكي حليلة ونحن سميناي حلليم

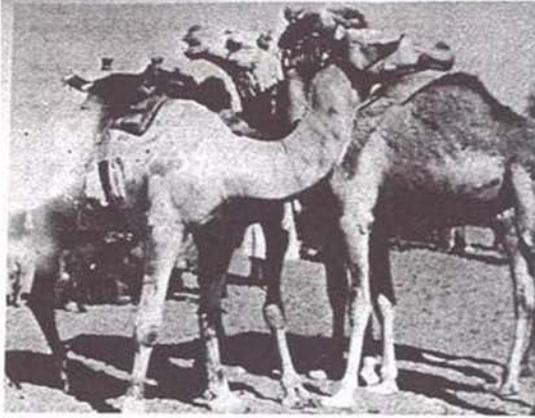
يا المشطوكي وكربو ليكي تمايم

ياقاش الخريف الأخضر وناعم

زي شجرة الفرنفل تحتو قامت معالم

يوم الذكروا إسمك في العالم مافي زول نايم

- هـ) من الدوبييت الذي يقوله الهمبارة في قعدة المريسة ، يقول احدهم يمدح المريسة :  
1- كاكرني ، كل صباح تحضرني .



\*الجمال الكيري كان محور الهمبارة  
في الماضي)

- 2- نمدم .. تشربو بكرة تندم.  
3- كاس كاسين أخير من ناسين.  
4- أديني كاس نلحق ناسي.  
5- الواطا اصبحت .. فقراء قاموا وصلوا ..  
نحن وأم الحسين قاعدين في بلد الحردلو ..  
وين ياالجمال ترتاح الخلق انقلو ..  
ك) والهمبارة يمدحون وسائل الكيف مثل التمباك والشاي قال احدهم يشكر التمباك  
"التابا" او الصعوط :

- 1- زُمُرْتُ الداخو يمرض أي ان التمباك يمرض من يذوقه أو يستافه  
2- راسا بلا كيف اريتو بالسيف  
3- السفه أحسن من بنات (... ) كافه

وقال آخر يمدح الشاي :

الشاي بالنعناع أخير من مَرّه بالقانفا ( أي ان الشاي بالنعناع أفضل من امرأة ووليدها .

فرد عليه جليسه الذي يوافقه الرأي :

لو شفت المره أم القانفا .. تنتش جرن النعناع !!

أي أنك اذا رأيت جمال المرأة التي تحمل وليدها فإنك سوف تحرق مخزن النعناع!

ل) أما هذا المقطع فيعتبر من عيون حردلو زغاوة البدايات لما فيه من لغة شعرية

ووصفية راقية بغض النظر عن موضوع الطرح الذي هو همبته الجمال والعركة التي

ثلثها قول الهمباتي انه خرج ليلا على جملة البشاري والرسن عروس يخاصرها وسلك

طريقاً يهابه الجبناء وساق مراحاً من الابل بالقوة وكانت البنادق ترعد لكنه لشجاعته

يعتبر رائحة البارود كالبخور الطيب ويفتخر بأنه لايهاب الموت وكالأسد يهجم ويكر

ولايفر أبداً . ويقول انه "اخو البنات " سيكسب المعركة

قيني هديديم بشاري باسور تيّي ، رسن تيني أوموراي كاييري بيقي

قاردي كويقو بيرو قوراقى ، بارو داي مراح هين بناري تيببيقي

مندوك باتوي اوقيني ، بارود ديرقوي أوري

ساو بوروي ايني جوغو ، سورا بورواي تاتو هتيفو

نبيه تيني كير يقينو كوني كيقى أسكورى داي



(\*التهب المسلح)

## التهب المسلح Armed Robbery

تعريف :

التهب المسلح هو أخذ ممتلكات الغير تحت تهديد السلاح وهو نوع من الإرهاب

. وقد اخذ هذا الاصطلاح طريقه الى وسائل الاعلام في السودان حديثاً . ولا يخفى ما

يحمله هذا المصطلح من حساسية وما يترتب عنه من نتائج لمن ينسب اليه هذا السلوك ، ولمن يقع فريسة له .

وفي الأونة الاخيرة أصبحت منطقة دار الزغاوة ضحية للنهب المسلح من ناحيتين : تارة تتعرض للنهب المباشر من قبل جماعات مسلحة تجوب البلاد وتبتطش بالمواطنين وتأخذ ماتشاء من ممتلكاتهم دون وازع او رادع . وتارة اخرى تكون المنطقة كلها في موضع إدانة وتجريم دون مراعاة القاعدة الفقهية الفائلة "المتهم برئ حتى تثبت إدانته" ، فتبتطش القوات النظامية بالأبرياء من سكانها . وعملت وسائل الإعلام المحلية على تهويل وتضخيم مسألة النهب المسلح في منطقة دارفور وجعلها ظاهرة واختلط الحابل بالنابل فصار تمييز بين فعل من اخذ القانون بيده وسمى نفسه رجل امن وبين من خرج عن القانون خروجا بينا مع اشهار السلاح في وجه قبائل المنطقة دون استثناء بغية السلب والنهب غير واضح .

والنهب المسلح لم يكن وليد اليوم بل كان سائدا في جميع أنحاء السودان منذ زمن ليس بالقصير وبصور مختلفة اخذ طابع قُطاع الطرق والتهريب تحت تهديد السلاح او الكسر المنزلي او الهمبته. لكنه لم يتعد حدود الحوادث الفردية . اما الموضوع الذي نحن بصددده الآن هو أنه حينما صارت ظاهرة النهب المسلح مستفحلة في اواخر عهد النظام المايوي.

#### أسباب النهب المسلح :-

نعتقد ان النهب المسلح - كظاهرة عظيمة الخطورة ومشكلة مستفحلة - لم يأت من فراغ ولارماد من غير نار ، نجل هنا هتا هاتيك الأسباب التي عملت بطريقة او اخرى على ظهورها وانتشارها:

- 1- ضعف اجهزة الأمن وفسادها .
- 2- الظلم الاجتماعي والسياسي.
- 3- التحولات البيئية من مجاعة وقحط.

4- تصفية حسابات قديمة ناتجة عن خلافات بين القبائل ونتيجة لهجرات الجماعات المتضررة الى مناطق اخرى بحثا عن الكأ والغذاء والماء على أساس ان السودان لكل السودانيين لكن سكان تلك المناطق لم يرحبوا بالقدامين الامر الذي يحدث احتكاكا ومصامات احيانا.

5- افرازات المشكلة التشادية : افرزت الحرب التشادية نوعا من العنف وتدفق اللاجئين الى مديرية دارفور المتاخمة لحدودها الشرقية وأصبحت امكانية الحصول على الاسلحة سهلا.

6- افرازات الحكم الاقليمي السلبية التي نتجت عنها انكفاء نار القبلية والفتنة وتطبيق مبدأ فرق تسد وتقريب وتفضيل بعض الفئات على حساب الاخرى وهي في مجملها محسوبة قبلية بغرضة وظاهرة شعبية حديثة خاصة في عهد.

7- وجود الفريسة والضحية متمثلة في العزل والمسالمين من المواطنين كأحد أركان الجريمة.

8- صعوبة ضبط الدخول الى السودان من الدول المجاورة الثمان وذلك لتراخي الحدود وضعف الرقابة وكانت عبارة شح الامكانيات ملاذا ومبررا لجميع من تعاقبوا على الحكم في السودان.

9- لم يضع البديل الفاعل للدلالة الاهلية عند تصفيتها مما أوجدت فجوة سحيقة بين سلطة المحاكم الشعبية القليلة الصلاحيات وبين الخارجيين عن القانون .

10- قيام مليشيات شعبية مسلحة في بعض مناطق السودان بعلم من الحكومة .

11- وجود جهات تذكي نار الفتنة والتناحر بين أفراد الشعب الواحد وتعمل في المياة العكرة وصولا الى مكاسب شخصية وذاتية ضيقة .

### تحديد الهوية :

ليس من اليسير تحديد هوية مرتادي النهب المسلح من حيث انتمائهم القبلي ومناطق سكناهم على وجه الدقة وذلك لأسباب عدة منها :

- 1- تباين قبائل من تم القبض عليهم أو من حكم عليهم.
- 2- اختلاف ما يتم نهبه أي أن بعضهم ينهب الماشية والبعض الآخر يتخصص في قطع الطريق للركاب المسافرين بالعربات وغيرهم ينهب قرى بكاملها بينما تنهب فصائل اخرى الأسواق !

فبالنسبة لدارفور نجد أن من ألقى القبض عليهم رهن التحقيق و أودعوا السجن بتهمة النهب المسلح ينتمون الى معظم قبائل دارفور الرئيسية . بمعنى آخر لا يصدق من يقول ان قبيلة بعينها هي المسئولة عن ظاهرة النهب المسلح ، فهذه النقطة الأخيرة جديرة بالاعتبار تفاديا للتشهير ببعض القبائل دون الاخرى وجعلها مستهدفة وفي موضع اتهام الأمر الذي يزيد من اضرام نار الفتنة واثارة النعرات القبلية في وقت يسعى السودان الى الوحدة الوطنية واحتواء الفرقة والشتات في اضيق نطاق .

أما الحل الجذري لهذه الظاهرة القديمة الجديدة فيمكن في علاج الأسباب قدر المستطاع مع إشاعة العدالة والمساواة مع توفير الأمن والطمأنينة على النطاق القومي والاقليمي وأشعار المواطن بوجود حكومة تمثله لتلبية متطلباته في الحياة الكريمة فتحفظ له حقوقه التي كفلها له الدستور في ظل الحكم الديمقراطي.

## الفصل التاسع

### الرقص والغناء عند الزغاوة

#### مقدمة

ان التراث الشعبي لقبيلة الزغاوة يذخر بشتى فنون الغناء والرقص . ويرتبط الرقص "هوناء Hoona" أو هولاء بمناسبات كالزواج والطهور والاعياد والحصاد واحيانا تقام الرقصات بدون مناسبة بعينها انما يستغلها الشباب للترويح عن النفس ولاسيما في سني الرخاء . ويصاحب الرقص الغناء الذي يضيف عليه النشوة والاثارة اضافة لما للايقاعات الموسيقية من أثر سحري يبعث الحماسة والبهجة في نفوس الراقصين والمشاهدين وما لها من تنظيم وضبط للحركات أثناء الرقص .

و الرقصات عند جميع فروع الزغاوة تتمثل في أن بعضها تأخذ الوثب "النط" سيلا لأدائها بينما تأخذ أخرى طابع الضرب بالأقدام على الأرض مع القفز في حين بعضها الآخر تجمع بين القفز والمشى بتؤدة تتخللها حركات التقدم للأمام والوثب للخلف وقد يصاحبها الجري البطيء في بعض الايفاعات حسبما تقتضيه رقصة بعينها . ونجد ان التصفيق الجماعي بالأيدي مع احداث أصوات طفيفة صادرة من طبقات صوتية مختلفة تعرف "بالطمبور -" Tamboor" والطمبارة يتحدثون أصواتاً جماعية عميقة لها رزم منظم يسمى "الكريير - kareer" والذي تصاحبه الصفقة دائما . ونجد في رقصات اخرى تجمع العديد من الخصائص التي ذكرناها .

أما الآلات الموسيقية فهي كثيرة ونجد النفارة الاكثر شيوعا وهي منتشرة عند كل فروع الزغاوة والنحاس وهو رمز السلطة لفرع القبيلة الحاكم ، والدنقر او الندر أو القانق قانق أداة موسيقية قلما تستعمل في حالات السلم اذ يقتصر استعماله كوسيلة اعلامية نذير للحرب وعظائم الامور "صفارة انداز" . وتلعب الصفارة "موري -mori" دور الناي وعادة تصنع من الفخار او قصب البوص بأشكال مختلفة وتحدث انغاما شجية تذهب بالألباب وكثيرا ما يعزف عليها رعاة الاغنام لتسلية ماشيتهم والترفيه عن أنفسهم من وعناء الرعي وطرداً للوحدة والوحشة.

### الكوربي (Kurbi) :

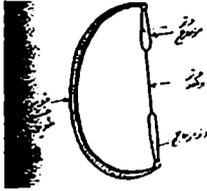
ويعرف عند الزغاوة بالكردنق أو الكرتنق وهي آلة موسيقية وترية تشبه الربابة ولها خمسة أوتار وتعزف بأصابع اليدين نون الإستعانة بريشة او معزف آخر ، ويغني عليها عند العزف على يدي المتيمن من العشاق . وقد برع نفر من زغاوة الكوربي بهذا الفن .

### أغاني الكوربي :

الكوربي كما تقدم - آلة موسيقية للعزف المنفرد - مصنوعة على نظام السلم الخماسي الذي يشتهر به الفن الغنائي السوداني وروعي فيه تدرج الأوتار من حيث الطول وشدة الأنغام الصادرة منها والتي يتحكم عليها العازف بمفاتيح مثبتة في القوس

المنحني . وتشتهر اغاني الكوري عند الزغاوة في مجملها بالقصر والايجاز وربما اقتصرت الاغنية على بيت شعر واحد ، لكنه بليغ وذو مغزى وتتطوي على الفصاحة والبلاغة ويكون البيت قابلا للتطوير باضافة مقاطع أخرى على نفس الشاكلة من حيث التفعيلة والوزن والموسيقى الداخلية وقد تشترك هذه المقاطع في كلمة واحدة تشكل قافية لها .

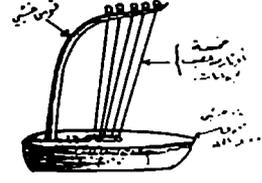
(\* انواع مختلفة من الكوري)



(3) كوري زغاوة البدايات



(2) كوري زغاوة الويفي



(1) كوري زغاوة الكوبي

هذه الاغنيات عبارة عن خلاصة لحكايات وقصص نابغة من التراث و اشارات موجزة تسلط الأضواء على تلك الموروثات الشعبية . وتمتاز أغانها بالتنوع والابداع الفني . اما الجمل الوسيقية فتمتاز بالبساطة والتكرار المحبب. وتتوقف جودة العزف والغناء على المطرب وطول نفسه وقدرته على تنويع النغمات وتطويعها حسب طبقاته الصوتية . كما تمتاز هذه الأغاني "بالكسرة" المعروفة في الغناء السوداني وهي الدخول في اغنية جديدة حالما تنتهي الاغنية السابقة دونما توقف او احداث ارباك او نشاز موسيقي او لحنى .

وتعتبر الكسرة فنا راقبا لايجيدها الا القليل من المطربين . ويحسن بنا ان نورد هنا بعضا من اغنيات الكريدينق الشهيرة لدى زغاوة الكوبي كأمثلة :

(1) هذه الاغنية غزلية يصف فيها العاشق محبوبته التي تستعجله في الزواج بالرقّة والجمال ويطلب اليها ان تمهله قليلاً حتى يتدبر أمره "يدبّر حاله" ! ويكمل استعداداته للعرس قائلاً:

تونو جوي جوي كيني كاباراء

|              |              |
|--------------|--------------|
| ميّنا أوسيني | تيفي تيفي    |
| ديرقن تاتو   | كيني كاباراء |
| ميّنا أوسيني | تيفي تيفي    |

مع التركيز على ترديد المصراع الثاني من البيت عدة مرات لتنتهي الأغنية عندها .  
(2) في هذه الأغنية يذكر فيها الشاعر اسم محبوبته كلتومة تواء واختها "حواء" اللتين اشارتا عليه بالمقبل في دار اهلها حتى تستطيعان رؤيته وتكرمه .. وبعد ذكر اسم المحبوبة من الأمور النادرة في اخلاقيات القبيلة حتى لايعتبر نوعاً من التشهير .

كلتومة تواقو كوسوقو حواقو

نارهوري جونوني

ككيري كيتوني

بيفيدي جانوني قوقيدي سينوني آري ويكنوني

نارهوري جونوني

(3) هذه الأغنية هجائية يصف فيها الشاعر صهر القبيلة "الكورقوراء" وكانت بينهما خصومه في حب احدي بنات تلك القبيلة التي فاز بقلبها المخاطب في الأغنية . ويعنف عليه القول ويحط من قدره بأنه يركب الحمار ويأكل الصمغ والبطيخ وهي من سفاسف الامور التي لايقدم عليها الرجال كما ويهزأ به جزاء لحيته غير المشذبة وبوجهه الذي يصفه بالقبح قائلاً :

كورقوراء ديبو جي كيسيري

آردي كوربيه نورقو سيري كتوري جي كيسيري

آدي كيديه كوندي جوباك كتوري جي كيسيري

أدي كويوك أورو سيرري كتوري جي كيسيري

تاء تتفاي توري جوقود كتوري جي كيسيري

(4) وهذه الأغنية قيلت في رثاء أحد الأبطال وكان زوجاً لحدى اميرات الزغاوة سقط في ساحة الوغى . وعاد رفيقه الذي نجا من الموت الى ديار اهله حزينا وهو يقود جواد القتل واراد ان يخبر اهله بالفاجعة . فألف قصيدة وطفق يغنيها بالكردينق ولما سمع الناس هذه "المناحة" عرفوا ماجرى فأجهشوا بالبكاء. وموسيقى هذه الأغنية حزينة وبإفحاح مأخوذ من المشية السريعة للحصان وهي تسمى بال"جركلة" او "جركيل" فقال :

نونقيني كرونقيني نقور كاري بتاكارو هنيقيني

نونقيني كرونقيني نقور كاري باردا كارو هنيقيني

نونقيني كرونقيني كوربونق كاري بتاكارو هنيقيني

دنقيني كرونقيني نقور كاري بيرم بورو هنيقيني

(5) هذه الأغنية ذات النفس القصير جداً يصف فيها المغني قرداً وأهم مافيها موسيقاها المستوحاة من الحركات التي يحدثها الفرد عند قفزه هنا وهناك :

توري دينقي جالوت                      منقو دينقي جالوت

جالوت جالوت جالوت جالوت

(6) هذه الأغنية تصف امرأة تدعى "كورون" وهي زوجة لرجل كسول لايصحو مبكراً ليذهب معها للعمل في حقلها . ففي أحد الأيام تركته نائماً وحملت أنوات الزراعة وسلقت دابتها وذهبت لوحدها للحقل . فلما استيقظ الرجل ولم يجد زوجته لام نفسه على كسله . والملاحظ ان موسيقا هذه الاغنية مأخوذة من مشية الشخص الذي يزيل الحشائش من الحقل .

كورن كيقيني أي نديقي .. كورن جيقيدي

دراي تبيري .. دميني كسيني .. أي نديقي

أردي كييري .. دميني تبييري .. أي نديقي

كورون حقيدي .. كورون جيفيدي

.. كورون جيفيدي

(7) وهذه الأغنية القصيرة يتساءل فيها المغني : من نصيب من تكون تلك الجميلة ؟

قني بورو تابی ناكيى !!؟

قني بورو ديريفينقي ناكيى !؟

### الشعر عند الزغاوة

بالنظر الى تلك الأمثلة التي سفناها والتي لا تمثل إلا إضاءة يسيرة في ديوان الشعر الشعبي لقبيلة الزغاوة نجد ان هذا الشعر الشفاهي المنقول جيلا عن جيل في صورته المتعددة ، المستوحاة من البيئة والمتمثلة في الاغنيات المختلفة والذبيبت والحداء والمناحة يشكل ركنا هاما من الموروث الشعبي . وشعر الزغاوة غير مدون ويمكن تصنيفه مع شعر الزجل والأهازيج . ونلاحظ احتواءه على كل أغراض الشعر العربي من غزل ونسيب ووصف ورتاء ومدح وهجاء وحماسة وهو أقرب ما يكون من الشعر العمودي المبني على العروض التي وضعها خليل بن أحمد الفراهيدي ، وضمن البحور قصيرة التفعيلة كالسريع والرجز والمضارع والمجتث والمتقارب ، وإن لم يكن .. فلا يخرج عن التفعيلة في معظم الأحوال . وشعر الزغاوة ارتبط ارتباطا وثيقا بالغناء المتعدد الصور كما يحفل بالكثير من الكوميديّة والتراجيديا ولا يوجد منحى من مناحي الحياة إلا ألم به واحتواه .

تسمى المرأة التي تحسن فن الغناء "تيني كوراء" او تيلي ايبراء وتعني المغنية ، وهي بالضرورة شاعرة ترتجل الاشعار وليدة اللحظة التي تتسجم مع الألحان المصاحبة للصفقة او الرقص في النقارة .

آلات موسيقية أخرى :

من الآلات الموسيقية عند الزغاوة " أم كيكي - Um-kiki" وهي آلة موسيقية تشبه الكمان "الكمنجة" الى حد كبير ، وتسمى أيضا "أم نيني - Um-Nini" وهي

تسمية مستوحاة من الأنغام التي تصدر منها . ونلاحظ ان كل الآلات الموسيقية تصنع محليا ويمواد أولية ماعدا النحاس التي تجلب من مصر والمغرب العربي . ونجد الفرعة Gara'a - نوع من الدفوف - وهي ثمرة لنبات متسلق وتذوق عليها وهي مملنة بالماء . والدلوكة - وهي نوع من الطبول - أخذت طريقها للمجتمعات الحضرية للزغاوة وافدة إليها من المدن وهي تحدث إيقاعات قوية وتستخدم في مناسبات الزواج والظهور وخلافهما من الأفراح . الجدير بالذكر ان الفرعة والدلوكة هما الألتان الموسيقيتان الوحيدتان التي تقوم "النساء" على العزف عليهما نون الرجال .

ومن الرقصات الشعبية عند الزغاوة والتي انتشرت على نطاق واسع واشتهرت هي : الجراري والحسيس والطمبور والطراوة والحجوري والاندان والفنائق والنحاس والنفارة والنوييت . والجدير بالذكر ان الخجولين من الراقصين والراقصات والذين تنقصهم الجرأة في الرقص نهارا يقيمون عليه ليلا وهذه الحالة تعرف عند زغوة الكوبي - ب-"Gini-Kabara" أي روعة الليل الذي يغطي الجبال !!!

### أنواع الرقص عند الزغاوة

(1) الجراري El Garrari: وأطلق عليها الجراري لما فيها من جر و تطويل لنهايات كلمات الأغاني وفيها يصطف الرجال ويزمجرون بالكرير والصفقة مع ضربة خفيفة بالقدم اليمنى على الأرض في أن واحد ، فيما تقف البنات يغنين في حلقة نصف دائرية تتقدم منهن بعض الحسان ناحية الشباب ليرقصن بصورهن ورؤسهن فيقترب احد الشباب من احدى الراقصات لياخذ منها الشبال فيبشر لها بأن يهز يده مع إحداث فرقعة السبابة وضرب الأرض برجله "سكة-Sakka" فتميل اليه الفتاة وتلامس بجذائل شعرها كتف الفتى . وبعد ذلك يرجع لرفاقه ليتابع الكرير في الوقت الذي تواصل فيه الفتاة الرقص . وتشير الى ان هذه

الأغاني التي تقال في الرقصات الشعبية هي المحرض الأول للشباب فتحسهم كثيرا كما رأينا ذلك في (الغناء والمهتبة). وتعتبر رقصة الجراري من أهم الرقصات اذ تتم فيها الضرب (الجدد) بالسوط لتسوية حسابات قديمة من جراء التناقص والتحدي بين شابين او مجموعات من قرى مختلفة . وظاهرة الجدد بالسوط معروفة في بعض المناطق من السودان كالمديرية الشمالية في كردفان تشتهر بها قبيلة البديرية وفي دارفور عند قبيلة الزيادية والبرتي والزغاوة (باستثناء الكويبي والبديات ) والبرقد (وهي أشهرها ) في منطقة غوربشي وفي مناطق اخرى مثل أم كدادة وودعة واللحيت وكتال وشنقل طوباوي ونيقة.

وفي الجراري يمر صاحب السوط المتحدي ويبشر للفتيات ثم يمر أمام الشبان وهو يختال ويمشي الهونا ويهز سوطه بشدة ويقف عند خصمه ويضرب الأرض برجله فيثير الغبار ثم يرمي السوط على الأرض وينظر اليه في ازراء واستفزاز ويسمعه بعض الكلمات الغابية كأن يقول له ( سلب ياكلب، او سلب يا حمار). وكل ذلك لكي ينجر لاستفزازه ويقبل التحدي ويوافق على خلع ملبسه استعداداً للجدد. أما إذا كان جباناً (أو عاقلاً) فإنه يتحاشاه و لا يخلع ملبسه، وبذلك يصير ذليلاً مكسور الخاطر مكسوفاً لا يجرؤ على التحلل الى البنات او كسب ودهن لأنهن سيحتقرنه ولا ترضاه اية واحدة منهن زوجا لأنه - في نظرهن - غير كفؤ وتهجه الفتيات بالاغاني فينتشر سوء سمعته بسرعة على نطاق المنطقة كلها ويلحقه العار ، كذلك يهجوهم رصفاؤه في سهراتهم وقعداتهم الخاصة . اما اذا كان المتحدي شجاعا وقبل التحدي فإنه يخلع (يسلب) ملبسه ماعدا السروال ويقف امام كل البنات والكل مابين مشفق عليه ومعجب به . وتمر لحظات الترقب وتتوتر الأعصاب حينما يمر المتحدي بكامل ملبسه وقد لف حول خصره وكففيه بالثوب على شكل "لام ألف" وهو يتبختر ويهز بسوطه ويبشر للبنات ، ويكون هو البادئ بالضرب. ويتفق المتحديان في عدد الضربات التي عادة

مانكون فردية (موقؤ-mougoe) وتبدأ من 3 أو 5 أو 7 أو 9. اما الأعداد الزوجية (أقي-agi) فنادرا ما يعمل بها باستثناء 4 و12.

ترغرد البنات لرفع معنويات "الجالد والمجلود!!" فينهال الأول بالجلد ضربة تلو أخرى بكل قوته مع الاكثار من حركاته الاستفزازية بغية جعله يتحرك من مكانه فيكون مهزوماً . لكن الثاني يقف كالجمود لاحركة فيه ولايرمش عينيه ويتحمل الضرب بشجاعة فائقة ، والدم ينزف من جسمه وهو لا يبالي . لأن الموقف الذي فيه موقف بطولة وكرامة له ولعشيرته . وللهمباتة الفدح المعلى في معظم الرقصات (اللبعات) لأن الهمباتي هو الفارس وهو الفدائي في نظرة المجتمع . وعند الإنتهاء من هذه العملية يتفق الطرفان على نظام الرد أو "التكفية" فقد يؤخذ الرد في نفس الوقت وفي ذات اللعبة او يؤجل الى موعد آخر وللطرفين الحق في تأجيله مرارا، فيقول الذى عليه الدين "دينك علينا" واذا تعذر عليه الوفاء بدينه في الموعد المحدد والاجل المسمى لظروف خارجة عن إرادته فيمكن أن يكفي عنه احد اقربائه فيجلد نيابة عنه. ويظل الدين قائما وان طالت المدة ولابد من رده مهما طال الزمن!

وكان من أشهر من برعوا في عملية الجلد آنذاك هذه على نطاق دار الزغاوة شخص يدعى عرجة قيرنو الذي كان مهاباً وهو أمير الجلد آنذاك وكذلك اخوه حقار والاخوين يوسف وعثمان نور ترايو وهم من زغاوة القلا (كرونوي) كان الشباب يخوشهم ولا يدخلون في تحد معهم .

## (2) رقصة الحسيس - Hasees

وينصب الغناء فيها على ذكر اسم المحبوبة والتعني بجمالها ورقتها ودلالها كذلك العشق ومتاعبه . ويكون الرقص فيها القزة "النط" لعدة مرات ثم التحول الى الكريز الخفيف. وهي من اللبعات التي تتخلها مظاهر الجلد بالسوط.

## (3) رقصة الطمبور - Tamboor

وتتكون من الكريز الثقيل (العسيق) مع الصففة والضرب بأقدام "الطمبار" على الأرض محدثين إيفاعات تتناسب والكريز ويتطلبها غناء الفتيات وتصفيقهن.

(4) رقصة الطراوة- Tarawa

وتمائل رقصة الطمبور ولها نفس سماتها مع اختلاف بسيط.

(5) رقصة الحجوري- Hajori

وتشمل كل أنواع النط أو القفز الثقيل منها والخفيف والمتوسط وتسمى "أرقيفة" عند زغاوة الكوبي والنط هنا يكون مع الصففة أو بدونها مع أحداث نغمات صوتية توافقية عند القفز تصدر من الرجال مثل هيا .. هيا وتكرارها مع كل قفزة أو سوا .. سوا اي معا .. معا وفيها يتقدم أحد الشبان قافزاً ناحية الفتيات المصطفات واللاتي يغنين ويصفقن حتى يصل أمام البنت التي يريد مراقبتها فتخرج اليه من وسط صاحباتها وتتقدم خطوة او خطوتين لتلعب معها وقد تراقص مجموعة من الاصدقاء فتاة واحدة في آن واحد .

(6) رقصة الأنو - Andow

وتعرف عند زغاوة الكوبي بال"ديبت - Debett" وتلعب بصورة جماعية يتماسك فيها الفتيان بالأيدي على الأكتاف ويقفون في صف واحد ، ويتقدمون الى الامام خطوة مع الضرب بالأقدام على الأرض والرجوع الى الخلف خطوة مع الضرب بالاقدام على الأرض مما يثير الغبار وترديد نغمة واحدة في كلتا الحالتين "أركب .. أركب .. سوي سوي" وتراقصهم فيها فتاة واحدة بينما تصدح المغنية بأعذب الألحان اغنية تذكر فيها أسماء مناطق عديدة وتمجدها وتردد بعدها جوقة الفتيات . وكانت من أشهر اغنيات الديبت هذه الأغنية التي مطلعها :-

" تورورو جوقي كول سونا سيفو .. بواكير جوقي كورو بورو ايري "

وتعني ان المغنية تحب شخصا من دار البديات وتريد الزواج منه لكن أهلها يريدون لها بعلأ من الكوبي وجدير بالذكر ان هذه الرقصة شبيهة برقصة "القطّة-Galta" المعروفة المنتشرة في دول الخليج والتي تقتصر على الرجال فقط دون النساء.

### (7) رقصة النحاس :

النحاس من مقتنيات رئيس القبيلة الذي هو زعيم العشيرة . والرقص فيها محصور لدى نساء وبنات الأسرة الحاكمة. و عند زغاوة الكوبي تلبس زوجات السلطان و زوجات "الأبو- Abbo \* زينة خاصة بهن - دون سائر النساء- تعرف بالمامور - mamoor. وهناك رقصة خاصة يؤديها "أولاد بيت السلطان " وتضرب فيها النحاس بنغمة خاصة يلعب فيها المشتركون جينة وذهابا في تودة وهم يحملون مراوح كبيرة من ريش النعام ذات مقابض خشبية طويلة . وتتم لعبة النحاس بحضور السلطان ووجهاء البلد لمشاهدتها . والضرب على النحاس هو من اختصاص موالى السلطان دون سائر الناس.

### (8) رقصة النقارة:

تسمى كل انواع الرقص التي تصاحبها النقارة بال"أنفلاق -anglang" والنقارة هي الأداة الاكثر انتشارا في أوساط فروع قبيلة الزغاوة . ويرقص فيها كل قطاعات وشرائح المجتمع دون استثناء، وليس هناك أية فروق من أي نوع. والضرب على النقارة دائما من اختصاص الحداحيد دون غيرهم . والنقارة اداة للتحريض تلهب المشاعر . واللعب فيها يكون على شكل دائري يتمركز الحدادي وسط الدائرة . ويراقص كل فتاة شابا جنبا الى جنب ، ويتاخر عنها الشاب احيانا ويتقدمها حيناً آخر أو يدور حولها في احابين آخر حسب لزوميات اللعبة وفنونها . الجدير بالذكر أن الفتاة التي لم تبلغ سن

الرشد لا تراقص الرجال عند زغاوة الكوبي والبديات لكنها تراقصهم عند بفية فروع الزغاوة . وتشتمل الأنفلاق على الرقصات الآتية :

- أ) جابوا البلد  
ب) سكة بنا ترييه  
ج) جمبو كايو  
د) كادا بقادا جورجار  
هـ) أيشي بيرويي توك  
و) الله كيدا كتاب الله جاكم  
ك) عرب ساروا

ومن رقصات زغاوة الكوبي ايضاً أبو صولو بونج وهي النط وتسمى أرقيفا ، ورقصة "جور -Joor" ويقال لمن يرقص فيها أنه "جور سييري" ، رقصة "ويت-wett" ويقال للراقص إنه "ويتي" . وهاتان الرقصتان جور و ويت يرقص فيهما الرجال وحدهم وهناك رقصة تسمى " أوريفو - Origo" للنساء فقط وخاصة النساء غير المرضعات او الحمل ويطلق عليهن الزغاوة "باهو بييري bago beeri" أما اللعبة الخاصة بالعرس والمصاحبة للنفارة فتسمى " بوربي -bourbei" وهناك رقصة هامة هي رقصة الطهور وتسمى "دنفيت - dengeet" ومن تشكيلاتها ايضاً أقيمي قيمي ، وكادا بقادا جور جار ، وأيرو بييرو كوقيري.

## (9) الفنقاتق والدنفير:

وهما طبلان كبيران تشبهان النفارة شكلاً لكنهما تتفران من جانب واحد والرقص فيهما محدود كما انهما غير منتشرتين على نطاق واسع لأنهما حكر على السلطة القبلية الحاكمة على الأرجح.

## دوبييت الزغاوة

الدوبييت هو ضرب من الغناء لا يتخلله الرقص أو اللعب من أي نوع وهو محصور عند الرجال عموماً كما أنه المحرض الأول للشباب لما يحمله من معان ووصف لمواقف بطولية مؤثرة . ويتضمن على الغزل والنسيب وفيه من الهمز واللمز

الكثير كما أنه لا يخلو أبداً من المدح والهجاء ومعظم أغراض الشعر . وهو الطريق المؤدي بالشباب الى الالتحاق بعصابات المهمبة ، لذلك نجد ان المهمباته هم أشهر من تغنوا بالدوبيت على مر الزمان . وفيه يصفون غزواتهم والطرق التي سلكوها والعتامير التي شفوها !!

وتبدأ مطارحة الدوبيت بالمقدمة المعروفة بالرمية وثليها المناظرة أو المجادعة من أحد المشتركين في الجلسة ويرد عليه الذي يليه او ينقسم المجتمعون الى طرفين متنافسين كل منهما يرد على الآخر وهكذا نواليك. ولاتصفو ليالي الدوبيت الا بقعدات المريسة والشاي ولمة البنات.

ونشير هنا الى عادة من عادات التحدي واختبار الشجاعة عند زغاوة الكوبي في الماضي وهي ظاهرة "التدقيم" بالسكين وهي اقدام الشباب على طعن أجزاء من اجسادهم بالسكين ، وذلك لكي يجرب كل واحد منهم الأحجية والمعلقات التي يلبسها في ذراعه او حول رقبتة في قعدات الأنس والسمر هذه وقد تلاثت الآن هذه العادة التي كانت تتم عندما يتحدى شابان او اكثر في ان ما يحملها من أحجية افضل مما لدى الآخرين وانها تصميه من طعن السلاح الأبيض والناري . ففي قعداتهم يستل احدهم سكيناً ويطن بها فخذة مثلاً فيما تزغرد له البنات فأن لم تجرحه السكين كان ظافراً يستحق تقدير المجتمعين والا كان في محل سخرية الجميع وإزدرائهم . ويعطي السكين الى الذي يليه وهكذا ، ولاتخلو هذه الجلسات من غناء ودوبيت.

وللزغاوة باع طويل في أدب الدوبيت الذي يتغنون به باللغة العربية الدارجة ولهجة الزغاوة على حد سواء.

نماذج من دوبيت فروع الزغاوة:

(1) دوبيت زغاوة الكوبي يعتبر من أقصر انواع النم والحردلو ويرسل دائماً بلهجتهم الخاصة. ويعتمد على أسلوب المطارحة المعروفة بالمجادعة او المحاوره ، كأن يقول  
لآخر :أ- جا (aga- )بمى أشرب.

(2) فيجيبه الثاني رافضاً: جاقو (أي لأشرب).

(3) الأول : نوديني جانو ؟(لماذا لا تشرب؟)

(4) الثاني : تومبوسي تتغيّفو .. بوركي قيرقوس.. قنيرا جوقوس ..ايبو اوبويبي أورقنيقي

جاقو!! ومعناها أن فتاة تدعى تمبوس تنقي رفضت الزواج ممن لا تحبه كما رفضت الرجوع الى القرية واعتصمت لذلك فإن المتحدث لا يريد أن يشرب تضامنا معها واشفاقا عليها .

(ب) والنموذج الثاني هو دوبييت الرعاة عندما يتقابلون ويتجادعون في شكل مطارحة سؤالية ورجز وما يشبه الأغاز ، ويبدأ الآخر أيضا بسؤال إمعانا في التحدي ومباهايا بسرعة في حل الأغاز ولكن يفهم من سؤاله الامامه التام باللغز :

الأول : دي آينو؟؟ أما رأيت الجمل؟!)

الثاني: دي تارادوء! (إنه ذو الرقبة)

الأول: تاراء ايمودوء؟! (ذات الرقبة ..النعامة)

الثاني : ايموء دي سويرادو؟! (النعامة ذات الرجلين؟!)

الأول: دي سويراء أودوء ا؟! (نو الرجلين هو الإنسان)

الثاني: أوء حويدوء؟! (الانسان ما هو ذكي؟!)

الأول: حوي ساقوردوء؟! (الذكي هو الثعلب؟!)

الثاني: ساقور جوراري جو؟! (الثعلب يعيش في الخيران؟!)

الأول: جينق ..جواء!! (موجود.. وغير موجود!!)

وبهذا الرد الفلسفي المبهم يختتم هذا الذي يحتاج الى سرعة البديهة والذكاء في الرد والمنطق في السرد المتسلسل. ولايلخو دوبييت الكوبي من التهمك والسخرية والهزاء الممزوج بالطرافة .

(2) دوبييت زغاوة الويقي (وهم الفروع - توار - قلا- أرتاج- أولاد دقيل- نيقيري) بلهجة

الزغاوة وهذه الفروع من أكثر الزغاوة قولاً للدوبييت سواء أكان بلغة الزغاوة او باللغة العربية الدارجة:

(أ) جبل مون يوقي ، جبل مرة يوقي ، جبل سي يوقي ، تونفي تانفا أومو بورّي بيقي

تيفي ، فاشر تيفلي (تدلتي ) بوتوشيرو ، هوقو بيفي ، كيريه كورسوري دوان بيفي ،  
 ككباية ابدونفو قيلي كيري قو باري، كوباي دايفوياري- كنيني ديه آردى أروي . دورقو  
 تيري ، ديفيري داي آيفي، نيا ماري تارما يري بيه كيتي أم بادر داي آيفي، سالوك  
 سيري آء جرري، معاليا دي آيفي، ماي بيري كيبييه تيفي يي . دونكي كوما يوقى، قوسا  
 جمد يوقى ،دونكي كوربا يوقى ، داي كيغيلي اوري شبيري، كوي بور حيساء كيتيو ،  
 ميفيسي بور جورو كيتيو .. (ديري تيفي ايري) وهذه عبارة الاختتام دائماً.  
 الشرح: يبدأ الدوياي او الحداي الدوييت بالمطلع العروف "الليلة هو" تم يذكر فيها  
 المناطق التي زارها مثل جبل مون ومرة وسي والفاشر وكبكاية ودار الكنين والميدوب  
 والمعاليا وام بادر ودونكي الكوما وقوسا جمد ودونكي كوربا ويذكر محاسن الابل  
 ويهجو الجبناء والكسالى .

ب) جبر قيم قيلي نوقى .. تي ماراي ايري قيفي

كومبوري بوي صعيد بيفي

سوراء دانداي ديرو بيفي

قوري بيه تيفي

نكتور حيمبا بيفي

هير لي باء شيرو بيه انقوي تيفي

مورجا ادليم يوقى

مورجا تويه سبسي يوقى

دي تيني اكييه بيري

جدعه قوا دانداي انوري ايري

تيني بيفي كاروقي

حماري اوي كيتي .. سابولي كيبييه كيتي

تندي ايا بيرو بيفي كورقي

خرتوم توتي راء يوقى .. قاضي دفتر تيفي

عسكري بوييه تربوش تيفي .. أفندي بوري قلم تيفي

نارساراء ماراء أو تيفي

الشرح : يقول الدويابي انه كثيرا ماسهر الليل وطال به السرى وأنه ذهب الى عدة مناطق لأغراض مختلفة منها همبته الجمال واحضارها الى دار محبوبته ليبرهن لها ولأما شجاعته ويختم دوبيته بالسفر الى الخرطوم ورأى من مشاهداته قاضيا في يده دفتر القضايا وعسكريا يلبس "كسكتة" وافنديا بيده القلم ونصارى (دلالة على وجود المستعمرين آنذاك) وهو هنا يصف الجانب القانوني فقط.

(3) دوبيت زغاوة البديات: مما هو جدير بالإشارة ان البديات هم أشعر فروع الزغاوة على الإطلاق . وقد صار دوبيتهم مختلطا بدوبيت زغاوة الويقي حتى أنه من الصعوبة ملاحظة الفرق بينهم وخاصة الحرللو الذي يغني بلهجة الزغاوة لولا فروق اللهجة ونورد هنا نماذج من دوبيتهم : يقول أحدهم:

أ) آدم نوقوم بورقا دايفو ساري تبارقي ، انجو بورقيني ايه جيري دارو أروقيني دارقو تيري، تارفو كيرياقيني جير بيبي، ناغو بيغيني تير بيبي، سيخ حنا ناقا دايفو ساري تبارقي ماي ييري قيني كيبه تيفي جيه ، هوقي تيني قيني تارو ورقة كيتي ، كاري تيني قيني تارو اورقة كيتي ، أراو مندي قيني بارو سوت كيتي، هورتا تيني قيني سينارو سومام كيتي.

الشرح:

يقول شاعر البديات وهو "بجر النم" في دوبيت يشبه الشعر الحديث يذكر فيه أوصاف حرائر الجمال في منطقتين من شمال دارفور ويذكر أصحابها بالإسم. فيذكر أولا رجلا غنياً من زغاوة البديات ويدعى آدم نوقوم اشتهرت ابله بالاصالة فيقول إنها حسنة الطلعة عيونها خضراء كعيون بعض طيور المنطقة متشحة جوانبها بالبياض شأن البشاريات وأوصاف اخرى كثيرة . كما يمدح نوق قبيلة أخرى موشمة الاذن مقطوعها ، على أرقابها التمام حيث يشبهها ببنت الفكى التى تلبس التمام ايضا مخافة العين والضراء . كما يشبههن ببنت قبيلة البرقو الحسنات . ويصف تلك الإبل ووشمها

"السوط" في أرجلها الأمامية كما الفتى وهو يحمل في يده السوط يتباهى به . ويختتم وصفه وتشبيهه لنوق الجلول (من رزيقات الشمال ) بأنهن كبنات الفرعان الفانقات الروعة والجمال وهن يلبسن الزمام في أنوفهن فيكسيهن حسنا على الحسن "أحسن المكمل".

(ب) ميرى تير كتيقا جوقي ، قوندا كتيقا كاس يوقي ، تارا كتيقا دريسة يوقي ، دونكي ابو لحاقا يوقي، دونكي كورباقا يوقي، اسكوناقا يوقي، او بيناقا يوقي ، تونا كونو تيني كورنوي ضاية أرد اماتجنة النساء ، كبكابي أبو دونفو ، فاشر تنتتي(تندلتي) مليط سوق كوما دونكي.. اوراو قيني سودري.. دايفو ساونى ام بادري ودبندا دم جمد تندلتي ، سونو قيني نهود ، تاري كيدي أبيض.

الشرح:

يذكر هنا أسماء المناطق والمدن التي ذهب إليها وهو "يشكرها" ويمدحها.

(4) دوبيت الزغاوة باللغة العربية الدارجة:

(أ) قال الشاعر اللويبي الدريس جنونة:

انت يا الجميلة ، عينك براق البطلع ، سنك ذهب الوقية ، جرجري لي تويك وصفى لي دامرتمك بي وين؟!

ويقول آخرون:

(ب) طلعت ثلاثة نجوم ، اتنين في الشرق والتالته في الخرطوم

وبن بت الزغوية القبيل جبدت مخدة ، قالت تنوم

حارقة قلبي وخلص سكن الخرطوم

(ج) يا أبوي شراب اللبن الكثير خليتو

ركبت الاثيفر ، للجام شكيتو

عكاز الخيزران فوق البنات هزيتو

سكين المكوكب بين الضلوع غزيتو

كان مت الحمد لله فرق الرجال سديتو

د) حرف الميم والنون معدل حرفو  
مكتوب بالحبر على شان البليد ما يعرفو  
كل صباحاً جديد جنيه معدل صرفه

ه) أنا جملي صغير قمه .. جريت الليل والنهار والله ما بتمه  
يوم قلعت السوط خليت حايم كيف الصغير في الرمه

و) تبعت لي رب بقى لي درين .. دربا البوديني بيتكم بي وين؟  
سلباتو فضة حتى الذهب روقين .. حراسينكم تمانية عجم حتى كلابكم اتين ابقى فريخ  
أبو درك أخش بلا كرعين !

ك) مرة برايا ومرة مع أخويا صابر .. يوم قرنا البكار داك سكتك  
وين أم سوقاط .. بتين نعود للبلد حتى البنات يطرونا  
واحديين بزوروا القّب .. واحدین بزوروا ناس طيمة  
لو سكرنا كمل .. نعبي حلبة ونشرب سليقة!

### (5) أغاني طمبور الطراوة :

للزغاوة الكثير من أغاني الطمبور التي تغنى في لعبة الطراوة ومعظمها تؤدي بلهجة  
الزغاوة ، لكن بعضها الآخر تغنى بالعربية الدارجة . وهذه الأغنيات وأحانها تكاد تكون  
القاسم المشترك للكثير من قبائل دارفور . ونلاحظ أن هذه الأغنيات تمتاز بالقصر  
والإيجاز مما يجعل من تكرارها ضرورة يسبغ عليها جمالية التطريب والتنغيم . نذكر  
بعض النماذج من تلك الأغاني:

أ) مرحيية سنك حليب الناقة .. طمباري من بلاد سكة بعيدة رقيه جرجري لي توبك  
خليك قمره يضاوي انت يالسمحة خليك فريد البنات  
ب) حسنيه ذهب كوره سنيه

- (ج) مرا تاجر تشيل اللمبة تتاجر .. نبقى مهاجر تشيل اللوحة نهار  
(د) كترة كوادر .. سنو كلام نوادر  
(هـ) نمشي لي خرطوم سكر المردوم .. نمشي لي سنار دلكة بالنوار  
(و) تيا تيا .. بيتهم بلا جنيه  
(ك) قربينا شايلين القرينا  
(ل) أم صدير سنك فضة وصافي .. أم خديداً ناعم صابون صلاحى  
(م) عاشه كبره كبابي جنب السفره  
(ن) سعديه بنية فنجرية  
(ي) لائلمسوا حرة لا تلمسوها.  
( \* إحدى رقصات الزغاوة )



# الباب الخامس

## تاريخ الكويت السياسي

الفصل الأول : شجرة نسب الأنقو

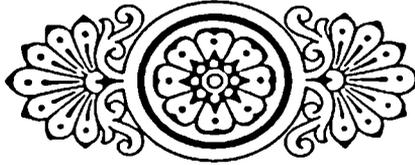
الفصل الثاني: تعاقب سلاطين الأنقو على حكم الكويت

الفصل الثالث: فرتي يطلب الحكم من وداي .

الفصل الرابع: الصراعات السياسية في تاريخ الكويت الحديث.

الفصل الخامس: الكبراء.

الفصل السادس: دور الزغاوة في الثورة التشادية.



## الفصل الأول : تاريخ الكوبي السياسي

مدخل:

إقتصر الباب الأول من هذه الدراسة على التعريف بفروع قبيلة الزغاوة وأصولها وهجراتها، كما كتبنا عرضاً تفصيلياً عن أقسامها وفرعاتها إلى فصائل وعشائر ويطون وفي هذا الباب نود أن نستعرض تاريخ زغاوة الكوبي السياسي من خلال دراستنا التفصيلية عن الأنقو. ومن الأسباب التي دفعتنا على التركيز عليه أن الأنقو هي الفصيلة الرئيسية في الكوبي ومنها انحدر البيت الحاكم الذي عاصر وعاش كل الأحداث التاريخية والتغيرات السياسية التي صاحبت تلك الأحداث، كما وأن هنالك دوافع أخرى منها:

1- أن دار الكوبي تقع في منطقة حدودية متميزة حيث أن قسماً الكوبي في تشاد والسودان تربطهما أوامر القرابة ومتداخلين رغم اختلاف أنظمة الحكم، في الوقت الذي لانجد مثل هذه الميزة لدى باقي فروع الزغاوة الأخرى باستثناء زغاوة البديات ، بالإضافة إلى وجود الحدود الجغرافية الوهمية.

2- نجد أن سلطنة الكوبي ظلت مستقلة عن مملكة وداي (في أبشي) وسلطنة الفور (في الفاشر) في أغلب الأحيان رغم تنافسهما في الاستحواذ عليها وضمها.

3- كانت منطقة الكوبي في تشاد والسودان محور صراع الإستعمار الفرنسي والبريطاني الذي أسفر عن تقسيمها إلى سلطنتين يفصلهما وادي الطينة.

4- إن الخلافات الداخلية للأسرة الحاكمة للأنقو كانت من العوامل الرئيسة لانحطاط الكم مما جعلت منها لقمة مستساغة لأطماع المستعمر الفرنسي الذي إستعان به القسم الآخر من الأنقو (التبويراء) في تصفية منافسيه من (الجيراء).

## الأنقو Ango

كما سبق أن أشرنا إلى أن الأنقو هي الفرع الرئيسي والحاكم لزغاوة الكوبي و تشمل إحدى عشر عشيرة ، كل منها تسمى نفسها منتسبة إلى منطقة بعينها في دار الكوبي ، والعشائر هي:

1. جيراء: نسبة لجبل جبيري ومنها البيت الحاكم في الطينة بالسودان.
2. مايكا سورا: نسبة لجبل مايكا سورا.
3. تبويراء: نسبة لجبل تبوي ومنها البيت الحاكم في هريباء بنشاد.
4. تريباراء: نسبة لبئر تريباء في تشاد.
5. تركة هاروت: نسبة إلى هاروت بن هلال .
6. إيناء كايراء: نسبة لإيناء كاري. و لفظة " إيناء كاري" بلهجة الزغاوة مستعملاً لهجة الكوبي تتكون من مقطعين : إيناء .. وتعني الحاكم أو الملك، وكاري معناها جاء. فاللفظة تعني جاء الملك كناية عن مولد الملك الذي طال إنتظاره.
7. كنفبي : يقال إنهم قرعان وذلك لأن جدتهم الاولى كانت من قبيلة القرعان أو من بديات الإرديبه. وكنفبي تتكون من مقطعين : كنفبي وتعني الشيخ وبي تعني البيت. والمعنى العام : بيت الشيخ إشارة إلى زعيم العشيرة وهو الشيخ.
8. كورقوراء: نسبة لجبل كورقوراء ويقال إنهم من أصل عربي.
9. نورسيراء: نسبة لجبل نورسي ماياراء شمال شرق هريباء.
10. جباديراء: نسبة لجبل جباد في أروياء.
11. ماي بيبه: و العبارة تعني بيت الحداد وهي كناية عن حدادي الأنقو



## أصل الأتقو:

يقول الإخباريون والرواة الموثوقون إن الإنحدار السلالي البعيد لزغاوة الأتقو تبدأ جذوره من أصل سلالي واحد ، وهو جدهم يعقوب المولود عام(1446) وإبنه يوسف الذي أنجب الفكي محمد داج في حوالي 1514م وترعرع في كنف أبيه ، وحينما أتت عوده هاجر إلى بلاد وُدّاي ودار مساليت طلبا للطعم . ومن ثم إلى مشايخ الفونج في عهد السلطنة الزرقاء (1504-1821) ، وتلمذ على أيديهم ويقال إنه التقى فرح ود تكتوك وحفظ القرآن الكريم ، وتعلم أصول الدين . وفي طريق عودته إلى دار الكوي مكث في منطقة الداو في دارسيلا (قوز بيضة) حيث نزل في ضيافة سلطان الداو من أسلاف السلطان مصطفى بخيت حيث أحاطه بكل مظاهر الحفاوة والاحترام وحسن الضيافة لما لمس فيه من مكارم الأخلاق وسعة المعرفة بأصول الدين الإسلامي . وبعد أن تعرف عليه وأقام صداقة معه زوجّه إحدى بناته ، فولد منها إبنة إدريس والذي حرف اسمه إلى دريسو وبنّت اسمها فاطمة حواء . ومكث معهم حيناً ثم رحل مخفياً زوجته وطفليه بين أهلهم . فوصل إلى قريضة في دارتاما ونزل عند سلطانها من أسلاف السلطان باروت الذي أكرم مثواه وأسكنه ثم زوجه (سلطان التاما) إبنته لما لمس فيه من تدين ومعرفة . فولدت له إبنة تامارقة . فطاب به المقام ولكنه لطول غيابه عن أهله وشدة الحنين إليهم أثار السفر إلى دار كوي على أمل ان يعود إليهم مرة أخرى . وعند قدومه إلى أهله اقيمت له الولائم واحتفي به . فقرروا ألا يبرح أرضهم مرة أخرى وذلك بتزويجه من إبنة حاكم الميراء (مِرّه) فانجبت له إبنة عبد الله - الذي شب وترعرع في كنف أبويه فصار فارساً مقداماً مما جعل أهله يطلقون عليه لقب "برو" الذي يعني الجري أو الجسور والذي غلب على اسمه الأصلي "عبد الله" وكان ذلك حوالي عام 1544 . ومن عبد الله هذا انحدر الأتقو ويمثل الجيل الرابع من حيث الإنحدار السلالي .

ومن خلال ماسردناه يتضح لنا أن أبناء الفكي محمد داج ثلاثة أولاد وبنات واحدة من أمهات ثلاث ، إلا ان رواية أخرى تضيف بأن الفكي محمد داج قد تزوج أيضاً من

إحدى بنات المساليت وسافر بها في إحدى رحلاته إلى دار البديات "بيريه" الحالية وولد منها أحد أبنائه وسمى المنطقة "واسي" التي تعني النار بلغة المساليت ، لكننا لم نجد صحة لهذه الرواية لافتقارها الى بعض أركان التحقق منها . وهكذا تفرع الأنفو إلى مجموعات قرابية ثلاث رابعها بنت.

عبد الله برو ملكاً:

انتقل الفكي محمد داج إلى رحمة الله في دار كوبي دون تمكنه من العودة إلى مقار زوجته في كل من قريضة بدار تاما ودار سيلا في منطقة الداو ، فبقي ابنه عبد الله برو في كنف أخواله من الميراء فعرف عنه الذكاء ورباطة الجأش ومكارم الأخلاق وفصاحة اللسان الأمر الذي جعل أهل أمه يدرجونه ملكاً خلفاً لخاله الذي توفي ولم يكن له ابن يرث حكمه. وهكذا انتقل حكم الميراء إلى الأنفو إذ أصبح عبد الله برو أول حكام الأنفو . فوسع رقعة حكمه فشمّل كل قبائل دار الكوبي بما فيها الميراء أنفسهم ، فاستمر حكمه حتى 1623م.

ولد للملك برو ابنه عيسى المعروف بـ"عيشي" وعرف عنه أنه لم يرث حكم أبيه وبذلك ضاع حكم الأنفو فترة من الزمن ، لكن ابنه عمر إستعاد حكم أسلافه ، ومن فرط فرحه بحكمه سمى أحد أبنائه الثلاثة الذي تزامن مولده تسلمه الحكم "ديري تيفي" والذي يعني بلغة الزغاوة "إستلمت الحكم" أما ابنه الأكبر فهو إينا كاري وتألّتهم هلال "حنان" الذي ورث الحكم عن أبيه عمر وصار ملكاً فتميزت فترة حكمه بإتساع رقعة حكمه ونفوذه كما كثرت القبائل التي إنضوت تحت إمرته . واعتبر الجيل السابع من حيث التسلسل العائلي كما يعتبر هلال أبو سلاطين الكوبي.

ثم إنتقل الحكم بعد هلال إلى ابنه كوريه (1682- 1745) جد الأنفو -جيرا الذي شق عصا الطاعة على سلطان القمر رافضاً الخضوع والعمل تحت إمرته . وبذا يكون أول من إستقل بالحكم ، فأصبح ملكاً وحكم دار كوبي زهاء العشرين عاماً وتوسعت رقعة حكمه، وتوطدت صلاته بمملكة الفور الأولى(1650-1874) نتيجة المصاهرة التي ربطت بين سلطان الفور علي بكر والميرام حوريه "قوريه" بنت الملك

هلال و أخت كل من هاروت والملك كوريه. ومن هذه الزيجة ولد السلطان تيراب الذي حكم دارفور في الفترة من 1768م إلى 1787م والذي كان زغاوة الكوبي يطلقون عليه "تيراب لبين". الجدير بالذكر أن الملك كوريه أول من أدخل النحاس رمزاً وأساساً لحكم الأنف.

### السلطان طه وقصة حكمه:

هو ابن الملك كوريه بن هلال عاش من 1735 إلى 1806 وكان يتردد كثيراً على الفاشر لمقابلة سلطان الفور كي يدرجه سلطاناً على عموم الكوبي ، غير أنه لم يحالفه الحظ . وفي إحدى زيارته فكر في مقابلة عمته قوريه للتعرف عليها وجعلها تتوسط له عند إبناها في تحقيق غايته وقد تم له ما أراد . إذ أمر السلطان تيراب بتصيب طه سلطاناً على دار كوبي، وأعدق عليه بالعطايا ومستلزمات الحكم من نحاس وخيول وعبيد واسلحة نارية . فعاد السلطان طه إلى دار كوبي مقر أسلافه ليوطد حكمه . وقد تميز حكمه بالصرامة والجبروت الأمر الذي اثار حفيظة بعض مواطنيه وعلى رأسهم شخص يدعى " كوراديبه " الذي ذهب إلى الفاشر شاكياً واثماً فدخل على أم السلطان تيراب ، وأبلغها بأن شقيقها هاروت الذي زعم طه وزمرته بموته مازال حياً في دار كوبي يعيش على الكفاف يفترش الأرض ويلتحف السماء وليس له من المال إلا بضع معزات . فاستدعت إبناها لسمع تلك الرواية المذهلة. وكرر كوراديبه مقولته فأمر السلطان بتجهيز جملين أصيلين محملين بالهدايا ليذهب بهما كوراديبه لاجتياز هاروت من دار كوبي خفية مؤكداً له أن مصيره القتل إذا اخفق في مهمته وتبين أن مارواه كان كذباً .

إنطلق كوراديبه قاصداً مقر هاروت فجاءه واخبره بما لديه من اخبار فلم يصدقها بادئ الأمر غير ان كوراديبه أخرج له هدايا ابن اخته السلطان تيراب . فسر أيما سرور ، وشد الرحال وانطلقا مسرعين فوصلا الفاشر خلال ثلاثة أيام ودخلا على السلطان الذي استدعى أمه لتتعرف على الشخص الذي أحضره كوراديبه أن كان شقيقها هاروت حقيقة . وقد تم ذلك وتعانق الشقيقان في مشهد مفعم بالفرح والحزن معا . ولما انجلي

الموقف وتبينت الحقيقة للسلطان تيراب بواقع الأمر أرسل موفده إلى السلطان طه يطلب منه الحضور إلى الفاشر لمقابلته، و عند وصوله علم سبب إستدعائه فبهت طه وأبدى ندماً وموضحاً بأنه الطمع على الحكم كان الدافع لما أقدم عليه ولم تكن نتيجة سوء نية مبيّنة لهاروت فعزله السلطان تيراب وحدد له إقامة جبرية في منطقة كيراباء جنوب الطينة وعين خاله هاروت سلطاناً على دار كوبي ومنحه سلطات مطلقة ونفوذاً واسعة فامتدت رقعة ملكه فعمل على الإكثار من الزواج ، فقد ولد له من الأبناء ما يزيد عن المائتين - ومما يروى عن السلطان هاروت أنه ربما قد تزوج من كل قبائل دارفور وقبائل سلطنة وداي ! وقد عمر طويلاً وصار كفيف البصر قبل مماته. أما السلطان طه فقد أقام في معتقله بكيراباء في معية ابيه آدم وأتيم بورنوس الذين أحسنا بره ووقفاً بجانبه ولازمه في محنته حتى تقدم به العمر ومات 1806م عن عمر يناهز السبعين عاماً . ولحق به ابنه آدم بعد أربع سنوات فمات 1810م وعمره لم يتعد الخمسين عاماً ودفن مع أبيه في مقبرة كيراباء.



من مساندة أبناء هاروت للسلطان تيراب ، فعمد على التخلص منهم أو إضعاف نفوذهم في الحكم ، فدبر لهم مكيده فدعا جميع أبناء هاروت إلى وليمة في الفاشر زاعماً أنه بصدد الإعلان عن مناصب هامة ستؤول إليهم أثناءها ، فحضر أبناء هاروت ولم يغب منهم إلا القليلون ومنهم السلطان حقار دقش الذي عمل بنصيحة مستشاريه بعدم الذهاب لتلافي المصيدة التي تنتظر ذرية هاروت . وبيناهم في مظاهر الحفاوة والتكريم كان جند السلطان محمد فضل يتحركون مدججين بالسلاح نحو المحتفى بهم فيباغثونهم ضرباً على الهام وطعناً في التحور وتصفية للأجساد، فتسفر المذبحة عن حريق لجثث الضحايا . وأمر بالقبض على السلطان حقار دقاش وعزله ثم سجنه في غار بمنطقة جبل سي ودرّج في مكانه أتييم بن السلطان طه في كيرباء لاستدرار عطف و ولاء أسرة طه مع خلق خصومة وفرقة بين أبناء هاروت وأبناء طه عملاً بالقاعدة فرق تسد .

واتسمت سني حكم السلطان أتييم بالقط والجفاف فتشائم الناس منه وشكوا أمرهم للسلطان محمد فضل الذي لم يتردد في طرده من الحكم ، وتدرجه أريا بن السلطان سوقو بين هلال سلطاناً على دار كوبي . لم يدم حكم السلطان الجديد طويلاً غير أنه إشتهر بالحزم وعدم التساهل في أمور الشريعة الإسلامية في المسائل الإجتماعية مثل الزواج والطلاق وطبق بعض الحدود كما يروى الأمر الذي حدى بالناس أن يسموه "أريا جيزه كوني" التي تعني السلطان أريا الذي يمنع الزواج . وكف بصره وعجز عن تسيير أمر سلطنته فاقصي هو الآخر عن منصبه واعيد تعيين حقار دقاش للمرة الثانية بعد أن أمضى في سجنه بجبل سي ثمان سنوات .

والذي دفع سلطان الفور للافراج عن حقار وإعادة تدرجه سلطاناً هو انه أشاع بأن حقار له كرامات شهدها الناس إبان وجوده سجيناً في الغار . إذ كان مما يروى أن ثعباناً يأتيه ليلاً ليضئ له الغار إضافة إلى ثمار و فاكهة تثبت في المغارة فظل يعيش عليها رغم حرمانه من الأكل من قبل حراسه ليموت جوعاً . والأمر الآخر أن من خلفوه في الحكم بايعاز من السلطان محمد فضل فشلوا فمتهم من أقصي من الحكم لشكوة الناس ومنهم من فقد بصره . وخالصة القول ونهاية المطاف ان حقار دقاش أصبح

سلطاناً على دار كوبي وقرر أن يحكم مستقلاً عن سلطنتي الفور ووداي . والتف الناس حوله وهاجر إليه زغاوة الكوبي من كل صوب وحذب ، فأسس حكمه في جبل كوبي حاضرة اسلافه فأشاع العدل والحكمة والورع فأحبه الناس وسعت كل من السلطنتين أنفتي الذكر للقضاء عليه فارسلت كل منهما جيشاً وراء جيش لأن حقار دقاش قد رد الجيوش على أعقابها . ولم يهدأ لسلطنة وداي بال حتى أرسلت إليه جيشاً لا قبل له من حيث العدد والعتاد في معركة غير متكافئة سقط السلطان حقار دقاش بن هاروت بعد أن أبلى بلاء حسناً كما استبسل غيره من أعوانه من الكوبي . وبذلك أسدل التاريخ ستاره على الحكام من ذرية هاروت أو تركة هاروت كما هو مشاع.

### الفصل الثاني: تعاقب سلاطين الأنفو على حكم الكوبي

#### إنتقال السلطنة إلى التويبراء:

بعد مقتل السلطان حقار دقاش هيمنت سلطنة وداي على دار كوبي فنصبوا "تي" جوقونا بن هامان تبيس بن هلال سلطاناً بعد حقة تعاقب على حكم الكوبي سلاطين من مجموعات قرابية من الأنفو غير التويبراء الذين ينتمي إليهم . لم يدم حكم السلطان ني جوقونا غير عام واحد فقط فخلفه ابنه موقو فمات هو الآخر بعد حكم دام سنتين وتسلم بعده السلطان أقورو الذي وسع حكمه ومد نفوذه على أرجاء دار كوبي وتميزت سني حكمه بالرخاء فاخضر الزرع و امتلأ الضرع غير أن الأحوال الامنية لم تكن مستتبة بفعل الغزاة الذين لم يكفوا عن الإغارة على سلطنته . ففي احدى هذه الغارات التي تصدى السلطان أقورو ورجاله لها اصابته بعض الأعراب إصابة قاتلة فمات بعد حكم دام ثمانية عشر سنة ثم إنتقلت السلطنة إلى ابنه عبد الفقراء الذي إمتد حكمه لمدة اثنتين وعشرين سنة فمات بعد ان اقعده مرض عضال وظل طريح الفراش ثلاثة أعوام.

#### إنتقال السلطنة إلى الجيراء:

من خلال متابعتنا للانحدار السلالي للأنفو ، نجد أن الجيراء عشيرة متفرعة عن الملك كوريه ثم السلطان طه وابنه آدم ثم بشارة الذي يمثل الجيل الحادي عشر للأنفو .

وقد لعب نريته دوراً هاماً وبارزا على مسرح الأحداث في دار الكويبي وفي استرداد الحكم بعد أن ظلت السلطة في يد سلاطين التبويراء زهاء الأربعين عاماً . فولد لبشارة ثلاثة أبناء أكبرهم عبد الشافع أوشافي جوروك ويلييه عبد الرحمن ولقبه فرتي واصغرهم حريب الذي ربما استنقت من الحرب وهو شقيق لعبد الشافع.

#### السلطان عبد الفقراء يقعه المرض عن الحكم:

هو ابن السلطان أقوروء من فرع التبويراء - كما رأينا- وقد ولد عام 1802م وتسلم مقاليد حكم الكويبي سنة 1857م وظل في الحكم زهاء اثنتين وعشرين سنة وفي ثلاث السنوات الأخيرة من حكمه أصابه مرض عضال اعجزه عن تسيير دفة الحكم الأمر الذي جعل ابن عمه راكب بن موقوء يطمع في إنتزاع السلطنة منه والافراد بها لنفسه . وفي هذه الأثناء ذهب إلى السلطان عبد الفقراء إثنان من أبناء ذويه وهما عبد الرحمن فرتي بن بشارة و عبد الشافع بن بشارة لمارضته وحمايته حينما احسا بأن راكباً يكيد للخلاص منه . وقاما برعايته خير قيام وأحسنا على أطفاله وزوجاته . فأعجب السلطان عبد الفقراء أيما إعجاب بمعاملة فرتي وأخيه له فقرر رد الجميل لهما ، فأشار إليهما بالسعي في طلب حكمه بعد موته من مملكة وداي . وعدم التفريط به حتى لاينتقل إلى راكب الذي كان ينوي إنتزاعه منه عنوة . غير أن راكباً سبقهم بالسفر إلى الفاشر لمقابلة ممثل الحكم التركي آنذاك ، وهو سلاطين باشا فطلب الحكم منه زاعماً بأن السلطان عبد الفقراء صار لايقوى على تسيير أمر الحكم و لا أمل في شفائه ، وابدى استعداده في خدمة الحكم التركي والمساعدة في تمهيد طريق الحكومة التركية للوصول الى سلطنة وداي والقضاء عليها واخضاعها . هذا بالاضافة إلى جمع الضرائب والجزية من زغاوة الكويبي وتسليمها له . فلم يتردد سلاطين في تعيينه سلطاناً على دار كويبي عام 1879م.

عاد السلطان الجديد إلى المنطفة الواقعة جنوبي الطينة ، ولما يعظم السلطان عبد الفقراء بأمره فجمع السلطان راكب أخواله (من فرع الدتيراء) واستعدوا لمهاجمة السلطان

المريض . فأغاروا عليه وأخذوا منه النحاس ومستلزمات الحكم الأخرى ، وهو لاحول له ولا قوة وكان أبناؤه عيسى ديفي وأبو حامد ، ابراهيم أرض الشام وحسين كوباوي وحامد وهاشم - صغاراً لا يستطيعون الدفاع عن حكم أبيهم ولا عن نحاساتهم .

وفي الليلة التي سبقت وفاته دعى السلطان عبد الفقراء عبد الرحمن فرتي على إنفراد وقال له: " إنك قد تعبت من أجلي كثيراً يا ابن أخي ووقفت بجانبتي طيلة فترة مرضي تمارضني وتطلب لي الدواء اشكرك جزيل الشكر على عنايتك ورعايتك ، لذلك فإنني أريد ان ارد لك الجميل واكافئك وليس لي ما أقدمه لك سوى بنتي الكبرى فأرجو أن تتزوجها". فرد عليه فرتي قائلاً: " يا عمي .. انني ما قمت إلا بما يقضيه الواجب وعلائق الدم والقربى .. وادعو الله لك الشفاء . واما مسألة الزواج فإنني سوف لن أستطيع الزواج من ابنتك طالما ظل راكب حياً فإنه لن يتركني أفعل ذلك ". فصمت السلطان برهة واخرج من تحت وسادته خاتم ملكه واعطاه لفرتي قائلاً له، " خذ يا بني هذا الخاتم واذهب به الى السلطان يوسف سلطان البرقو يدرجك سلطاناً لدار الكوبي شريطة ان ترعى أبنائي من بعدي .. واني تاركهم في ذمتك" فأوماً فرتي برأسه موافقاً وأمسك بيد السلطان الذي كان يحتضر وقتئذ . وفي مساء ذلك اليوم مات السلطان عبد الفقراء ولا احد يدري بأمر الخاتم سوى عبد الرحمن فرتي واخيه عبد الشافع.

### السلطان راكب يحول الماتم عرساً!

لما علم السلطان راكب نبأ وفاة السلطان عبد الفقراء سر أيما سرور وأمر بضرب النحاس في بيت العزاء وأرهب الناس وكل من رآه يبكي يطلق عليه النار فيريديه قتيلاً . وامر أرامل السلطان المتوفي بالتزين له وإطلاق الزغاريد عنوة وتزوجهن اجمعين بكل مظاهر الإكراه والتخويف والارهاب وعات في الارض فساداً . وظل ينحر جذور الناس وماشيتهم ظلماً ولا احد يجرو على الإحتجاج الا وقتل فوراً ، رمياً بالرصاص أو خنقاً وذبحاً مما نفر الناس جميعاً من حكمه فغنت البنات أغنيات حزينة يندبن حظهن ويرثين أهلهن ومنها هذه المناحة:

أوبيري أورنيقي راكب كارواء؟

حوقار قيني اوقو جاري..

بورو كوجوء كيدي

دنيراي كاقايواء؟

بوء قريغو سروال كيرو سي!

جوء قريغو أو كيرو سي!

أوبوء تيفيغو جنفا كيرو سي!

دار قينو بير ديري

وهذه الأغنية تعني:

ما لك الصيحات المنبعتة من جهة الشرق؟

لعل راكب قد أتى

تلك الذي يشبه الدراكولا!

الذي يمتص نماء البشر

والذي يخيف الرجال !

هل قدم خواله الدنيراء؟!

لاثور يتروكونه يكبر في البلد

ولاخروف يعيش فيستفاد من فروته!

ولاتيس تشب له القرون!

إننا ياراكب تاركو ديارك.

كما أشرنا سابقاً أن السلطان راكب قد عاهد سلاطين باشا على تطبيق سياسة  
التركية بحزم وطلب من سلاطين تزويده بالأسلحة لتوطيد حكمه ، فلجأ إلى القوة  
والبطش ولم يركن إلى صوت العقل والانسانية . كما أنه لم يحاول ترغيب الناس لما  
ينادي إليه ولم يتح لهم الفرصة لمعرفة حقيقة مايسعى إليه وكان يتوعد معارضيه بالويل  
والتبور وعظائم الأمور . ومن ضحايا بطشه نافع سوروني بن السلطان آريا جد

النورسيرااء الذي قتله خنفاً في رهد اندر ، وأقام المذابح للخلاص ممن أبدى المعارضة . ويروى أن البدديات ضمن الذين تعرضوا لمحنة التعذيب والتفتيل والابادة على أيدي راكب.

إن أسلوب الارهاب والتصفية أثار كراهية الناس لراكب ومن يقف وراءه متمثلاً في الحكم التركي . ورغم تضاؤل شعبيته المضطردة ، استمر السلطان راكب في الحكم أول الأمر في "توقيي" جنوب غرب الطينة الحالية، ومن ثم نقلها الى منطقة دورقوسي التي تبعد حوالي خمسة عشر كيلومتراً غربى الطينة.

### الفصل الثالث: فرتي يطلب الحكم من وداي

في هذه الفترة التي كان فيها راكب يهادن الأتراك ويحكم زغاوة الكويبي بيد من حديد ، كانت مملكة وداي (1635-1911) فى أوج عظمتها وتهيمن على قطاع كبير من ارض أفريقيا الغربية . ويمتد نفوذها الى سلطنة الكويبي قبل مجئ راكب مدرجاً من قبل الحكم التركي . وكانت مملكة وداي تتخذ من اللامركزية اسلوبا للحكم ، إذ كانت البلاد مقسمة إلى مقاطعات يشرف على كل منها نائب للسلطان يعرف بالعقيد .

ولما شاهد عبد الرحمن فرتي وعبد الشافع سوء أفعال السلطان راكب خشيا على مصير الجبراء من بطشه فقررا الذهاب إلى أبيشي عاصمة وداي لطلب الحكم من السلطان يوسف شريف. وجهزا للسفر غير انهما كانت تنقصهما الراحة والزاد والعتاد. فاستعانا خفية ببعض أقاربهما ميسوري الحال فحصل عبد الشافع على حصان من زوج أخته . اما عبد الرحمن فلم يفلح في بادئ الأمر لأن اسحق سييري رفض أن يعيره بعيره في غطرسة واستهزاء، فلجأ إلى مبيقيت أحد أخلص حداحيد الجبراء الذي سلمه هجيناً بنفس طيبة ، وأمده كذلك بريش النعام ولوازم الخيل والحبال والقرب وكثير من المصنوعات الجلدية غالية الثمن في تلك الأيام . فانطلق عبد الرحمن فرتي في معية اخيه عبد الشافع و الخليفة عبد حاملاً الخاتم الذي اعطاه إياه السلطان المتوفي عبد الفقراء قاصدين أبيشي.

كان الطريق الى أبيشى طويلاً ووعراً ، محفوفاً بالمخاطر من سباع و وحوش اخرى وتابوا سيرهم حتى أدركهم الليل في وادي بآباء في كفاء. وهناك امضوا ليلة كليلة امرئ القيس حيث تعرضوا لهجمات اسد شرس جائع عرف آنذاك "بأسد مورجاء"، يريد أن يفترس جملهم فكانوا له بالمرصاد بأسلحتهم البيضاء حتى طلع الفجر فآدوا صلاة الصبح على نهج صلاة الخوف . ومن ثم تابوا الرحلة.

في مجلس السلطان يوسف شريف:

وصل ركب فرتي ومن معه الى ابيشى واستأذنوا حراس القصر لمقابلة السلطان يوسف بعد أن عرفوا بهويتهم والغرض من المقابلة. وبعد صلاة العصر أذن لهم بالدخول ورأوا السلطان وهو يلبس الجوخ الموشى ويجلس على أريكة كبيرة موشاة بالفضة والذهب وبها وسائد من الحرير الخالص ومن خلفه وقف إثنان من العبيد بمراوح من ريش النعام ، وكما وقف حارسان مدججان بالسلاح . وعلى يمينه جلس خاله ومستشاره الذي عادة ما يقوم بتتصيب الحكام بتحويل من السلطان حسب النظام المتبع في سلطنة وداي . كما جلس رجال من الحكم والوجهاء والأعيان على فرش من السجاد ، أما الرعية والأعوان فقد جلسوا على الأرض في نصف دائره. وكان قبلئذ قد نودي الناس في سوق أبيشى كي يجتمعوا في مجلس السلطان لأمر هام. وأذن السلطان لفرتي ورفيقه بالجلوس.

هنا قدم فرتي للسلطان يوسف الهدايا بما فيها جمل الخليفة مبييت ثم أعطاه خاتم السلطان عبد الفقراء. فخطب سلطان وداي في الحضور معرفاً بعبد الرحمن فرتي بن بشارة واخبرهم أنه أتى إليه من دار كوبي يطلب "الكمول" أي الحكم كما كان يطلق عليه البرقو . وطلب من خاله أن يقوم بتعيينه سلطاناً على دار كوبي وأعطاه خاتم الملك وأربعة من النحاس وسيفاً مذهباً واليسه كسوة من الجوخ واهداه ورفيقه ثلاثة خيول أصيلة مطهمة . فقام الأعيان وقدموا له التهاني والتبريكات ، وكان ذلك في عام 1879 وكان عمر فرتي آنئذ خمسين سنة . واتفق السلطانان على أن يدفع فرتي الجزية السنوية لسلطنة وداي على أسس مطومة.

لم يتمالك الخليفة عبد فرحته بتتويج ابن عمه سلطاناً فاستل سيفه وبشر بفرحة عظيمة  
ثم أنشد بلغة الزغاوة:

|        |         |          |                    |
|--------|---------|----------|--------------------|
| "باباء | باتيفاً | مورجاء   | مورتيقاً           |
| قرو    | بيري    | جرّ ريفي | إيفي               |
| باري   | بعيدي   | قيرقيري  | نييه ساقى إيفيني!" |

فهو هنا يحكي ما عاناه وصاحباه وما كابده من صعاب في طريقهم لطلب الحكم  
وما لاقوه من مخاطر في وادي باباء من أسد مورجاء الشرس ، وكانت وجهتهم ابيشى  
مروراً بأدغال وادي باري وطريقه الوعر .

سأل السلطان يوسف السلطان فرتي عن علاقته بالخليفة عبد فأخبره بأنه ابن عمه . فرد  
عليه : "إن هذا الرجل سوف لن يقنع بالهبات فطيك بإعداق النعم والإحسان إليه نظير  
إخلاصه ووفائه وحبه لك".

#### فرتي يوطد حكمه :

عاد السلطان الجديد ورفيقه إلى دار الكوي في غمرة الفرح والحبور . وفي  
الطريق تشاوروا في أمر حكمهم الجديد وموقفهم من السلطان راكب والمتاعب التي  
سيلاقونها منه، كما استعرضوا طرق توطيد حكمهم وحمايته ببناء جيش قوي . وفيما هم  
يتناقشون قال عبد الشافع للسلطان فرتي : " ها قد أصبحت سلطاناً ولكن من ذا الذي  
يحمي لك سلطنتك ؟" فضحك فرتي وقال له : " ومن ذا الذي يحميها غيرك يا أخي!"  
إشارة إلى تفويضه إلى عبد الشافع القيام بأمر تجهيز الجيش وقيادته .

لم يتمكن السلطان فرتي ومرافقوه من حط رحالهم في دور قوسي كما كان مؤملاً  
وذلك لأن السلطان راكب كان يقيم فيها ويتخذها حاضرة لحكمه . فتوجهوا إلى أوقاء  
بمنطقة كوباء ، فوجد إليه الناس نزافات ووجداناً من كل صوب هارين مما لحقهم من  
إرهاب وتكيل طلباً للحماية . وبايعوا السلطان فرتي كمنفذ لهم من جبروت الطاغية  
راكب.

بعد أن أمضى السلطان عبد الرحمن فرتي سنتين في أوقاء ، قرر نقل عاصمته الى موردوء غرب هرباء ، لموقعها في وسط دار كوبي ، في وقت ظل المزيد من العشائر تأتي اليه مبايعة ومؤازرة لحكمه . فبسط نفوذه على كل منطقة وبه . اما في نائوء فقد اضطر الى منع الناوراء من ورود آبارهم بعد أن رفضوا عرضاً منه بمبايعته . وفرض حصاراً حول تلك الآبار حتى تعرضوا وماشيئهم الى عطش شديد ونفق بعضها مما دفعهم للأستسلام والذهاب إليه طائعين ، ومتوجين تأييدهم له بترويجهم احدى فتياتهم.

### عبد الشافع يحارب "راكب"

أرسى السلطان عبد الرحمن فرتي قواعد حكمه بمساعدة أخيه عبد الشافع ، ولما انتهيا من وضع السياسة الداخلية للسلطنة بنجاح اشار عبد الشافع الى السلطان نيته في محاربة السلطان راكب لانه لايحتمل وجود سلطنتين في دار الكوبي . ولم يوافق السلطان فرتي في بادئ الأمر إلا أن عبد الشافع لم يكف عن إصراره لمنازلة راكب مهما كانت النتائج . فقال له السلطان "ان راكب تسانده الادارة التركية التي تمده بالأسلحة التارية والعسكر فلا تحاول محاربتة مالم يبدأ هو الحرب" إلا أن السلطان فرتي وافق على رأي عبد الشافع عندما لمس إصراره.

تحرك عبد الشافع صوب دورقوسي بجيش عرمرم يتكون معظمه من أصحاب الحق الذين سلبهم راكب أموالهم وامتلاّت قلوبهم بالغضب المتحفرين للانتقام من راكب والنيل منه . كما كان يتكون أيضاً من الفرسان الذين يمثلون القبائل والعشائر التي اظهرت ولاءها للسلطان فرتي . فسار بهم في طريق جنوب قرية تريباء حتى وصلوا إلى جبل دورقوسي ليلاً . وانتظروا في الجانب الغربي منه بعض الوقت ليكملوا استعداداتهم ومن ثم تحركوا حتى وصلوا على مشارف ديم السلطان راكب ، فطلب منه بعض خصائه الانتظار حتى الفجر لكي يبدأوا الهجوم . لكنه رفض قائلاً انه لايطيق انتظار الحرب حتى الصباح ، فأمر رجاله بالهجوم وهو يتقدمهم على صهوة جواده الابيض

ويطلق الرصاص بغزارة لكي يعلم راكب انهم قادمون وحتى لا يأخذونهم على حين غرة مما يعتبرونها مخالفة لأخلاقيات حروبهم آنذاك.

دخل جيش عبد الشافع ديم السلطان راكب والتقى الجمعان، ولم يمض وقت طويل حتى انجلى الموقف واسفر عن انتصار جيش عبد الشافع وهزيمة السلطان راكب الذي تمكن من الإفلات مع بعض ممن تبقى من فلول جيشه الذي مات منه الكثيرون، واحتل عبد الشافع عاصمة السلطان راكب وباتوا ليلتهم فيها. وكان لهذا الانتصار وقعه الطيب في رفع الروح المعنوية لجند عبد الشافع ومثبط لهمة جند راكب.

وفي صباح اليوم الثاني تحرك جيش عبد الشافع قاصداً أبار أويراء والتقى جيش راكب الذي اعاد تنظيمه، لكنه منى مرة أخرى بالهزيمة وهرب راكب وبعض رجاله الى رهد اندر (أم در) وامضى عبد الشافع وجيشه نهارهم وباتوا ليلتهم في منطقة تلك الأبار. وفي اليوم الثالث تعقبه عبد الشافع الى رهد اندر وحدثت معركة طاحنة اوقع جيش عبد الشافع هزيمة كبرى بجيش السلطان راكب للمرة الثالثة لكنه اقلت هذه المرة أيضاً من الموت وانتقل برجاله وزوجاته واهله إلى سدره مرداء (مرداء كيراء) وبات ليلته تحت تلك السدره الكبيرة والمشهورة في أوقوناء. وبات عبد الشافع ورجاله في رهد اندر . وبعث عبد الشافع رسولاً من خاصة رجاله الى السلطان عبد الرحمن فرتي حاملاً اليه اخبار انتصارات جيشه المظفر وانه مازال عند عهده واصراره بهزيمة السلطان راكب والقضاء عليه كما أشار الى السلطان كي يتحرك الى عاصمة راكب في دورقوسي لتكون مقراً لسلطنته هناك. تلقى السلطان أنباء انتصارات جيشه بفرح بالغ ونقل عاصمته الى نور قوسي كما نصح به أخوه.

ويقول الرواة إنه في مرداء كيراء قاوم السلطان راكب جيش عبد الشافع لمدة أربعة أيام ببسالة عظيمة . وآل على نفسه ألا يهرب أو يتحرك من وجه أعدائه إلا منتصراً أو ميتاً . وبأسلوب إنتحاري ترجل عن حصانه المسمى " من الله" فجلس مسنداً ظهره على جذع سدره مرداء، واضعاً نحاسه أمامه بجانب النخيرة والبندق وكان جنوده ينتشرون قرب تلك السدره ، وبدأوا في إطلاق النار على جيش عبد الشافع بدون توقف .

وابلى راكب بلاءً حسناً ويروى أن أصعبه السبابة قد تفرحت من شدة إطلاق النار وحرارة البارود ، فلفها بعمامته ، ويقال إن الرصاص لم يخترق جسده لتحصنه بأحجية ضد السلاح . واستمرت الحرب دون توقف ، وفي ما يشبه الحصار أربعة أيام ، فأرسل عبد الشافع رسالة إلى السلطان فرتي يخبره بالأى يقلق على حكمه بعد اليوم وأن السلطنة قد تثبتت ، وأن الحرب ما زالت محتمة في مرداء كبراء . وإن راكب آل على نفسه ألا يتحرك منها إلا منتصراً أو ميتاً ، لكن النتيجة الحاسمة ستكون فى صالحهم . فعمت الفرحة فى العاصفة وعلت الزغاريد وغنت احدى قريبات السلطان فرتي تهجو السلطان راكب بلغة الزغاوة قائلة:

"ديم قيرى هيردى كيرى

نورقو سبرو هيردى كيرى

مردارو داباينا تيسى

نبيه تحوقيرى كوريقينى"

وهى تعنى:

إن فرساننا قد غزوا ديم راكب وانتصروا ،

وإنهم قد احتلوا العاصفة دورقوسى...

انهزم راكب واحتمى بسدره مرداء..

ماأتعسه !! لم ينم ليله!!

بينما ظلت الحرب محتمة فى مرداء كبراء لليوم الخامس على التوالي اقترح رجل من زغاوة البايراء يدعى دردار - وهو صديق للسلطان فرتي - أنه اذا سمح له السلطان الالتحاق بجيش عبد الشافع فإنه سوف يتحدى راكب ويتغلب عليه ويأخذ نحاسه عنوة ويحضره له. وافق السلطان و ذهب دردار مع الرسول الذى بعثه عبد الشافع مبشراً بانتصارات جيشه. لما رأى دردار السلطان راكب هاجمه بحصانه ناوياً خطف النحاس منه ، فأمسك دردار بأحد مقبضى النحاس فيما امسك راكب المقبض الآخر بقوة شديدة ولم يتمكن على اطلاق النار على دردار لسرعة حصان الأخير ،

فانقطع المقبض الذي من صوب دردار وبقي النحاس عند راكب. وعاد دردار مسرعاً إلى عبد الشافع ورفع يده بالمقبض و"بشرله" فسأله عبد الشافع "ما هذا الذي في يدك يادردار؟" فأجابته "انه مقبض نحاس راكب". وأردف قائلاً: "ان راكباً سوف لن يترك نحاسه إلا إذا مات".

ولم يكرر دردار المحاولة مرة أخرى .

وفي اليوم السادس للحرب نصح دردار القائد عبدالشافع أنه ليس من السهل القضاء على راكب، وان كثيراً من الجنود قد لحق به التعب وأنه يرى من الأفضل أن يعود بجيشه إلى العاصمة نورقوسي للراحة والاستجمام أسبوعاً واحداً ، يعوبون بعده لملاحقة راكب ومحاربتة. فرجع عبد الشافع و رجاله إلى العاصمة وذهب راكب ورجاله إلى بنر كليكل شرقي كولبوس بدار قمر . فدخل طرفا الصراع في هدنة غير معلنة شهراً كاملاً سكنت فيه البنادق وأريحت ظهور الخيل وظل كل طرف في موقعه.

#### السلطان راكب يحاول استعادة عاصمته:

بقي السلطان راكب ورجاله وأسره في كليكل لمدة شهر عاودهم فيه الحنين للرجوع إلى ديارهم ، ففي أحد الايام جاءت للسلطان راكب إحدى بنات عمه فبكت في مجلسه متحسرة على مجدهم الذي صار يضيع شيئاً فشيئاً وملكهم الأيل للسقوط وغنت قائلة: "توروموقوء تير كيدي جنزايه مرّ ريدي كاقاندي تورو كوقونيفي .. توناء تيني باقورو كويهو ساونو .. نبيه شافي جوركو ديني أرقوري".

ومعناها - والكلام موجه لراكب:

إن بطلنا الشجاع الذي أسمىناه فخراً جنزايه مرة.. قد أثر الإنسحاب الى الجنوب مقهوراً .. لقد كثر شوقنا إلى ديارنا في الطينة وأبارها التي لا يجروء الجبان الوقوف عندها .. قد احتلها عبد الشافع ومشى فيها متبخرتاً .. فما أسعده وياحسرتاه!!

عند سماعه الأغنية ، انتفض راكب واقفاً وقد استفزت مشاعره ، والغضب باد عليه والعبرة تكاد تحبس صوته ، ورد عليها قائلاً أنه يعاهدها ويقسم أن يطأ بحصانه

ثرى بئر أويراء في الطينة قبل بزوغ شمس اليوم التالي وإلا فإنه ليس إبناً شرعياً لأبيه موقوء! وهذه دلالة على إصراره على العودة وعدم الفرار مرة أخرى من وجه عبد الشافع وجنوده . وأوفى بما عاهد جنده عليه . قلم تكذ تشرق شمس ذلك اليوم حتى وصل جنوده بئر أويراء في وادي الطينة ، وباغت جيش عبد الشافع ودارت معركة حامية الوطيس خسرها راكب فففل راجعاً إلى حيث أتى . وسجل التاريخ لعبد الشافع وجيشه صفحة أخرى أضافها لسجل انتصاراته الباهرة . وكانت هذه هي المعركة الفاصلة والأخيرة بين السلطان راكب وعبد الشافع .

وفي كليكل فكر راكب كثيراً و وصل إلى قناعة تامة بأنه لاسبيل لهزيمة جيش السلطان فرتي بقيادة عبد الشافع ، لذلك قرر التوجه شرقاً طامعاً في تأييد المهديّة ، وذلك بالاسراع في تقديم المبايعة و الانخراط في جيش محمود ود أحمد الذي آت إليه إدارة عموم غرب السودان من قبل الخليفة عبد الله التعايشي . وكان في قرارة نفس راكب ان يستعين بجيش المهديّة للقضاء على خصمه السلطان عبد الرحمن فرتي واستعادة الحكم منه . وفي غضون ذلك كان السلطان فرتي وأخوه عبد الشافع قد بسطا السلطة على عموم دار كوبي وتوسعت رقعة نفوذهما حتى بلغت مشارف كرونوي .

وبينما راكب في طريقه إلى حيث محمود ود أحمد مر بالشرتاي صالح حاكم دار زغاوة قلا ، الذي نصحه بالعدول عن رأيه في تاليب الجهادية وجبروتهم على أهله وأبناء عمومته طمعاً في الحكم لأن جيش محمود ود أحمد إذا نزل بوادٍ قضى على الأخضر واليابس ولن يسلم طفل أو امرأة أو شيخ من بطشه ، إلا أن راكباً ركب رأسه في عناد تام و واصل سيره في معية أفراد أسرته وأقاربه الدنيراء الذين مافتوا يؤازرونه ويم صوب الفاشر عاصمة المهديّة في دارفو وقتذاك . فسافر سالكا طريق عين كولاقي (عين فرح) في سلسلة جبل سي جنوب كتم . وكانت هناك أسطورة تدور حول المدخل للمر الجبلي المؤدي إلى النبع "العين" ، مفادها التشاؤم من أن الحاكم الذي يدخله سوف يلزمه سوء الطالع والابتلاء بفقد حكمه بفعل الجن الذي يعتقد أنه يعيش ويسكن هذه المنطفة !! ويقول الرواة أن راكباً لم يضع بالألتلك الخرافة لايمانه بعقيدة أنصار

المهدي . ودخل النفق في تحد واضح شاهراً سلاحه ويطلق النار على الجبل وماجاوره في حين كان عبيده يضربون النحاس ويصدحون بأنغام الكيتا الشجية لحن الفراق وسط زغاريد النساء من زوجاته وعماته وقد سجل الرواة هذه الكلمات على أنها كان يرددها نافخو المزامير :

"موروري..كوسوري.. جوبو تورفو سوري.. إراب نيبه موروري كوسوري".

ومعناها : "إن راكبا قد دخل النفق المظلم وخرج منه كطائر الدوري يخرج من بين الأعشاب منطلقاً كالسهم فلن تكتب له العودة أبداً . صدق أو لاتصدق .. فإنه لم يعد بالفعل !!

وصل راكب وركبه مدينة الفاشر والتقى اميرها محمد أحمد زقل الذي كان يحكمها من قبل محمود ود أحمد عامل المهديّة على دارفور وكردفان . وصادف أن كان محمود ود احمد موجوداً في الفاشر فالتقاه راكب وشرح له ماكان من أمر السلطان فرتي وزعم أن الاخير يكن العداء للمهديّة ويناصر سلطنة وداي . فما كان من محمود ود احمد إلا ان كون جيشاً جراراً مكوناً من الجهادية وما تبقى من جيش راكب وجعل من أخوال راكب خبراء ومرشدين للطريق إلى داركوبي قاصدين السلطان فرتي للقضاء عليه . ولشيئ في نفس يعقوب أبقى محمود ود أحمد راكباً في الفاشر ولم يمكنه من الذهاب مع الجيش لخصمه . وبوصول الجيش حدود داركوبي ، جعل الجهادية يتكون بالأهالي نون تمييز فازهفوا الأرواح وأسألوا الدماء فرملوا ويتموا وسلبوا الأموال وأحرقوا القرى والمزارع . وكانوا كالوباء وبالأعلى على سكان تلك المطقة ، حتى ظن الناس أن الجيش الغازي مرسل من قبل الأتراك فاطلقوا على قائده محمود ود احمد "ترك محمودي".

ولما بلغ ذلك الجيش مشارف دورقوسي حاضرة السلطان فرتي ، كان جيش السلطان عبد الرحمن فرتي في قمة استعداده من حيث العدد إلا أن العتاد الحربي كان ينقصه مقارنة بجيش المهديّة ، فقرر السلطان الإنسحاب إلى منطقة بالو الجبلية الحصينة ذات الحماية الطبيعية ، ومن ثم يطلب العون والمساعدة من سلطان وداي رغم

فتور العلاقات التي كانت سائدة بينهما . ولم يكن للسلطان الخيار ، فقابل سلطان البرقوق الذي جعل يملئ عليه شروطاً في طياتها الاستغلال والابتزاز مثل مضاعفة الجزية "الضريبة" ودفع مائة من الجياد الأصيلة ومائة من الإماء والعبيد كل عام ، الأمر الذي لم يوافق عليه السلطان فرتي . فوقعت الجفوة والخلاف بين السلطانيين - وسنرى ذلك فيما بعد - صار السلطان في موقف لا يحسد عليه فالشرق المتمثل في المهديّة يريدّه حياً أو ميتاً والغرب المتمثل في سلطنة وداي لا يرغب في إنقاذه بل سعت هي الأخرى الى قتله وتفويض سلطنته . فلم تكن له سوى رحمة الله تهبط عليه من السماء لتتفّده من تلك المحنة التي وضعت في فكي السلطنتين العظيمتين ابانئذ .

وفي هذه الأثناء كانت جيوش الخليفة عبدالله التعايشي تخوض معارك ضارية ضد الجيش الإنجليزي الغازي بقيادة كتشنر فاستدعى محمود ود احمد جيشه الى دار الزغاوة استعداداً لتجهيز جيش كبير لارساله الى ام برمان لنصرة الخليفة عبد الله . فعاد الجيش على عجل قبل إتمام مهمته في القضاء على السلطان فرتي . وكان هذا الانسحاب برداً وسلاماً عليه . اما راكب فقد ضم الى جيش الأنصار الذي أعده محمود ود احمد مع غيره من الزغاوة . وهناك روايتان حول نهاية السلطان راكب فالأولى أنه قتل في موقعة كرري عام 1898م. والثانية أنه اشترك في معركة أبيض بجوار أم كدادة وخر فيها صريعاً وقتل ليسدل التاريخ ستاره عليه . ومن سخريات القدر أن الخليفة عبد الشافع قائد جيش السلطان فرتي المنتصر وخصم راكب اللدود والذي هزمه في معارك عدة هو الآخر توفي ولكن بنوبة قلبية فدفن في منطقة هريباء سنة 1887م. ورغم أن السلطان فرتي قد أصبح في مأمن من راكب وجيش محمود ود احمد إلا أن كثيراً من الأحداث قد واجهته وهو منفرد في الساحة بعد فقده لقائد جيشه وأخيه عبد الشافع .

### معركة مقولا كورون:

علمنا فيما سبق أن السلطان فرتي قد اختلف مع سلطان وداي لرفضه الشروط التي أملاها عليه الاخير إبان طلبه العون والمساعدة لمجابهة الخطر الذي حاق به من جراء جيش محمود ود أحمد الغازي لمنطقة دار كوبي . فمنذ ذلك الوقت جعلت سلطنة

وداي تضيق الخناق على السلطان فرتي وتتحين الفرص للانقضاض عليه . ولم يكن ذلك خافياً على السلطان فرتي ، فعند عودته إلى دار كوبي جهز جيشاً بقيادة ولديه الخليفة أحمد واسماعيل دلدوم وجعله على أهبة الإستعداد خشية ان يباغته جيش سلطان البرقو . لم تطل مدة حتى أرسل سلطان وداي جيشاً جراراً بقيادة العقيد جايري تحت رعاية وزيره نود مرةً المباشرة .

والتقى الجيشان ضحى في وادي "مؤلا كورون" في دار ديرونق ، وكان ذلك في عام 1892م. ودارت معركة حامية الوطيس ، فسقط فيها الخليفة أحمد أكبر أبناء السلطان فرتي بعد ان اسفرت عن انتصار جيش السلطان فرتي . اما ابنه اسماعيل دلدوم استمر يطارد فلول البرقو المتقهقرين . ولم يعد الى معسكر أبيه إلا بعد أن خلت المنطقة من آخر جندي من جيش العدو . وكان فرحاً بالنصر ، حزناً لمقتل أخيه الخليفة أحمد الذي كانت جثته مسجاةً أما أبيه فماكان من السلطان فرتي إلا أن استقره امام الناس واغظ له القول ذكراً ان ابنه القتيل احمد كان اشجع منه واكثر اقداً منه الأمر الذي عجل بوفاة . فغضب اسماعيل وقال لأبيه سوف لن تراني حياً بعد هذه اللحظة . وبطريقة انتحارية ركب حصانه وانطلق به نحو جيش البرقو المتقهقر فوقع فريسة سهلة المنال فرجموه بالحجارة وقتلوه . بعدها انتظم جيش البرقو فحملوا على جيش السلطان عبد الرحمن فرتي الحزين فهزموه بعد انتصاره في بادئ الأمر وبذلك يفقد السلطان فرتي اثنين من اكبر ابنائه في موقف مأساوي يشتم من خلاله الحقد الدفين الذي كان السلطان يضمه لكبار أبنائه الذين كانوا في نظره منافسين له ولاسيما انه قد شاخ واقعده المرض في أخريات سني حكمه حيث ثلثت رجلاه فاصبح لايقوى على الحركة ويحمل على الأكتاف .

يقرر السلطان فرتي بعد دفن موته العودة إلى دار كوبي إلا انه لم يحظ بالاستقرار لأنه أصبح في عداً مع البرقو في ابيشي وسلطنة الغور في الفاشر ، عوضاً عن وصول طلائع الإستعمار الفرنسي الذي يطمع في ضم الممالك والدويلات المستقلة . ففي بادئ الأمر حط رحاله في بالو وبني حاضرتة فيها ، ولم يطب له المقام أكثر من

سنة فتوجه شرقاً لانتفاء شر الفرنسيين والوداي فاحتفى بجبل السنه "كريوي هاء" ، إلا أن خطر الوداي كان يلاحقهم فاضطر للنزوح إلى كودوقور في شرق هريباء ، وقضى فيها سنتين قبل أن يرحل الى بنبيي التي تركها قاصداً نور قوسي محاولاً إحياء حاضرتة فيها مرة أخرى ولكن الفرنسيين هجموا عليها وأحرقوها بعد سنتين من إحيائها مما إضطر السلطان فرتي التوجه الى عين جلاء على مشارف كبايية حيث جعلته قريباً من نفوذ سلطنة الفور وقضى بها سنتين ايضاً ، فأثر الذهاب إلى منطقة كرنوي ومكث فيها سنتين آخرين قبيل رحيله الى وادي الطينة عند أبار قرعة . وخلال هذه الفترة المشوبة بعدم الاستقرار كان السلطان يتمتع بمطلق سلطاته ويبسط نفوذه على كل دار كوبي وتخضع له معظم القبائل .

ورغم كل هذا النزوح والتجوال من مكان لآخر ، عاش السلطان فرتي في استقلال تام ولأول مرة لا يتبع لأي من سلطنتي وداي أو الفور . وكان ملماً بأخبار كتشنر وهو يغزو السودان عام 1895م كما يعطم بمجئ علي دينار الى حكم دارفور بعد طرده للسلطان حسين أبي كودة من الفاشر .

### السلطان علي دينار والكوبي:

عند تولي السلطان علي دينار مقاليد الحكم في دارفور وجد أن الجزء الشرقي لدار الكوبي لاحاكم له، مع علمه التام بوجود السلطان عبد الرحمن فرتي في حاضرتة نورقوسي . والذي لم يُقَم أية علاقات سياسية مع سلطان الفور الجديد ، بل ظل يتربقب ويسمع ما يأتيه من أخبار من الفاشر . وكان علي دينار يتوقع من السلطان فرتي ان يشد إليه الرحال لتنهئته وتقديم فروض الطاعة والولاء له. لكن السلطان عبد الرحمن لم يفعل أياً منها بل ظل يتلصقاً ويتربقب . وفي هذا الجو السياسي الغائم وغير المستقر ، المشوب بالتوتر والحذر يتحين أبناء السلطان عبد الفقراء الفرصة ويذهبون الى السلطان علي دينار فيقدمون له الطاعة والولاء ، مطالبين في نفس الوقت استرجاع حكم ابيهم إليهم . فيعين السلطان علي دينار - أكبرهم- وهو ابراهيم ارض الشام ابن السلطان عبد الفقراء ، وهو من الأنفو - تبويراء - سلطاناً على دار كوبي . وفي غمرة السرور رجع

السلطان ابراهيم ارض الشام واخوته الى هرباء واتخذوا منها عاصمة لحكمهم ، بينما لم يزل السلطان فرتي في نورقوسي .

أثار تعيين أرض الشام حفيظة السلطان عبد الرحمن فرتي واعتبره تفويضاً للحكم ، واسترجع في ذاكرته محاولة التركية الماثلة لتجزأة الكوي بتعيينها السلطان راكب . ويعيد التاريخ نفسه .. فيرفض السلطان فرتي وجود سلطان آخر يشاركه . فأعد جيشاً صغيراً على عجل لغزو ديار السلطان أرض الشام .  
**معركة جوراء مقونوس:**

حدثت بعض المفارقات العجيبة صبيحة اليوم الذي خطط لذلك الغزو فقد زوى أن حسين كويبي بن عبد الفقراء رأى في الطم أن الفكي محمد زوج بنت السلطان فرتي يصفحه يداً بيد الأمر الذي فسره حسين بأن أمراً سيئاً سيقع قريباً .. والشئى الآخر أن السلطان إبراهيم أرض الشام وجد أن يده قد أصيبت بما يشبه الشلل المفاجئ وانها لا تقوى على إتمام الوضوء لصلاة الصبح الأمر الذي جعله يظن أن شخصاً قد "طبه" وان مكروها سيقع له ، و روى كل منهما لأخيه ماحدث له . وفي الصباح الباكر شن جنود السلطان فرتي هجوماً مباغتاً على ديم السلطان إبراهيم أرض الشام في "جوراء مقونوس" قرب هرباء . وما أن سمع حسين كويبي صوت رصاص الغزاة حتى بادر أخاه السلطان قانلاً : "إبراهيم ..الشهر هل!" ويقصد بذلك أن العدو قد هاجمهم . فيرد عليه السلطان إبراهيم "تلقظهم زي الكورنو!! أي نصيدهم جميعاً واحدا تلو الآخر بالرصاص دلالة على رباطة جأشه وثقته بنفسه ومن معه، ولكن حدث ما لم يكن في حسابهم ، وتتدخل الأقدار فتدخلهم بنادقهم التي عجزت عن إطلاق النار . ويقول الرواة إن بنادق اولاد عبد الفقراء كانت تقذف نرات من الماء بدلاً من البارود والرصاص . فكان الاعتقاد أن الفكي محمد صهر السلطان عبد الرحمن فرتي قد أفسد عليهم سلاحهم بروحانيته التي قيل انه يستمدها من نكره لله ودعائه عليهم . ودارت الدائرة على اولاد عبد الفقراء فقتل منهم ابراهيم ارض الشام واخوته حسين كويبي ومحمد هاشم واثنان من أصهاره وابن اخت له ورجل من اتباعه . ومن أبناء السلطان عبد الفقراء الذين نجوا من

معركة جوراء مقونوس عيسى وحامد ونجا ايضا اثنان من ابناء السلطان ابراهيم ارض الشام هما محمد قرجة وتيمان . فنكون لهؤلاء الرأي على أن يكونا بعيدين عن موطن قدم جيوش فرتي ، ففصدوا منطقة كتم وأقاموا فيها حينا وأسسوا قرية أسموها "نارو" . أما ابناء عبد الفقراء حامد وعيسى رجعا إلى دار كوبي بينما أثر ابناء ابراهيم ارض الشام البقاء في كتم.

وكانت لمعركة جوراء مقونوس اثارها السيئة في إنكاء نار الفتنة في داركوبي ، ويتجدد الصراع بين ابناء العمومة الجبراء والتبويراء مرة أخرى . لكن هذه المرة تتسع دائرة الخلاف وتشارك فيها عناصر أخرى جديدة تعمل على تغيير خارطة المنطقة بأسرها، وسنرى ذلك فيما بعد.

### فرتي يهدن على دينار :

لما تلقى السلطان علي دينار ماحاق بأبناء عبد الفقراء ومنهم ابراهيم أرض الشام ساءه كثيراً لأن الأخير كان قد نصبه بنفسه سلطاناً فعزم على الإقتصاص من السلطان فرتي الذي تنامى الى مسامحه مايدبره له سلطان دارفور . وحيال هذا الموقف وظف فرتي دهاءه وحنكته السياسية في البحث عن مخرج ،علما بأن مملكة وداي هي الأخرى تعمل على القضاء عليه . قرر فرتي استمالة علي دينار ومهادنته فبعث اليه مندوبه فكي محمد الذي رافق ركب الأميرة مستورة التي أراد فرتي تزويجها للسلطان علي دينار . ومن نفائس الهدايا التي رافقت زفة الأميرة الخدم والإبل والخيول الأصيلة وعلى رأسها الحصان فرامبوس الذي يعد من خيرة جياذ داركوبي قاطبة.

ولما بلغ الركب مشارف الفاشر إستقبلته ثلة من فرسان علي دينار ورافقتة إلى القصر حيث رحب بقومهم السلطان واكرم وفادتهم فزفت إليه الأميرة فكانت من أحب زوجاته إليه فأنجبت له الأمير تيجاني .

وفي غمرة فرحته وقمة سعادته غض السلطان الطرف عما كان ينوي ضد السلطان فرتي ، فأرسل هو الآخر هدايا كثيرة من بينها أربع نحاسات وأسلحة نارية

وكساوي الشرف وبعض العبيد والخدم. وبذلك أمن السلطان فرتي شر سلطان الفور ونفمته في وقت كان في أمس الحاجة إلى من يدعمه ويشد أزره تجاه الجبهات العديدة التي كانت تسعى للانقضاض على حكمه.

قرر السلطان فرتي بعد ذلك تنفيذ بعض ماكان يخطط له من غزو بعض القبائل التي كانت تزعجه من حين لآخر وذلك للانتقام منها وتأديبها فأرسل الجيوش الى أكثر من جهة ، فعادت هذه الجيوش منتصرة ، محملة بالغنائم والسبايا . وكان السلطان يسند قيادة هذه الغزوات إلى بعض من كبار أبنائه من أمثال برقو و نوسه وغيرهما ، كما كان يسنده أيضا إلى أبناء اخيه وقائد جيوشه الراحل عبد الشافع من أمثال سليمان و شرف الدين و شريف الذين كانوا الدروع الواقية وحماة حمى سلطنة كوبي والتي أصبحت في منعطف تاريخي دقيق.

دبلوماسية فرتي:

ينسب الى السلطان عبد الرحمن فرتي مقولة مفادها أن لغزو بلاد الغير وبسط النفوذ عليها لابد من أحد أمور ثلاثة: السلاح او العلم أو المصاهرة. فأوصى بنيه التركيز على التزواج من الشعوب والقبائل الأخرى التي تجاورهم بغية استمالتهم وتقوية أواصر الصداقة بهم ودرء شرهم.

وبناء على هذه الوصايا قام بغزوات عدة إلا أنها لم ترض طموحاته ولم تحقق أهدافه الكبيرة التي كان يرمي إليها . ففي العقدين الأخيرين من حكمه جنح إلى مهادنة خصومه والطامعين في ملكه بوسائل سلمية متخذاً من الزواج طريقاً إلى نفوس من اختلف معهم . فسعى إلى تأمين جبهته الداخلية فأوعز على أبنائه الزواج من كريمات الشخصيات ذوي النفوذ من عشائر الكوبي . ثم شجع اهله الأقربين أن يتصاهروا مع فروع الزغاوة الأخرى ، في حين قام هو بتزويج عدد من بناته الى زعماء قبائل مختلفة على النحو التالي:

1. زوج ابنته عاجبة للشرتاي الطيب صالح في دار قلا.
2. زوج ابنة له للملك محمد بن آدم صبي في دارتوار .

3. زوج ابنة له للشرتاي طاهر نورين في دار سويني.

4. زوج ابنة له للمقوم شريف الميدوبي في كتم.

5. زوج ابنة له للقائد آدم رجال في نيالا.

6. زوج ابنة له لسلطان القمر في كلبوس.

7. زوج ابنة له لسلطان الوادي في ابيشي.

8. زوج ابنة له لسلطان دارمساليت في الجينية.

9. زوج ابنته مستورة للسلطان علي دينار في الفاشر.

وكان لهذه الزيجات أكبر الأثر في إخماد نار العداوة والبغضاء التي كانت سائدة بين مملكة كوبي وماجاورتها من الممالك . فكانت بناته بمثابة سفراء له يمثله أينما حططن رحالهن بين القبائل والعشائر الأخرى . كما كن عبارة عن الجسر المتين الذي كان يربط عشيرة الكوبي بتلك الشعوب إلى يومنا هذا .

وعلاً بوصايا أبيه تزوج السلطان دوسه من قبائل أخرى خارج نطاق الزغاوة فتزوج من ابنة السلطان هاشم إدريس من القمر إضافة إلى ابنة المقوم يوسف شريف من الميدوب . كما اختار السلطان دوسه لبعض أبنائه زوجات من دار قلا ودار توار ودار سويني ودار أنكا ومن الداينقا في الفاشر .

**الخلاص بين الجبراء والتبويراء مرة أخرى:**

لم يكن السلطان فرتي يسلم من الضغائن والاحقاد الداخلية المترسبة في نفوس بني عمومته التبويراء الذين ظلوا يعتقدون أن الحكم في الأصل لهم وأنه اخذه منهم غصباً . وكانوا يتحينون الفرص للانقضاض على حكم الجبراء متى ماسنحت لهم . وكان يترغم هذه الحركة في مهدها حقار تيراب جيد أبتس الذي تربى في كنف السلطان عبد الرحمن فرتي منذ صغره ملازماً له كاحد أبنائه إلا ان تطلعاته الذاتية نحو السلطة لم تكن خافية على السلطان فرتي مما حدا بالسلطان فيما بعد- ان يتعامل معه بحذر ويضعه تحت رقابة غير منظورة .

**حقار يستثمر الخلافات الداخلية:**

عمل حقار ضمن حاشية الأمير اسماعيل دلدوم نائب والده السلطان عبد الرحمن فرتي . وبعد مقتل اسماعيل في معركة مقولا كورن صار يعمل في معية الأمير برقو . وفيما هم على هذه الحال نشب خلاف حاد بين ابني السلطان فرتي : نوسه وبرقو سببه المنافسة على مراكز القوى والسلطة مما جعل كل منهما يستجد بأخواله . فلجأ دوسة إلى أخواله بديات الأردبييه بينما جمع برقو أخواله البورسو ، ودخلا في عراك ضرب فيه برقو اخاه دسه في يده اليمنى فشلت جزئياً . فغضب السلطان وأمر أن يحضر اليه برقو بالقوة وتقييده أمامه لتأديبه عما أقدم عليه ، فلم يرض برقو بذلك اعتقاداً منه أن أباه السلطان لم ينصفه في نزاعه مع دوسة بل صار مناصراً له . وفي غمرة من الغضب والهياج خرج برقو من ديم أبيه تحت حماية أخواله وأنصاره - بما فيهم حقار - وهم يحيطون به وسوفهم مسلولة ومشرعة في استعراض للقوة .

هنا استتمر التبويزاء هذا الخلاف ، فاجتمع نفر من الذين قتل السلطان فرتي ابناء عمهم " أولاد السلطان عبد الفقراء" وانحازوا لبرقو وتبعوه وعلى رأسهم حقار تيراب والظيفة قادر وسبي خريف وعلي مرفعين خريف (علي مرفعيت هريب) وقرنو بحر وآخرين . وإثر هذه الحادثة هاجر برقو مع اهل امه البرسو وانصاره من التبويزاء الى هوجي بالقرب من هريياء . وهناك طلب منه انصاره الذهاب معهم الى السلطان يوسف زعيم وداي في أيشى وقابل السلطان يوسف زعيم وداي في أيشى ليبرجه على دار كوبي بدلاً عن أبيه الذي ترك وداي وتبع سلطنة الفور . فتحرك ركب الأمير الطموح الى وداي وقابل السلطان يوسف شريف الذي وعده خيراً وبشره بالحكم على أن يعود الى ايشى في وقت لاحق لاتمام المراسيم الخاصة بتتصيبه .

ولما سمع السلطان فرتي ما كان من أمر ولده برقو الذي يسعى للإنفصال عنه وإقامة مملكة أخرى ، ارسل إليه طالباً عودته للمصالحة إلا أن برقو رفض رفضاً قاطعاً ، فاشتكاه أبوه للسلطان علي دينار زوج الميرم مستورة شقيقة برقو الذي عمل جاهداً وتدخل بسرعة لرأب الصدع الذي يهدد عرش أنسبائه ، واستدعى برقو إلى الفاسر . فلما أتاه تحدث إليه، وتحت إلحاح شقيقته مستورة رضي بوساطتهما وعاد مرة أخرى الى

أبيه وتم الصلح بينه وبين أبيه من جهة، ومن جهة أخرى بينه وبين أخيه نوسة من جهة أخرى.

هذه المصالحة أغضبت حقار وجماعته من التبوراء ، واعتبر أن برقو قد خانهم ، و إن الأمور لاتجري لصالحهم ، وراودهم الشك والخوف في أن يقوم برقو بقتلهم بناء على أوامر أبيه انتقاماً لما أقدموا عليه. ففرروا ان يهادنوا السلطان فرتي حتى يأمنوا جانبه ، فاقترحوا على السلطان بأن يطف الطرفان اليمين ليطمئن الجميع بأن أحداً لا يضمّر سوء لأحد ليعيش الجميع في أمان . ويبدو أن السلطان لم يوافق على ذلك لكنه قال لهم : "الصلح واحد والعفو عام فلا داعي لحلف اليمين لأنه يضر الجميع". هنا ازدادت شكوك حقار وجماعته حيال نوايا السلطان فرتي ففرروا الرحيل في جنح الظلام ومعهم أحد الجبراء ( ابن عم الخليفة عبد) حتى وصلوا هوجي . واستقر رأيهم على السفر الى وداي التي احتلها الفرنسيون 1909م - ففعلوا ، وقابلوا سلطانها يوسف وابلغوه بأنهم أتوا هذه المرة ليدير حقار تيراب على سلطنة الكوي بدلاً عن برقو الذي خانهم وتصلح مع أبيه فاصبح تابعا لسلطان الفور . فلم يصدقهم في بادئ الأمر بل أمر بحبس حقار . ولما وصل خبر سجن حقار الى مسامع الفرنسيين بادروا بالتحقق من صحة ما زعمه حقار ولما تبينت الحقيقة أمروا باطلاق سراحه مع وعدهم له بتمكينه من سلطنة دار كوبي مقابل تقديم تسهيلات لهم لاحقاً.

#### \* وتفاقت الأحداث:

في هذه الأثناء سافر الخليفة قادر ، وهو أحد أقرباء حقار - من أبيشي الى هوجي كي ينظم البيوت والديم للسلطان المرتقب . وفي الجانب الآخر علم السلطان فرتي ان حقار قد عينه الفرنسيون وانه في طريقه الى هوجي ، الأمر الذي جعل السلطان فرتي يرسل ابنه نوسة على رأس بعض الفرسان على عجل للقضاء على حقار . ووقتوا غزوهم بوصول السلطان المرتقب إلى عاصمته، لكنهم فوجئوا بعدم وصوله . فقتلوا شخصين وأسروا طفلاً صغيراً لحقار اسمه فضل حيث قتل فيما بعد.

وو صل الخليفة قادر إلى هوجي ليجد آثار الغزو الذي خلفه نوسه ورجاله ، فما كان منه إلا أن جمع أقرباءه وذبحوا الأغنام وجمعوا ملابس كثيرة ومختلفة للرجال والنساء والأطفال ولطخوها بالدماء وذهبوا بها الى ابيشي وقدموها الى سلطان وداي والفرنسيين واخبروهم بأن تلك نتيجة ما فعله برقو الذي وددتم تعيينه سلطاناً . فها لهم مارأوا .

وغضبوا غضباً شديداً على السلطان فرتي الذي اعتبروه عجوزاً متعطشاً للدماء . وقرروا غزوه والفضاء عليه كما أنهم وجدوا اللليل الكافي والمبرر القوي لتتويج حقار سلطاناً . فقاد الفرنسيون جيشاً كبيراً من الجندمة ومعهم حقار وبعض التبويرة وتحركوا نحو وادي الطينة حيث كان يقيم السلطان عبد الرحمن فرتي جوار آبار قرعة .  
العوامل الدافعة لحقار لجلب الفرنسيين :

1. تصفية حسابات قديمة من ضمنها الأخذ بالثأر لأفراد أسرته الذين قتلوا على أيدي الجبراء ومنهم ابنه فضل وشقيقه ايبو وابن عمه اديقيري مغرب وخلافهم .
2. حجب الجبراء فرص الحكم عن البويراء الذين هم شركاء في السلطنة - اذ كانت فرصة الحكم من نصيبهم - فإن راكب جعل من امر حكمه مستحيلاً حتى اضطر الى ترك الديار ففضى نخبه في حروب المهديّة، وابراهيم ارض الشام قضى عليه وعلى حكمه في مهده .
3. شعور حقار بقرب تصفيته جسدياً من قبل السلطان فرتي امر واقع و وشيك .
4. ان الجبراء عمدوا على تهيش وضع التبويرة مما اثر في حياتهم اليومية التي اتسمت بالفقر والحرمان وشظف العيش حتى ان حقار تمنى لو يصبح هو او احد شقيقه جماً - لحاجتهم الماسة لراحة في سنة المجاعة - فرد عليه شقيقه ايبو متهمكاً : " أما أنت تريد ان تكون سلطاناً وهذا شقيقنا الصغير ..إننا المقصود بأن أكون جماً!!".

5. كان حقار يشعر بالمرارة لأنه لم يكافأ من الجيراء نظير ما قدم من ضحايا إبان ملازمته الطويلة للسلطان فرتي وخلال صحته ومرضه ، وفي حطه وترحاله . كما لم تشفع له قرابته الخاصة للجيراء عن طريق أمه نوروو التي تتحدر من أصل الجيراء.

كل هذه العوامل مجتمعة أوصلت الصراع إلى ذروته وحفزت التبويرة لانتقام، فاستعانوا بالفرنسيين .. ولكن يطرأ سؤال هام ، من الذي يقودهم؟ .. انه حقار الذي عرف اسرار بيت السلطان ومدخله ومواضع الضعف في حراسته . كما لا يخفى على أحد أطماع المستعمر الفرنسي في تلك المنطقة الاستراتيجية الفاصلة لأنها بإحتلالهم لها تعطيهام مكاسب هامة على الأرض وموطئ قدم في مكان متقدم ، مما يضعهم في مواجهة مع الانجليز ، يمكنهم منها التنازع على الحدود والتفاوض من موقع القوة.

**اتفاقية لم تتم:**

في الوقت الذي كانت فيه الاستعدادات تجري على قدم وساق لغزو سلطنة الجيراء عمد الفرنسيون الى مغازلة السلطان فرتي لجس نبضه لمعرفة نواياه الحقيقية وما اذا كان بالامكان عقد اتفاقية سرية معه- رغم انف التبويرة - حقناً للدماء ووصولاً الى ما يصبون اليه بدون جهد او عناء. فأرسلوا الى السلطان فرتي مبعوثاً ليخبره بالخطة التي يتم بموجبها دمج حكم سلطنتي الكويي واسناده اليه ، على أن يكبحوا جماح حقار وعزله مقابل ان يتبع للسودان الفرنسي بدلا عن علي دينار الذي يتبع هو نفسه للانجليز بطريقة غير مباشرة.

**جمع السلطان فرتي خالصاه ومستشاريه واخبرهم بموافقته للخطة لأسباب عدة منها:**

- 1- انه كل ومل من عدم الاستقرار الذي عاشه طيلة السنوات السبع السابقة.
- 2- انه ظل في عدااء مع وداي وسلطنته شقت الى شطرين وصار حقار امرا واقعا لامناص منه مادام الفرنسيون يؤازرونه بدون حدود.
- 3- انه لم يجد من السلطان علي دينار - زوج ابنته - ما كان متوقعا منه رغم مصاهرته له ودفعه للضرائب التي يؤديها كل عام ، فلم يجد مقابلا لها طيلة سني المحنة التي عاشها متنقلا الى الشرق حيناً والى الغرب حيناً آخر . كما لم يهب علي

دينار لنجدته بارسال جيش يقف في وجه وداي او الفرنسيين ، او على اقل تقدير يعينه على بعض نوابب الدهر التي أمت به وهو السلطان الهرم غير الفادر على الحركة ، والمحمول دوما على الاكتاف وهو ضعيف ايضا من الناحية السياسية .

4- موت اخيه وقائده عبد الشافع الذي كان يلجأ اليه في الملمات الكبيرة ومن ثم مقتل ابنه الخليفة احمد واسماعيل للدموم في معركة مقولا كورون جعله في وضع ضعيف من الناحية العسكرية .

5- ان منطقة داركوبي الواقعة في تشاد هي اكبر من تلك التي في السودان ، وهي تعني الكثير بالنسبة للجبراء فهي المنبع والجزور .

6- انه بمهادنته للفرنسيين يكسب حمايتهم له وبالتالي تنتهي القطيعة بينه وبين وداي.

لهذه الأسباب مجتمعة وافق السلطان فرتي على ما اقترحه عليه الفرنسيون ووعدهم بارسال مبعوث خاص منه يحمل وجهة نظره والاسس التي تتم بموجبها الإتفاقيه ، على أن يصل اليهم في وقت معلوم . وسافر مندوب السلطان ليقابل الفرنسيين . وحينما وصل دار القمر أفضل سلطانها حسن كندوقاي بن يعقوب اوراق الخطة بالقبض عليه وحبسه ثم قتله ظنا منه انه جاسوس يسعى للاتصال بالمستعمر الفرنسي الذي لم يخف اطماعه ايضا لدار القمر ودار المساليت.

### مقتل السلطان عبد الرحمن فرتي

غضب الفرنسيون لتأخير مندوب السلطان فرتي إليهم عن الوقت المتفق عليه واعتبروا السلطان مراوغاً وغير جاد وانه اخلف وعده معهم متعمدا وعن سوء في القصد ، كما شككوا في نواياه وجديته وبالتالي صدقوا مايقوله عنه حقار . وفي هذا الوقت كان السلطان مطمئناً وفي غفلة من أمره ، يظن ان مبعوثه قد التقى بالفرنسيين وان الامور تجري على مايرام.

وصل جيش الجندرمة الغازي الى مشارف أبار قرعة بعد عيد الأضحى وقضوا ليلتهم في الضفة الغربية لوادي الطينة ، والسلطان حفار مرشدهم الى الطريق والوقت المناسب ويزودهم بالمعلومات التي جمعتها الاستخبارات العسكرية منه .

وفي صبيحة يوم الإثنين الخامس من شهر مارس 1912م وبينما كان الناس نياما، هجم الجندرمة والتبويراء دار السلطان التي لم يكتمل بناؤها ومن حولها بيوت اولاده واهله وعشيرته هجوما مباغتاً وامطروهم بوابل من رصاص بنادقهم الحديثة فسقط الكثير من الرجال والنساء والاطفال في مجزرة كبرى . وكان برقو يرابض عند باب وراية (ديم) السلطان ويزود عن ابيه ويطلق الرصاص في كل اتجاه ببسالة وصمود نادرين وكان يغني مفتخرا حيناً وهاجيا الغزاة حيناً آخر . وكان في معيته اخوه الصغير بشر (أمه من بنات التوار) ينقل اليه الرصاص من داخل بيت أبيه السلطان ويبدل له البنادق حتى اطلق عليه ابناء مارقى الرصاص وأردوه قتيلاً ، كذلك خر برقو صرعا بعد ان أبلى بلاء حسنا ونفذت ذخيرته.

وتقدم قائد الجندرمة والسلطان حفار وبعض الغزاة الى داخل بيت السلطان الذي اعدته الشيخوخة والمرض فوجدوه ممدا على سريره وقد اسئل سيفه وصار يكيل الشتائم على حفار ومن معه ويصفهم بالجبناء. ذهل الفرنسيون فأحجم قائدهم عن قتل " ذلك الشيخ الطاعن في السن والذي هو آيل للموت دون قتل " . هنا تقدم أحد التبويراء ويدعى عبد جوقو وأشار الى نيمان بن ابراهيم ارض الشام قائلاً له : " هذا هو الرجل الذي قتل اباك فخذ بتأرك منه " . فهجم نيمان على السلطان وطعنه بحربة كبيرة "سلكاية" في عنقه. فمات السلطان عبد الرحمن فرتي عن عمر يناهز المائة واثني عشرة عاماً . ونهب الغزاة بيت السلطان وأخذوا الكثير من الغنائم من بينها نحاسات السلطان الثمانية التي استولى عليها حفار .

وكان من الذين قتلوا في مجزرة بئر قرعة كل من:

1- السلطان عبد الرحمن فرتي.

2- ومن أبنائه واولاد بيته

برقو - شايبو - شريف - بشر (طفل).

موقو وشرف الدين - وهما شقيقان أهمهما من الكيرقو - قتلا في هامي.

صندل (قتل بعد عشرة أيام) - باب الله - سوقو (امرأة)

هشيم (وليد تاقا) - مرسال داميرقي - بلال -

3: ومن أقربائه ومن تواجدوا :

الملك احمد جو (تبوقي) - اسحق - كورسو - فكي ضو البيت - دورقي - مفار -

نخيل كمبي - كاديدي (طفل)

أما أبناؤه الذين نجوا من تلك المجزرة هم.

توم وتيمان - فاشر ولبس - ادريس وعلي ونور .

اما دوسه فلم يكن موجودا عند وقوع الغزو اذ كان قد استدعاه السلطان علي دينار الى

الفاشر وأرسله في بعض حروبه .

كما نجا ابناء عبد الشافع الثلاثة سليمان وشرف الدين شريف.

لم يجد الجيش الغازي مقاومة تذكر ، فعسكر في مكان ليس يبعد عن بئر قرعة

، وبقي فيه محتلا المنطفة . ورجع السلطان حقار المنتصر الى هوجي بالغنائم والنحاس

. فقابلته زوجته كرارا ام طفله المقتول فضل التي لم تكف عن البكاء ، فزغردت لأول

مرة لما علمت بانتصار زوجها الذي أخذ بتأر ابنها فغنى السلطان حقار قائلاً :

"سوراء تقينو حوري بنار قيفي جاقى.. كرارا نبيه نسييرقي؟"

ويقصد : "إنني قضيت على ذلك الأسد الهصور (يعني به السلطان فرتي) الذي يهابه

الناس ، بكل سهولة ، فلماذا تبكين يا زوجتي كرارا وقد أخذت لك بتأر ابنك فضل؟"

ويعد ذلك اتخذ السلطان حقار من مردو عاصمة لحكم التبويراء قبل أن ينتقلوا منها الى

هريباء ويتخذون منها عاصمة ثابتة لسلطنتهم.

الأسباب التي أدت الى هزيمة السلطان فرتي

لقد اجتمعت أسباب مباشرة واخرى غير مباشرة سارعت كلها وعملت على إلحاق الهزيمة بالسلطان .

الأسباب المباشرة :

1- عنصر المباغثة في الهجوم ، اذ لم يكن السلطان مستعدا وفي وقت كان الناس فيه نياما .

2- ان السلطان كان مطمئنا ومتيقنا ان الفرنسيين سوف لن يهاجموه بناء على اتفاهه معهم وارساله لمبعوثه اليهم.

3- عدم التكافؤ في العتاد والسلاح اذ ان السلطان كان يواجه قوى عظمى متخذة من الطينة مسرحا ، في وقت تبحث فيه عن المستعمرات وتتنافس من أجلها معظم دول أوروبا الغربية وخاصة بريطانيا العظمى وفرنسا.  
الأسباب غير المباشرة:

1- ضعف نفوذ السلطان فرتي وقلة شعبيته نتيجة مرضه المقعد المزمن وطعنه في السن .

2- تأصل الغيرة والحسد لأبنائه واقرب الناس اليه ومحاولته التفضيل بين ابتائه الامر الذي اذكى نار الفتنة بين دوسة وبرقو - في صراع على السلطة فيما يبدو، عمن يخلف السلطان بعد موته - وماتبع ذلك من تحزب الناس حولهما .

3- الشعور بالغبين والاضطهاد لدى ابناء أخيه عبد الشافع انطلاقا لما لمسوه في السلطان عبد الرحمن فرتي من سوء معاملة وحسد رغم انتصاراتهم الكثيرة في غزواته . ففي مساء يوم الأحد الرابع من مارس 1912 الذي سبق الغزو ، وفي ظروف غامضة ، استدعى سليمان وأمر بتجريدته من السلاح وتقييده ثم حبسه . وماكان سليمان ليقاوم عمه أو يعصيه بالرغم من غضب اخويه شريف وشرف الدين ومحاولتهما لمنعه من تنفيذ أمر السلطان . وجاء الملك أحمد جو زعيم عشيرة التبوقي الى السلطان فرتي وكان مقربا منه ، ليجد سليمان على تلك الحالة فنصح السلطان قائلاً له : "ان ابو سليمان هذا ابن اخيك الذي أرزك وأرسي قواعد حكمك بشجاعته واخلاصه ، وانك تعيش الآن حالة

من عدم الاستقرار . وقد تحتاج اليه والى اخويه في الظروف الصعبة. ولا ندري ما تخبئه الأيام، وما تأتي به الأقدار من حرائق غير متوقعة وغزو مفاجئ لم يحسب له حساب". وتعهد ان يضمنه تحت مسؤوليته على ان يحضره اليه في صباح اليوم التالي . وافق السلطان على مفضل واطلق سراح سليمان وذهب الى داره بينما عاد الملك احمد الى قريته التي لا تبعد كثيرا عن ديم السلطان وبات ليلته فيها . وفي صباح اليوم التالي ، قبيل الفجر ذهب أحمد جو إلى السلطان فرتب لتحيته وليوفي بوعدده . وتزامن وجوده في بيت السلطان مع وقوع الهجوم المفاجئ فاستشهد الملك احمد جو مع من قتل ونجا سليمان من موت محقق، مما تركت هذه الحادثة اثرا سيئا في نفوس اولاد عبد الشافع .

عندما وقع الغزو وسمع سليمان صوت المدافع والبنادق شد حصانه على عجل وحمل ببندقيته واخبر اخويه شرف الدين وشريف انه ذاهب للدفاع عن عمه السلطان ومناضرتة . لكن شقيقه شرف الدين منعه قائلا: " .. وتقول انك تريد ان تتخذ اباك ياسليمان . فلتعلم ان اباك هو الذي مات ويرقد في قبره في بئر هريباء". وبالرغم من ذلك اصبر سليمان على الذهاب ، فما كان من شرف الدين الا ان حشا البندقية بالرصاص واقسم ان يطلق عليه النار ان هو تقدم خطوة نحو بيت السلطان ، وأردف قائلا: " ألا تعلم لولا ارادة الله ولطفه كنت ستبيت في الأسر والقيود ليقتضي عليك النصارى؟" عندها أيقن سليمان جدية أخيه فيما يقوله ، فنزل عند رغبته ، فركب ثلاثتهم خيولهم واتجهوا ببطء نحو الشرق حتى تمركزوا في التلة المرتفعة التي اقيمت عليها سفحانة الطينة القديمة . يقول الرواة ان بعضا من اتباع السلطان حفر حاولوا تعقبهم فأطلق ثلاثتهم النار عليهم وعلموا انهم اولاد عبد الشافع فكفوا عن ملاحقتهم.

وفي الضحى عاد ابناء عبد الشافع ومعهم بعض الأهالي لدفن موتاهم بما فيهم السلطان فرتب في الطرف الشرقي من وادي الطينة جوار أبار قرعة في بقعة كثيفة الاشارة لظليلها ، وشيدوا سورا من الحجارة (جانق) - فيما بعد- لتلك المقبرة الجماعية التي تقف اليوم شاهدة على التاريخ وتنبئ بأن الغزاة مروا من هناك.

4- استدعاء علي دينار لابنه دوسه الذي عرف بشجاعته للفاشر جريا وراء عادته في الطلب من الملوك وزعماء العشائر ان يرسلوا له ابناؤه ، فبعث اليه شريف الذي اشترك في جيش علي دينار في حربه ضد الفكي سنين زعيم التاما في كبايية . ولكونه أميراً ، كان شريف معتزاً بنفسه لايرضى الضيم لكن آدم رجال قائد جيش السلطان اراد ان يحط من قدره ، لذلك أمر شريفا ان يحارب في صفوف الجند ، لكنه رفض ذلك الامر واخبره بأنه يجب أن يحارب في صفوف القواد والفرسان من من أولاد الملوك ولما احتد النقاش بينهما وجه شريف الشتائم والكلمات النابية للفائد كما وجه مثيلاتها للسلطان علي دينار الذي ما ان علم بما جرى حتى اضمر السوء بشريف وأثر على الإنتقام منه وقتله ، لكنه أرجأ معاقبته فيما بعد وفي الوقت المناسب.

وبعد مضي عدة شهور ارسل علي دينار للسلطان فرتي يطلب منه ارسال ابنه شريف لأمر هام والتشاور معه لتعيينه قائدا لجيشه المتجه لإحدى غزواته وانه سوف يعطيه مكانة مرموقة بين سائر قواده عقب عودته من الحرب . كل هذه المغريات كان باطنها الاضرار بالسوء والقتل مع سبق الاصرار ، وكان شريف على علم بتلك المصيدة . اما السلطان فرتي فقد أثر أن يخطف هذه الأضواء لابنه دوسه الذي كان يفرد له مكانة خاصة في قلبه ، كذلك لم يرسل برقو انما ارسل منافسه وخصمه .

5- كان موقف الكوبي من غير الأنفو سليبا ولم يشتركوا في الحرب الفطية لأنهم لاشأن لهم ولادوافع مثل أصحاب الحكم الذين يصنعون الأحداث ويديرون المعارك ويموت كثيرون منهم فيها فداء لحكمهم واستمراريته . هذه القبائل التي انهكها التنقل من والى سلطنة وداي .. مرة للشرق واخرى للغرب جراء الغزوات والحروب .. ركنت للاستجمام والاستقرار . نستثي منها الجماعات التي لها روابط دم ومصاهرة مع أفراد البيت الحاكم والتي ارتبط مصيرها بمصير الأسرة الحاكمة .

6- لم يجد السلطان الدعم المتوقع من صهره السلطان علي دينار طيلة فترة حياته ، كما انه لم يأبه بأخذ الثأر من قتلته.

## الحالة بعد مقتل السلطان

بعد أن ووري السلطان فرتي ومن قتل معه الثرى اختير عيسى حسب الله وشخص آخر لينقل نأ مقتل السلطان الى صهره السلطان علي دينار . وعندما وصلا قوز بينه غربي مدينة الفاشر تخلف رفيق عيسى مدعيا بالآم حادة في معدته تحول دون مواصلته السير معه . وفي الحقيقة انه كان خائفا من ان علي دينار سيفتله اذا حمل اليه ذلك الخبر الأليم . ومضى عيسى قدما الى السلطان وأنبأه بما لديه من اخبار كما التقى دوسه وقدم له التعازي في مقتل أبيه السلطان عبد الرحمن فرتي.

وكانت حالة الناس بعد مقتل السلطان في غاية السوء، حيث جمع الموجودون شملهم وقرروا الرحيل في مكان آمن يمكنهم التحصن فيه لحماية أنفسهم ، فرحلوا الى كرنوي في بادئ الأمر ومكثوا فيها حتى بداية 1913م ثم تابعوا سيرهم الى منطقة بول جمل وقضوا فيها الصيف من نفس السنة التي اتسمت بالجفاف ولم تهطل فيها الأمطار قط ، فسميت "أوقينو بييري - Uginu Bereh" . ونسبة لتفشي القحط والمجاعة انتقلوا الى كباكية "أبو دونقو".

وفي نفس السنة 1913 قرر السلطان علي دينار تعيين دوسة سلطانا بدلا عن ابيه المقتول واعطاه خاتم الملك واربعة من النحاس وهناك روايتان حول عودة السلطان الجديد- دوسة - الى اهله :

الأولى: انه لم يعد الى اهله بعد تدرجه مباشرة اذ تزامن وجوده في الفاشر مع الزحف الانجليزي لدارفور حيث اشترك في موقعة سيلبي في صفوف جيش السلطان علي دينار الذي انهزم فيها . ولما انسحب علي دينار قاصدا جبل مرة كان في معيته الى ان وصلوا ملم وهناك سمح له السلطان علي دينار بالرجوع الى اهله سنة 1916.

الثانية: عاد السلطان الجديد الى اهله الذين رحلوا لتوهم الى كباكية عام 1914م والذين شعروا بالفراغ السياسي بمقتل السلطان فرتي ، اذ ظلوا بلا سلطان طيلة السنة الماضية (1913) فأجمع ابناء السلطان فرتي وأبناء عمهم عبد الشافع على أن ينصبوا اكبرهم سنا ليكون سلطانا ، فوقع اختيارهم على فاشر عبد الرحمن فرتي فأجمعوا عليه وباعوه .

ولما أتاها السلطان دوسة لم يتفق الناس عليه لأنه معين من قبل السلطان علي دينار الذي اعتبروه مقصرا تجاههم ومع سلطانهم المقتول ، لذلك لم يتمكن السلطان دوسة من الإقامة معهم ، فأقام في منطقة أخرى مع شقيقه توم وتيمان واهل امهم بديات الاردبيه الذين فرحوا بتصيبه وأزروه .

هنا لم يرض فاشر ومناصروه وجود سلطان آخر . ولما اشتد الخلاف ووصلت المفاوضات الى طريق مسدود وتحزب الناس الى فريقين كل يناصر سلطانه . وفي هذا الجو الملبد بالمخاطر اغار فريق فاشر المكون من ابناء عبد الشافع الثلاثة ولبس وعبد الرحمن شرارة الذي خدم في جيش علي دينار ويملك الأسلحة النارية ، غاروا على معسكر السلطان دوسة واستطاعوا ان ينزعوا منه نحاساته الأربعة . ولم يلبث أن شن عليهم السلطان دوسة وجماعته هجوما مضادا ، وحينما اقتربوا من مساكن خصومهم اطلق احد رجاله طلقة من بنديته تحذيرا لمن يوبون غزومهم ليستعدوا لكي لا يؤخذوا على حين غرة . فاستشاط السلطان دوسة غضباً على ذلك الرجل الذي افشل خطته المباغته فاعتذر له على ان الرصاصة انطلقت عن طريق الخطأ .

والتقى الاخوة الأعداء في موقعة " أم قوي" التي اسفرت عن هزيمة السلطان دوسة ورجاله ، ولم يتمكنوا من استعادة النحاس واقامة الأفراح ظنا منهم ان حكم فاشر قد ثبت ، لكن الحرب سجالات بين الفريقين خمس مرات اخذ فيها مجموعة ابوفاشر النحاس مرتين واستعادها السلطان دوسة مرتين . وفي هذه الأثناء اندلعت الحرب العالمية الأولى وكانت سنة ملأى بالمشاكل والحروب فسموها "ويقي نوبيري Wegi Noo Bereh".

لم يصل الطرفان لحل خلافتهما وصراعهما على الحكم ، فظلا في قطيعة دائمة ، حتى سمع السلطان علي دينار بتلك الفتنة ، فاستدعى الطرفين الى الفاشر ، وتم الصلح بينهما بأداء القسم والتزام الطرفين بينود الإتفاق ، وتنازل فاشر عن الحكم للسلطان دوسة وسلمه النحاس ، وعاد الاخوة الى اهليهم متحدين ظاهريا وانتقلوا جميعا الى بيماراء 1915 حيث انتشرت الآفات الزراعية خاصة الجراد الذي أتلّف مزارعهم فأطلقوا على تلك السنة "أقيمي بورجو بيري - Egemy Borjo Bereh" .

## كيراباء عاصمة للسلطنة:

في سنة 1916 قرر الجيراء الرحيل الى ارض اجدادهم كيراباء حيث قبر جدهم السلطان طه وابنه السلطان اتيه واحياء عاصمتهم فيها . ففضوا فيها أسعد واحلى سني حكمهم ، ونعموا بالاستقرار وعم الرخاء في البلد ، وبدأ الناس ينسون الصدمة التي تركتها في نفوسهم مجزرة قرعة وماتبعها من ترحال والصراعات التي تجمت وقتئذٍ .

### الخلاف مع القمر :

بعد مضي سنتين من الإنتقال الى كيراباء وقع خلاف بين السلطان دوسه والسلطان ادريس زعيم القمر على ملكية بعض الأراضي ، فالسلطان ادريس كان يزعم بأن منطقة كيراباء ورهد لوتي " لوتي كيي" و منطقة ماعون وشديب تقع ضمن حدود ادارته فيما يزعم السلطان دوسه ان منطقة كليكل وعد السمح وجموقون وحوجي وكاراء ورهد بورجو تتبع له علاوة على منطقة كيراباء التاريخية وماجاورتها من أمصار .

وتطور الخلاف وفشلت المفاوضات ولم يبق سوى الخيار العسكري لحسمها فجهز كل من السلطانين جيشه استعدادا للحرب ، فتدخل معتمد الجنيبة ومفتش كتم لفض الخلاف . وطلبا من السلطانين تقديم الأدلة الثبوتية لاحقية كل منهما لتلك المناطق . فقدم السلطان دوسه شهودا من رعية الشرتاي الطيب صالح وشاهدا من الكوي يدعى الفكي داؤود حيث حلف اليمين بأن الارض للسلطان دوسه بينما رفض الشاهد الذي قمه السلطان بوسه ان يحلف بل قال : " الأرض ارضنا لكنني لأحلف الكتاب" وبذلك انتهى النزاع لصالح السلطان دوسه وتم الصلح ورسم الحدود ، وتزوج السلطان دوسه ابنة السلطان هاشم ادريس فيما بعد تتويجا لتلك المصالحة .

وكان السلطان دوسه ابانئذ يحكم دار الكوي من بلتين بوخسا حتى كرنوي ، ومناطق هاء تويو في هلالية ودي بيروي وقردي كلها تتبع له وكانت عاصمة القلا في عهد الشرتاي الطيب هي مورشيافية . و نسبة لشهادة الشرتاي الطيب لصالح السلطان دوسه في نزاعه مع سلطان القمر ، سر منه كثيرا وتنازل له عن كرنوي والمناطق المنكورة أعلاه.

## زمان كيراباء(كيراباء بوع1916 - 1923)

على الرغم من النزاع الحدودي مع القمر والمجاعة والفحط والخلافات الداخلية بين الأسرة الحاكمة والشعور بالهزيمة وفقد الأهل والحزن المائل في وجود الأرامل واليتامى ، الا ان الجبراء استطاعوا تامين استمرارية حكمهم رغم كل العقبات والصعوبات . وكانت كيراباء فروسهم المفقود حيث قضوا فيها سبع سنوات من الازدهار والرخاء ظلت من الكوارث والحروب والمجاعات فأطلقوا على السنة الأولى لإقامتهم بها "بوربور بيرئي". ابلغ ما قيل عن زمان كيراباء وصف المرحوم عبد القادر احمد عبد الرحمن حيث قال : "كنا في زمان كيراباء نعيش أفضل الظروف الحياتية حيث نعمنا فيها بالإستقرار السياسي فعم الرخاء وكثر الخير والمطر، واخضرت الأرض فاكتست حطة خضراء ، و امتلأ النزرع والضرع كما أفاضت الاودية والرهود بالماء الرقاق ، فلا تسمع الا زغاريد الصبايا وشققة العصافير ونقيق الضفادع ، وترى إبلهم ترعى في السهول ..يا لتك الأيام ..ايام كنا لا نشعر ولا نهتم بتسارع الليل والنهار ، ولا يتبدل فصلي الصيف والخريف .. ترانا نمتطي صهوات جيانا وتلعب مع الحسان الفاتتان الرقصات المحببة الينا ، والشباب في اللهو البريء غارقون وكأن بعضهم يتعرض للكسر من فرط قفزهم المبالغ في اللعب و"تط الشوك"! لترويح عن الشباب اهمها السباق الذي كنا نشترك فيه فنسبق الريح عدواً ! والفايزون الاوائل يهديهم السلطان جوائز من الصابون الذي كان شيئاً نادراً جداً . كانت ملابسنا - على قلتها - نظيفة - بيضاء. وتتبارى النساء في لبس اجمل حلپهن وكلهن على أيامنا" فنجريات" اي راقيات، يرقصن النقارة والنحاس ، كل الناس فرحون ..مبسوطون ..ميسورو الحال - تلك أيامنا .. ويالها من أيام ..انها زمان كيراباء ، جنة الله في الأرض".

### الطينة "تونا":

في عام 1923 ارسل السلطان حقاّر مناديل الى السلطان بوسه في كيراباء يحذره وأهله من البقاء في كيراباء وعليهم الإنتقال الى منطقة أخرى أبعد منها او يدخل معهم في مفاوضات للصلح بعد أن يملي شروطه عليهم ، على أساس انه المنتصر في

الحرب 1912. هذه الحادثة استفزت مشاعر السلطان دوسة والاسرة الحاكمة وأثارت شجونهم . قال السلطان دوسة لمبعوثي السلطان حقار : انه لايتخذ قرارا دون استشارة اولئك اليتامى فاستدعى كل رجال الحكم على عجل فقرروا في لحظة الغضب تلك - قتل اولئك المناديب واعلان الحرب على حقار ، لكن السلطان رأى غير ذلك فطلب منهم الإبقاء على حياتهم مقابل أن يطفوا بنقل وصيته بحذافيرها الى سلطانهم وهي ان الجبراء توافقون للأخذ بالثأر وانهم يتحنونه ان ينازلهم في وادي الطينة وانهم قرروا نقل عاصمتهم من كيراباء الى الطينة . فاطلوا سبيل المناديب وعادوا من حيث اتوا . وقرر الجبراء قبول التحدي بالعودة الى حيث استشهد اهلهم والاقتراب من حقار ونقلوا العاصمة الى الطينة 1923م. وبدأ الناس الانتقال التدريجي اليها بينما ظلت كيراباء على اهميتها كمحافظة زراعية لسكان الطينة.

وفي العام 1924 اجتمع الانجليز والفرنسيون وهما الحليفان ، بعد الحرب العالمية الأولى تطبيقا لبنود اتفاقية سايكس - بيكو التي تم بموجبها تقسيم المستعمرات بين الحلفاء المنتصرين . وتم ترسيم الحدود الغربية بين السودان الانجليزي المصري والسودان الفرنسي . وكان وادي الطينة احد معالم الحدود . واتخذ رهد اندور في الجنوب وبامناء في الشمال نقاطا هامة للخط الوهمي الفاصل .

وفي السنة الأولى لانتقال الجبراء الى الطينة حدثت مجاعة شديدة مما اضطر معظم السكان حيالها بالعودة الى كيراباء حتى تحسنت الأحوال ولم يتم الانتقال النهائي الى الطينة الا في 1926م.

ومن جراء هذا التقسيم الاستعماري الذي شطر الكوبي نشأت سلطنتان للكوبي ، الغربية تحت امرة التبويراء في مرويء حيث نظها السلطان حقار الى هريباء ومات عام 1924 فخلفه السلطان عبد الرحمن منذئذ. و الشرقية يحكمها السلطان دوسة عبدالرحمن في حضرته الطينة حتى توفي في عام 1981.

وبالتالي ظل زغاوة الكوبي موزعين في الدولتين (السودان وتشاد) . واستمرت الروابط الأسرية والتراثية في حالة تواصل دائم ، بينما ظلت العلاقات السياسية

والإجتماعية مقطوعة بين السلطنتين على مر السنين بالرغم من المحاولات التي بذلت من أطراف عديدة للمصالحة . وكانت مظاهر التوتر تلوح في الأفق من وقت لآخر تنذر بنشوب الحرب بين فرعي الانقور (الجبراء والتبويراء) وهما أبناء عمومة.

## الفصل الرابع: الصراعات السياسية في تاريخ الكوبي

مقدمة:

كما ذكرنا في الفصل الثالث ان سلطنة الكوبي انشطرت الى جزأين بفعل الغزو الإستعماري الذي إنتظم المنطقة بعد سنة 1912، أحدهما في تشاد تحت إمرة فرع التبويراء ، والشطر الآخر بقي في السودان على أيدي الجبراء . وخلق هذا الوضع عداء مستحكما بينهما ادى ذلك الى الدسائس والكيد والجنوح الى الثأر والإنقام . وكثيراً ما نشأت التحرشات بين السلطنتين وقد استغل المعارضون للسلطنتين هذا الموضوع للوصول الى أهدافهم وطموحاتهم السياسية . وكان من الأساليب المتبعة أن يلجأ هؤلاء المعارضون الى البلد المعادي من أجل النكاية والتشفي بسُلطان منطقتهم . فكان الذي يعادي السلطان في الطينة مثلاً يهاجر الى هريباء في تشاد أو العكس كضرب من اللجوء السياسي . وكان هذا الإسلوب يثير الغيرة والغضب والحسرة في نفس سلطان المنطقة التي يعارضها المعارضون، بينما يستقبلهم السلطان الآخر بكل الترحاب والغبطة . وقد كانت هذه الظاهرة يطلق عليها العامة بكلمة "كسر" كناية عن أن المعارض قد عبر أو كسر الحدود الى البلد الآخر المعادي.

ومن اكثر الأسباب التي تؤدي الى الهجرة الصراع على الحكم أو الشعور بالظلم عند الفصل في القضايا او عدم الرضا عن فئة ضريبة القطعان والجزية واسلوب المحاباة والتفرقة بين الناس فرضها وجمعها وخلاف ذلك . وجدير بالإشارة الى ان ما كان يجمع بين أفراد المجتمع بدار الكوبي يفوق كثيراً عما كان يدعوهم الى الفرقة والشتات ، ولكننا سنورد نماذج وأمثلة لبعض أهم تلك الأحداث.

من يحكم بعد فرتي :

لاشك ان مقتل السلطان عبد الرحمن فرتي سنة 1912 قد ترك فراغا سياسيا كبيرا لأنه لم يفظن الى تعيين من يخلفه ابان حكمه الطويل ، فنشب صراع على السلطة . اذ لم يتقبل بعض أبنائه وابناء اخيه بتصيب ابنه دوسة من قبل علي دينار في الفاشر . ولما عاد دوسة ، انقسم الناس الى فريقين احدهما يؤيد فاشر والآخر يؤيد دوسة . واستفحل الخلاف مما أدى الى الاقتتال بين أفراد الأسرة الوحدة .(انتهت المشكلة بالتصالح والتراضي وتثبيت السلطان دوسة بشروط).

### ملحوظة:

ان الفترة التي اعقبت الصراع الاول بموت السلطان فرتي لهي جديرة بالتمحيص والمتابعة وهي الفترة التي شهدت بداية الخلافات في عهد السلطان دوسة وهي فترة هامة للأسباب التالية:

أولاً: لأنها فترة زمنية طويلة (1912-1981) تميزت بالاستقرار لخلوها من الحروب داخلية كانت ام خارجية او خلافها كالأوبئة والكوارث الطبيعية والمجاعات التي كانت تجمع الناس وتوحدهم لمجابهة مايتهدد السلطنة. ففي مثل هذا الجو المستقر نسبيا يتفرغ الناس للسياسة الداخلية والامور الشخصية والبحث في مطالب الحكم . اما الحاكم يزداد نفوذه ويقوى سلطانه فيعمد على تامين جبهته الداخلية بأساليب قد تضر بمصالح بعض افراد العائلة الحاكمة. ويبدو أن هذا وذاك قد تمثلتا في اذكاء الفرقة والشقات داخل الأسرة الحاكمة الجبراء . وكانت عاملا رئيسيا في اضعاف سلطنة الكوبي في الطينة . وتجدر بنا ان نشير الى ان وضعا مماثلا كان سائدا في فرع التبويراء في هريباء.

شعر بعض الجبراء ان المصالحة التي تمت بينهم وبين السلطان دوسة بأشراف علي دينار لم تكن عاقلة وانها كانت تفتقر الى الضوابط التي تضمن تنفيذ بنود الصلح . فقام اولئك النفر بسحب ثقتهم في مصداقية السلطان دوسة واحقيته في الحكم ، فعمدوا على معارضته جهرا ولكنهم في نفس الوقت احسوا بان المعركة سوف لن تكون متكافئة لأن دوسة يسنده السلطان علي دينار ومن بعده الإدارة البريطانية . وحيال هذا الوضع قرر كل من فاشر عبد الرحمن وشرف الدين عبد الشافع وابني اسماعيل عبد الرحمن

اندوسه والزيير ومعهم اسرهم واصهارهم الهجرة الى منطقة مايباء في تشاد ضيوفا على السلطان حقار خصم السلطان دوسه الا أن المقام لم يطب لهم اذ سرعان ماتشأ سوء تفاهم بين الضيوف ومضيفهم.

وفي خلال هذه الفترة كانت الوساطة لعقد مصالحة بينهم والسلطان دوسه مستمرة . فبعد سنة واحدة اثمرت جهود الوساطة فوافقوا على العودة الى كيراباء وتصالحوا معه . فكافأ السلطان دوسه مقدمهم بإسناد منصب الخليفة لمنطقة كيراباء وضواحيها الى اخيه "أبو فاشر" والحاج شرف الدين عبد الشافع على منطقة أورسينق وكرينك وشطيب وماجورها وبذلك طابت نفوسهم وتواصلت الأرحام.

### تموين الحرب العالمية:

تزامنت هذه الفترة مع سني الحرب العالمية الثانية (1939-1945) حيث كان السودان تحت الإدارة البريطانية . وكان من سياسية الحلفاء كسب واستقطاب الرأي العام للشعوب التي يستعمرونها في صالح حربهم التي كانوا يخوضونها ضد ألمانيا النازية، وذلك بتشجيعهم على الإنخراط في صفوف قواتهم المسلحة عن طريق الإعلام وبتوزيع المواد التموينية كالسكر والشاي والملابس ، وهذه الأخيرة كانت أكثرها فاعلية وصدى في إماله المواطنين لحاجتهم الملحة لهذه المواد الإستهلاكية النادرة حينئذ . وكانت الإدارة الانجليزية تستعين بزعماء العشائر في توزيع هذه المواد للأهالي .

وفي 1947 تنمر بعض النفر من أسرة الجبراء الحاكمة في الطينة من الطريقة التي كان السلطان دوسه يوزع بها "التموين" بحجة أنه كان يستأثر بالجزء الأكبر منه لأسرته الخاصة في حين أن الرواسب القديمة في الفرقة والشتات من زمان كيراباء ظلت تطل برأسها من وقت لآخر . وازاء استيائهم قرر كل من الحاج داوود عبد الرحمن والحاج نور عبد الرحمن وطي عبد الرحمن وشريف عبد الشافع وأدم فنجري عبد الرحمن ولبس عبد الرحمن وعبد الله منقاري عبد الرحمن وعيسى عبد الرحمن ومصطفى فاشر ويوسف فاشر وبشارة فاشر عبد الرحمن وعبد الله برقو ويوسف شرف الدين والزيير اسماعيل دلدوم ونور الدين احمد قرروا تصعيد الموقف ووضع حد لما احسوا به

من غبن ، فبعثوا ابراهيم عامر عبد الرحمن مندوبا عنهم ليفاوض السلطان نوسه في نقاط الخلاف ومنها :

عدم تطبيق السلطان دوسة بنود اتفاقية الصلح التي تمت بينهم في الفاشر . كما انه عمد على حرمانهم من الوظائف الحكومية التي آلت الى ادارة الكوبي في الطينة، اضافة الى اجحافه في توزيع المواد التموينية التي كانت تأتي مجانية من الإدارة الإنجليزية للمنطقة عامة . فرض السلطان دوسة اسلوب التفاوض لأنه رأى فيه التحدي والإهانة له الأمران اللذان لم يتوقعهما من رعيته . فعاد مندوبهم ونقل اليهم فحوى مقابله للسلطان ، فأستقر رأيهم على نقل مظلمتهم الى مفتش المركز في كتم الا ان عيون السلطان اوعزوا له بما يبيته خصومه من نية فبادر باستدعائهم من كيراباء الى الطينة ، فلما لم يجد الاجابة سبقهم بالشكوى ضدهم الى المستر شارلس مفتش المركز الذي أمر بإعتقالهم وسجنهم ستة أشهر ، فتمردوا على البقاء في سجن كتم فنقلوا الى سجن خير خنقا في الفاشر .

وكان لسجنهم هذا أثر كبير في تأليب واثارة حفيظة كثير من أهالي الطينة الذين توافدوا على كتم والفاشر لمؤازرتهم ، فاكسبت قضيتهم شهرة واسعة ، ونالت عطف وسند قطاعات عريضة من زغاوة الكوبي، فهزت ادارة السلطان نوسه ، وكانت البداية لأحداث أخرى.

عاد المحكوم عليهم بالسجن بعد قضاء فترة العقوبة للطينة ناقلين على كل ماله صلة بالسلطان نوسه، غير انهم لم يجاهروا بالعداء المسافر تحوطا ، الا ان الهدنة لم تطل بين الطرفين . فسرعان ما تأججت نار الفتنة اثر مشادة كلامية في مجلس السلطان نوسه بين افراد المجموعة المغبونة مع السلطان فاستفحل الجدل والنقاش بين الفريقين ، واتسعت هوة الخلاف فلجأوا الى السلاح الأبيض لحسم النزاع ، ودارت مشاجرة عصر ذلك اليوم من 1949م وعلى أثرها قررت المجموعة المعارضة الهجرة الى ماياء في تشاد .

\* بينما كانت الاسرة الحاكمة من الجبراء في أتون الخلافات والحرب سجال ، ظلت ذرية سالم بن السلطان طه بعيدا عن الحكم رغم ما لعبوه من دور فعال في المساهمة لتمكين ابناء عمومته من أبناء آدم من السلطة في دار كوبي . فكان الخليفة عبد سندا قويا للسلطان فرتي اiban سعيه لطلب الحكم من وداي . وكذلك الحال مع السلطان حقار حين عمل على تجزأة سلطنة الكوبي والافراد بجزء منها . وحيال هذا الموقف احس أولاد سالم بالحرمان وانه ان الأوان للسعي لأخذ دورهم في الحكم لأنه لا أمل من ان تؤول السلطة إليهم تلقائيا رغم المؤازرة التي قدموها من قبل .

وفي عهد السلطان نوسه شعر فضل عشر وأخوه الحاج نور عشر وغيرهما من ذرية سالم ان السلطان يبغضهم دون وجه حق ويونما امر جنوه . فدخل فضل عشر في مشادة كلامية حادة مع السلطان دوسة في إحدى جلساته أسفرت عن خلاف كبير وخصومة ، الأمر الذي جعل فضل عشر وشقيقه الحاج نور ان يهاجرا الى تشاد مع اسرهما . فحطوا الرحال أولا في رهد جبل عود "جبلوت" ولكن لم يطب لهم المقام فرحلوا الى منطقة نواء الحدودية بين تشاد ودار القمر ، فاتصل فضل عشر بالسلطان بحر الدين اندوكة سلطان دار المساليت الذي عينه عمدة لتلك المنطقة . وظل بعيدا عن منطقة نفوذ السلطان نوسه حتى توفي في الأربعينات (عام 1947م) دون ان يبلغ ماكان يريده . فواصل أخوه نور عشر مابدأه هو ليكمل مشواره فاشتكاه السلطان نوسه في كتم حيث تم القبض عليه وسجنه سنتان هناك . كما أشتكى السلطان أيضا سكان نواء بتهمة عدم دفع الجزية بتحريض من نور عشر فادخلوا الحراسة أيضا في كتم . وبعد ان قضى نور فترة سجنه حدد الإنجليز إقامته واشترطوا عليه ألا يذهب إلى الطينة . وبالمقابل ألا يدفع الجزية للسلطان نوسه . وعاد نور إلى دار الزغاوة وقد اشتري نحاسه الخاص من مصر لينافس به نحاس السلطان نوسه فاكسب لقب السلطان نورعشر ولم يكف عن ضرب نحاسه في منطقة عدة سدر ودواء ، وكان ينحر الذبائح ويقيم الولائم. انزعج السلطان نوسه ايما انزعاج من هذا الرجل الذي نصب نفسه سلطانا

، وكانت الأخبار تأتي إليه من جرجيرة بأن نور صار يخطف الأضواء ويحظى بإهتمام قطاعات عريضة من سكان جنوب السلطنة .

كما بدأ سمعته وشهرته تنتشران بسرعة . ولما رأى السلطان نوسه أن القوة لاتجد فتيلًا تجاه نور عمد الى امالته ومهادنته بالاستعطاف واللين ، فوسط احد اقرباء نور عشر وقدم اليه الدعوة لزيارته - من قبل كانت علاقتهما مقطوعة - في الطينة ، فلما أتاه بادر السلطان قائلاً: " يا بني انني اريد ان اصاهرك لكي ننسى الماضي ونعيش بدون خلافات ، وسأخصك ببعض الحكم لتعيش عليه فيما بعد " . ولم يفت على نور مكر السلطان ودهائه وظن انما اراد السلطان ان يوقعه في الفخ بعزفه على وتر القرابة والمصاهرة فرد عليه بحدة وبغير ما احترام "يادوسه .. من فينا تعتقد غيبا !! انني اريد ان اكون سلطانا مثلك وانت تريد ان تكفلني وتبويني تابعا لك؟! فكيف نفق؟! " وانتهى اللقاء على عجل ولم يتفق الرجلان ، كان ذلك في العام 1955.

وأطل في السودان فجر جديد من الحرية والاستقلال والسيادة في الاول من يناير 1956 بعد معاناة طويلة تنامت فيها الروح الوطنية وانتظم السودانيون في الأحزاب السياسية التي برزت وقتئذ، فانضم نور عشر الى الحزب الوطني الاتحادي اما السلطان نوسه فقد انضم الى حزب الأمة . وسافر نور عشر الى الخرطوم والتقى زعيم حزبه اسماعيل الأزهري وشكا إليه أمره مستأنفا عما حاق به من ظلم على يدي السلطان نوسه والمستعمر الانجليزي والدكتاتورية التي مورست ضده ، فأخبره الأزهري بأن السودان بلد حر لكل السودانيين ، وهم فيه أحرار في حلهم وترحالهم ويحق لهم الإقامة أينما ارادوا فوق ترابه بحرية مطلقة . وحصل على البرأة (الشهادة) التي تفيد ذلك ، وعاد بها الى دار الزغاوة فرحا مسرورا و لكنه أثر الذهاب الى سرباء ومكث عند صديقه الفرشة ابراهيم عناقي الذي عينه عمدة واستقر فيها نهائيا حتى وافته المنية في الستينات من القرن العشرين .

## حركة الفلتيك

واجهت إدارة الكوبي في كل من السودان و تشاد صعوبات هزت كيانها. و كبرى تلك المشاكل الحركة التي اصطلح عليها "الفلتيك"، وهذه الكلمة وليدة الثورة التشادية أساسا. فقد حرفت عن اللفظة الفرنسية "بوليتيك" والتي تعني السياسة. أما طبيعة الصراع بين ادارة الكوبي في الطينة ومعارضيهما تكمن في رفض المواطنين لكثير من الأساليب التي تتخذها الإدارة الأهلية في تسييس وتسيير الحكم والتي اصبحت بالية وعفا عليها الزمن، وصارت لا تتماشى وتطلعات الشعب الذي جعل الوعي السياسي فيه ينمو باضطراد بفضل انتشار التعليم والمعرفة. احس المواطنون أن الفرصة قد سنحت حينئذ في عرض مطالبهم، ورد الحقوق و اشعاع اسس الشورى والديمقراطية في اتخاذ القرار واصدار الأحكام، وذلك لما كانوا يشعرون به من غبن وحرمان.

ففي عام 1962م وفي عهد الحكم العسكري برئاسة الفريق ابراهيم عبود، و ابان تنفيذ مشروع حفير (أخزان) باساو في ضواحي الطينة اجتمع نفر من المواطنين وقرروا مقابلة السلطان بوسه لنقل وجهة نظرهم في امر شخص أودع في الحراسة في ظروف وملايسات لم يكن فيها مذنباً، وان ظلما قد حاق به نون مبرر. تم اللقاء ولكنه سرعان ما إنفض لعدم محاولة السلطان مجرد السماع لوجهة نظرهم، وانتهت المقابلة - التي كانت عاصفة - بمشادة كلامية مشوية بالتحدي والتهديد من الطرفين. وتأججت نار الفتنة فانتشرت أخبارها بسرعة وانقسم الناس الى فريقين فتبع معظمهم الشق المناوئ للسلطان، فأطلق عليهم "الفلتيك" لتأخذ اللفظة بعداً ومعنىً جديداً وهو "المنشقون". واستمر النزاع و اتخذ صوراً متعددة لمقاومة أوامر الإدارة في الطينة.

وكانت أولى صور المقاومة والتحريض لكافة المواطنين ضد الإدارة الأهلية وذلك بعدم تسليم ضريبة القطعان والدقنية لمناذير السلطان بوسة والعمل على خلق ادارة منفصلة يكون مقرها باساو مع اقامة محكمة شعبية والمطالبة بإنشاء خدمات صحية وتعليمية وخلافهما بالقرب من مزار سكن المواطنين حتى لا يضطروا لشد الرحال الى

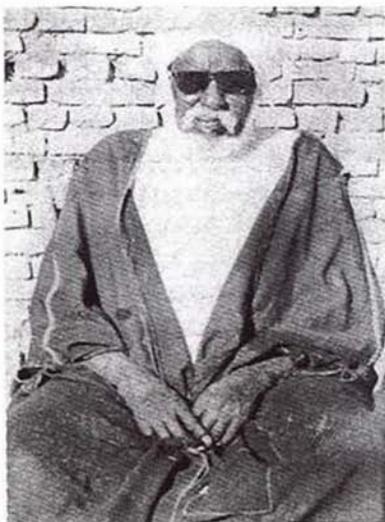
الطينة حاضرة السلطان نوسة الذي رفضوا الإذعان والخضوع لإدارته ، كما طالبوا بعدالة توزيع الوظائف الحكومية التي تخصص لإدارة الكوبي.

وقد ذهب وفد ممثل للمتشقين الى رئاسة مركز شمال دارفور في كتم حاملا معه شكاوى ومطالب من انتدبوه غير أن السلطات التنفيذية في كتم هي الأخرى جعلت تماطلهم ولم تسع في النظر الى الشكاوي المقدمة متغلة بأن المعلومات المتوفرة لديها من قبل الإدارة الاهلية في الطينة تفيد أن الإمرور تسير على مايرام وأن من أتى شاكياً له دوافع سياسية محضة ، وليس له أي مزالمة حقيقية تستحق النظر فيها . وعليه فقد انعكست الآية على المندوبين فأصبحوا المتهمين بدلاً عن المظلومين ، فأرسلوا الى حيث أتوا منها ، فعادوا الى باساو وهم حزاني على أنهم كانوا أكثر إصراراً لمواصله ما بدأوه من مشوار . فاجتمعوا بالمواطنين و ابلغوهم بما رأوا وما سمعوا من السلطان في كتم . وبعد تفويم و تمحيص الموقف اجمعوا على المضي قدما بجمع توقيعات الحضور وتبرعاتهم دعماً للجولة القادمة. ثم تكونت لجنة بدلا عن الوفد وقد توسعت دائرة عضويتها وتمثيلها فشملت مناديب لكل القرى ، وشدوا الرحال مرة أخرى الى كتم ، فجاعوها واتخذوا من وادي كتم معسكراً فنصبوا خيامهم قبالة مجلس ريفي كتم ليكونوا أكثر قربا ولفتا للانظار من السلطات التنفيذية . وجددوا مزالمتهم وشكاوهم ، فيما عملت لجنة فرعية تابعة لها مقرها الفاشر للتعبنه وسط الكوبي والاتصال بسلطات المديرية.

اما في الجانب الآخر فكان السلطان نوسة يعمل حثيثا لدحض ما يثيره معارضوه من اتهامات بارسال التقارير مع مندوبيه إلى كل من كتم والفاشر موضحا ان اولئك النفر لايمثلون رأي الأغلبية ، وانهم مجرد فئة خارجة عن القانون ومحرضة ومتمردة ضد دفع الضريبة والانصياع الى اوامر حكومية كما يحاول تقديم الأثلة الثبوتية لدعم ما يقوله .

استمر النزاع سنين عديدة فوصل الصراع قمته مع اندلاع ثورة اكتوبر 1964م والتي كانت تصفية الادارة الأهلية احدى شعاراتها الاساسية ، وألغت حكومة جبهة

الهيئات التي تشكلت عندئذ بإلغاء "الدقنية" وهي الضريبة التي كان يدفعها الفرد عن نفسه عند بلوغه سن الرشد ، وكانت نظرة الناس إليها بمثابة الجزية التي كان يدفعها غير المسلمين.



( \* السلطان دوسه عبد الرحمن فرتي )

تحمس المنشقون من الكوبي في هذه الأونة و يدفعهم الأمل الذي كانوا يعلفونه على ثورة الشعب ومبادئه ، ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن ، فأطلت الأحزاب السياسية التقليدية - حزب الأمة و حزب الوطنى الإتحادى والحزب الشيوعى و جبهة الميثاق الإسلامى - برأسها فاحتفى كل من الفرقاء المعنيين بحزب يعينه على خصمه فوقف حزب الأمة مع السلطان دوسه ، فيما أيدت جبهة الميثاق الاسلامى المنشقين .

ويأخذ الصراع طابعا قوميا ، ويدخل منعطفا تاريخيا دقيقا . وليت الأمور تقف عند هذا الحد ولكن الصراع يتفاقم فيما بين الاحزاب السياسية ذاتها في النصف الأول من عام 1969 فيقطف الجيش مرة أخرى ثمار الديمقراطية ويند شجرتها ويستولى نظام مايو على مقاليد الحكم في البلاد . ومن سخرية القدر ان نظام مايو نفذ إحدى بنود ثورة أكتوبر فصفت الادارة الأهلية في عموم السودان . وبذلك شملت إدارة دار الكوبي فهذا

النزاع بين السلطان دوسه والفتيك على الصعيد الظاهري ، الا ان سمات الفرقة والبنغضاء سادت المنطقة طوال سني حكم السلطان دوسه حتى مماته عام 1981م.

### الفصل الخامس : الكبقاء KABGA

الأصل :الكبقاء او البيقي "Beegee" فرع من زغاوة الكوبي لهم سلطنتهم الخاصة بهم بمعزل عن الأنفوس ، وهي السلطنة الثالثة للكوبي بعد التقسيم الذي طرأ في عام 1912. و البيت الحاكم يتكون من ثلاث أسر هي الكورنوسيرء والأنايرء وتركة سعيد "سنيد كابي" . ويرجع انحدارهم السلالى الى السلطان تاورنق الذي هو جدهم الأكبر . ويقول الرواة والابخاريون ان الكبقاء من بني كعب (كاب) المعروفة في الجزيرة العربية . وأصل تسميتهم بالكبقاء نسبة الى جبل كبقاء في تشاد ، ويطلق على الفرد منهم "كبقراء" . أما تسميتهم "بالبيقى" فترجع الى عاصمتهم الأولى فى "بيقى بيه" ، ويملك سلطانهم نحاسين يضربان فى الأعياد المختلفة.

شجرة نسب الكبقاء:



وظروف غامضة . وأل الحكم من بعده الى ابنه السلطان برقو ، وخلفه السلطان نورين الذي حكم سنتين فقط .

وشهدت دار الكبراء فترة من عدم الاستقرار في الحكم تميزت بقصر مدة حكم السلاطين الذين وصلوا الى سدة السلطنة . حيث انتقل الحكم بعد السلطان برقو الى السلطان عبيدة بن السلطان توم الذي لم يحكم سوى سنة واحدة وتوفى ليحكم بعده السلطان محمد شرف الدين "جقوي" بن السلطان نورين لكن حكمه لم يدم الا سنتين . والجدير بالذكر أن بعض هؤلاء السلاطين كانوا يتبعون إدارياً إلى دار المساليت التي حاضرتها مدينة الجنيئة عن طريق سلطان القمر في كولبوس .

وفي عهد السلطان عبد الله برقو أتبَّح المستعمرون الفرنسيون في تشاد سلطنة الكبراء هناك لتكون تحت إمرة سلطان الأنفو تبويراء في هريباء ، حتى خطت الحدود السودانية التشادية 1924م بواسطة الاستعمار الانجليزي والفرنسي. فصار رهد اندور حدوداً جغرافية بين التبويراء في تشاد والكبراء الذين أُعيدت تبعيتهم للسودان . فأل الحكم الى السلطان آدم عبيدة في العام 1927 فشهد حكمه فترة عاصفة اتسمت بالعنف اذ كان شديداً في أحكامه لدرجة التعسف مما جلب عليه استياء الناس وتذمرهم وكثرت الشكاوى ضده . ولم يكن على وفاق حتى مع افراد الاسرة الحاكمة لليفي ، كما كان في خصومة مع السلطان دوسة عبد الرحمن فرتي في الطينة . وفي احدى المرات منع السلطان آدم افرادا من الجبراء (الأسرة الحاكمة في الطينة) عدم الزراعة في منطقتي طنضباية وناناء مما أغضب السلطان دوسة وجعله يشهد ضده مدعماً شكاوى سكان كبراء المطالبين باقصائه من الحكم نتيجة ظلمه وبطشه وسطوته واقدامه على بعض الأعمال التي لاثيق بمكانته كسلطان . فكان ان عزله الانجليز من عرش الكبراء في العام 1947م بعد حكم دامت مدة عشرين سنة.

كره السلطان آدم البقاء في طنضباي بعد ذهاب ملكه فأثر الهجرة الى منطقة هريباء في السودان الفرنسي (تشاد) حيث كان يتولى مقاليد حكم فرع زغاوة الأنفو التبويراء ابن عمته السلطان عبد الرحم حقار والذي اكرم وفادته ورحب به وأشار اليه

بالاقامة في قرية جفراباء المتاخمة لحدود السودان ، والتي يمكنه موقعها الجغرافي من اثاره الفلّج ومناوشة خصومه من الكورنوسيراء الذين حلوا معه والجيراء الذين كانوا السبب المباشر الذي عجل بعزله . وكان في معيته عدد غفير من ذويه وعشيرته من الانايراء مؤازرين له في محنته .

أمّا السلطان عبد الرحمن شرارة فأغلب الظن انه حكم الكبفاء بعد مقتل السلطان علي دينار 1916 حيث كان مسئولاً عن أسلحة جيش الفور . والجدير بالذكر ان عشيرة تركة سعيد لم يستلم مقاليد الحكم منها سوى السلطان باري الذي كان فارساً شجاعاً .

### السلطان حسن برقو :

هو حسن بن السلطان برقو بن السلطان حسن و ينحدر من عشيرة الكورنو سيراء وقد عين سلطاناً على دار الكبفاء عام 1947 عقب عزل السلطان آدم عبيدة . عرف عنه استقامته وورعه وتقواه لذلك ظل محبوباً من رعيته لتواضعه الجم . ولم تكن تشغله عرض الدنيا ، فأشاع العدل في مواطنيه الذين نفرهم حكم سلفه . وفي عهده قرر الانجليز اتباع ادارة الكبفاء اسماً الى ادارة الكوي في الطينة على ان تكون لها شخصيتها الاعتبارية المميزة كسلطنة وادارة ، وان تكون العلاقة المباشرة بينهما هي الجزية والضريبة وحضور الزفة ، والنظر في القضايا الكبيرة، إذ رأى الانجليز انه ليس من المنطقي ان تتبع فصيلة من الزغاوة إدارة القمر ومن الأخرى أن يلم شممهم مع عشيرتهم من الكوي في الطينة . وتم فصلهم من معتمدية الجنيّة وادارة القمر واتبعوا لادارة السلطان بوسه رغم المعارضة الشديدة التي ابداهها الكبقاراء في بادئ الأمر ومطالبتهم بالاستقلالية على ان يتبعوا لمفتش المركز في كتم كسانر فروع قبيلة الزغاوة الاخرى. ورضوا بالامر الواقع وضغط الانجليز .

أهم معالم في داركبقاء:

القرى والحلال:

طنضباية - جرجيرة - دمانيك - سوقوني - تَقْرُوبِيه - سِيْقِيي - نائء - بويورون -  
بيقي بيه - نَقْرِيه .

الأودية والوديان:

رهد اندور - رهد ساساء (خزان) شيك بيجير - سواء تَقْفِي - تلة قوزبان (قوسبان).

## الفصل السادس

### دور الزغاوة في الثورة التشادية

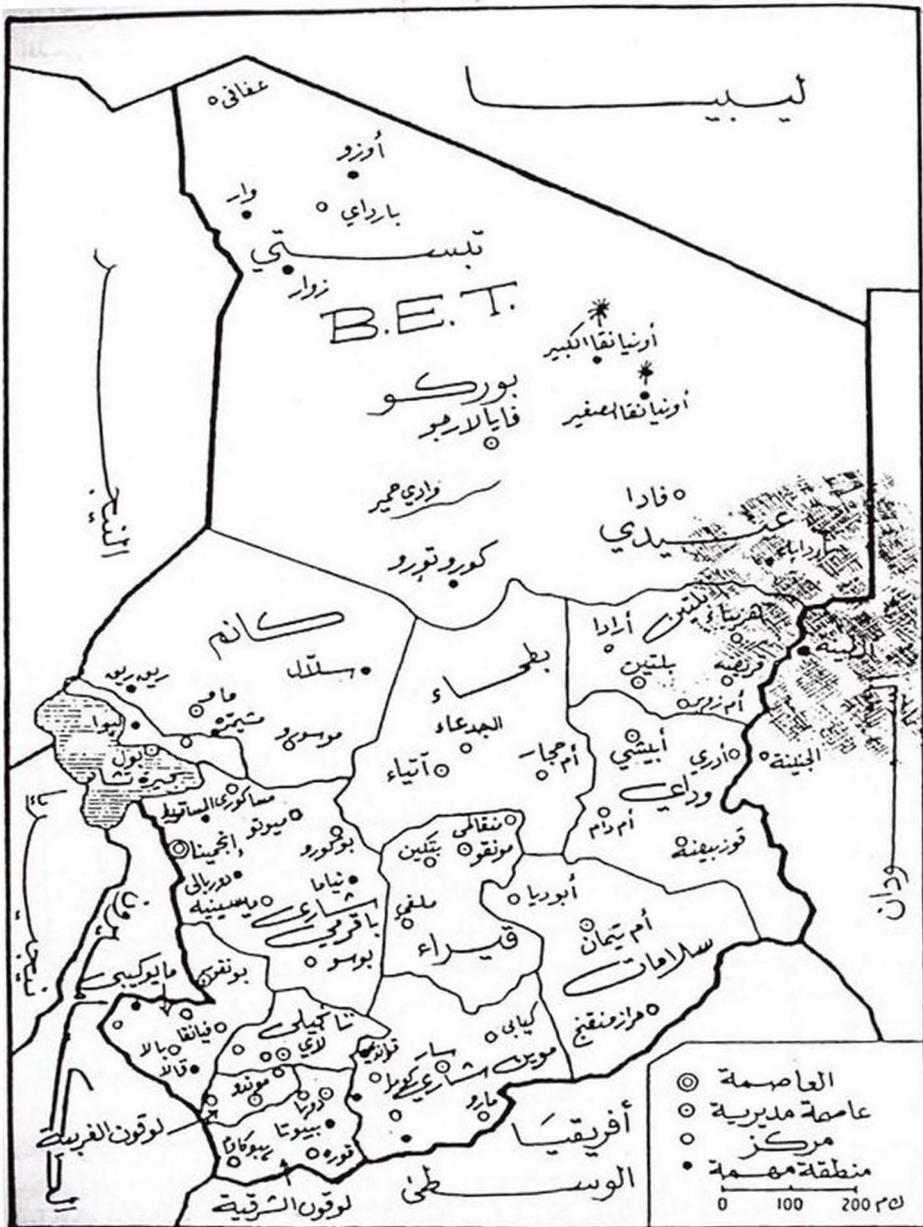
مقدمة:

لكي يتضح لنا الدور الذي لعبه الزغاوة في الثورة التشادية ،علينا إعطاء خلفية تاريخية عن تشاد . فقد نالت استقلالها عن فرنسا في العاشر من اغسطس 1960م وتبلغ مساحتها 128400 كيلومترا مربعا . وكانت تتكون من اربعة عشر مديرية تسع منها في الشمال ويشكل المسلمون فيها أغلبية مطلقة . وفي هذا الجزء قامت ثلاث من كبريات الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا وهي مملكة كانم التي أسست في القرن التاسع وانتقل ملوكها الى برنو . ومملكة باقرمي التي يرجع تاريخ تأسيسها الى القرن السادس عشر . ومملكة وداي التي أسست في القرن السابع عشر وبلغت ذروتها في القرن التاسع عشر .

اما المديرية الجنوبية الخمس فيعطنها خليط من الأجناس واغليبيتهم من الوثنيين والمسيحيين واكبر القبائل فيها الساراء مجنفي التي ينتمي إليها الرئيس السابق فرانسوا تمبل باي وساراء كابا .

وكما رأينا في هذا الباب فإن تاريخ زغاوة الكوي قد ارتبط جزء كبير منه بمملكة وداي التي قضى عليها الغزو الفرنسي لتشاد عام 1911م ونفى سلطانها دود مزة الى

فورت لامي ومات هناك في الحبس . ومن ثم قتل الفرنسيون سلطان الكوبي عبد الرحمن فرتي سنة 1912م. ويرسم الحدود بين السودان وتشاد سنة 1924م أسفر عن تجزأة زغاوة الكوبي والبديات إلى قسمين . وعند إنشاء المديرية في تشاد اتبع زغاوة الكوبي - ومركزهم هريباء - و تابعين لمركز بلتين والتابع لمديرية ايشي والتي تضم ايضا القبائل التالية : وداي كدوي (أبو سنون) برقو - تاما - عرب - ابوشاري (مراريت) ميما - اسنفور - مساليت - داجو سيلا -



(\* خريطة رقم 8 لجمهورية تشاد تبين التقسيم الإداري وامتداد الانتشار السكاني للزغوة فيها)

بينما اتبع زغاوة البدايات في اقليم عندي الى المديرية الشمالية (BET) وعاصمتها فايا لارجو والتي تضم ايضا اقليمي بوركو وتبستي وهي من أكبر مديريات تشاد ، وسكانها القرعان والتويو وزغاوة البدايات.

خلال عهد الإستعمار الفرنسي لقي الشعب التشادي كل صنوف الظلم والاضطهاد والتسلط والقهر والتعذيب من الادارة الفرنسية متمثلة في المفتشين وقوات الجندرية والشرطة "القومية" وانظمة الادارة الالهية . فرضت الضرائب الباهظة على القطعان والمواشي والدقنية "الجزية" مع اتاوة سميت مجازا "الدّين الوطني" في حين ان الخدمات الاساسية من الصحة والتعليم وخلافهما كانت معدومة . وعانت المديريات الشمالية ذات الأغلبية المسلمة اكثر من غيرها هذا الحرمان الذي أدى للتخلف المتعدد من قبل الادارة الفرنسية السابقة والحكومة الوطنية اللاحقة التي هدفت الى تقوية ودعم المسيحيين في الجنوب . واضعاف واذلال المسلمين في الشمال . فكان التناقض واضحاً بين "فورت لامي" و التي تعنى "قلعة الجنرال لامي" العاصمة في الجنوب والتي كان يطلق عليها باريس افريقياً وبقيّة عواصم المديريات.

### مابعد الاستقلال ومولد جبهة فروئينا:

تسلمت أول حكومة وطنية إنتلافية مقاليد الحكم في تشاد عقب الاستقلال في 11 أغسطس سنة 1960م برئاسة ساولبا (من محافظة مايوكيبي) من الجنوب ولم يطل في الحكم حتى خلفه أحمد غلام الله (جلّابي من أصل سوداني) رئيساً للوزراء لمدة سنة واحدة . وقد عمل على تعريب الدولة مما أثار مخاوف الفرنسيين الذين لم تنزل نفوذهم قوية آنذاك . فنحّى أحمد غلام الله وانتخب فرانسوا تمبل باي رئيساً للجمهورية في عام 1962م. وعمل فور انتخابه - وبطريقة إنقلابية - على حل كل الأحزاب التي كانت قائمة وقتذاك وهي حزب الإيميساء و A.N.T ( ايه إن تي ) وأبقى على حزبه ايرديا A.R.D.E.A. ليطبق نظام الحزب الواحد ضارياً بالديمقراطية والتعددية الحزبية عرض الحائط . وازاء اجراءاته تلك اعلن حزب A.N.T برئاسة ابراهيم ابيجي ومحمد أبا

سكرتير الحزب وزعماء آخرون معارضتهم المفتوحة فكونا الجبهة الوطنية لتحرير تشاد.

The Liberation Front of Chad (Front de Libération du Tchad or FLT



(\* فرانسوا تمبل باي)



(\* مقاتل من جبهة فرولينيا)



(\* محاربون من فرولينيا في إمامها الأولى)

والتي عرفت إختصاراً بـ "فرولينيا" (فرونت ناسيونال لبراسيون نو تشاد) لتشمل تحت مظلتها كل المعارضين. وكان ذلك في مؤتمر حركات التحرر الأفريقية الذي عقد في أكرا (غانا) بمباركة الرئيس الراحل كوامي نكروما سنة 1962م فانتخب الدكتور أبا صديق رئيساً للجبهة ومحمود أبا سكرتيراً لها في 1966/6/22. وكانت الروح الوطنية والمد الثوري قد تناميا بين قطاعات عريضة من أفراد الشعب التشادي الذي لم يعد يسكت على الحرمان وكبت الحريات مما ساعد على انخراط الكثيرين في جبهة الفرولينيا التي كانت الامل والخلص من تسلط تمبل باي وحزبه مما أدى الى قيام حركات

عصيان مدنية وانتفاضات شعبية في مناطق عديدة من الجزء الشمالي لتشاد مثال ذلك الحركة التي قادها الشيخ علي فاضل شيخ قبيلة السلامة وصهره محمد ابراهيم في منطقة ام التيمان . فأخذت طابع ثورة ديتية ولكنها اخمدت في مهدها.

وتوالفت حركات ثورية أخرى في عدة مناطق من تشاد اهمها حوادث فورت لامي بقيادة جبريل خير الله ومحمد أبا وجان بتست زعيم المتيس والتي بدأت في شكل عصيان مدني احتجاجاً على الظلم الواقع على المسلمين المستهدفين دائماً من السلطة حيث كان الكردي والجندمة يقومون بإستفزازهم ويأتون بأمور مخلة بالآداب في الأماكن العامة ، علاوة على السلب والنهب والصاق التهم جزافاً بالأبرياء وإذلال المواطنين أمام نويهم وذلك من منطلق كراهيتهم للمسلمين . فقررت إدارة تمبل باي القبض على مثيري تلك الأحداث إلا أنهم قاوموا السلطة فكانت المواجهة وتم إخماد حركتهم ، فوجدت الحكومة الفرصة لاعتقال الفعاليات من شمال تشاد نون تمييز وزج بهم في السجن وكان ممن شملهم ذلك الإعتقال نصر عبد الله برقر رئيس البرلمان آنذاك وهو من زغاوة الكوبي وبرمة مهدي نائب في البرلمان وأحمد كتكو وآخرين.

حتى هذه اللحظة ظلت جبهة فروليننا سياسية تعمل في الخفاء تهدف إلى توسيع تكوين قاعدتها الشعبية. فنجحت في استقطاب العديد من الثوار والمناصرين من مناطق متعددة من الشمال والجنوب فعمدوا إلى الحصول على السلاح من الدول المجاورة كالسودان واثيوبيا . وفي عام 1965م انفجرت ثورة أخرى مدنية في محافظة قيراء (المجاورة لمحافظة شاري باقرمي والتي فيها العاصمة فورت لامي). وكان الفائزون بها أفراد من قبيلة الموبي سكان منقلمي الذين رفضوا دفع الجزية وهجموا على جنود الحكومة هناك. فأبادوا فصيلة منهم . ومات في تلك الأحداث أيضاً النائب البرلماني برمه سنوسي الذي كان مبعوثاً من الحكومة لتهدئة سكان منقلمي .

هزت هذه الحركة حكومة تمبل باي فإرسلت قوات إضافية حاصرت مدينة منقلمي لعدة أيام لحمل الثوار على الاستسلام . ولما رأت الحكومة إصرارهم قصفتهم بالطائرات بمساعدة القوات الفرنسية التي كانت تحتفظ بعواعد عسكرية في تشاد . فكانت

مجزرة لم تشهد تشاد لها مثيلاً . هذه المجزرة ، رغم بشاعتها الا انها كانت نقطة تحول اساسية للثورة التشادية المتمثلة في فرولينيا التي اتخذت من حمل السلاح سبيلاً للعمل على تحرير تشاد من نير حكم الساراء . وبعد مضي ثلاثة أشهر من أحداث منقلمى ضربت قوات جبهة تحرير تشاد Front Liberation du Tchad المعروفة اختصاراً بـ ( F.L.T ) بقيادة احمد حسن موسى (من الوداي) والتي كانت تتخذ من حدود السودان الغربية نقطة للانطلاق - ضربت هذه القوات مدينة ادري وقتلت أفرادها الساراء عن بكرة أبيهم واستولوا على أسلحتهم . وكانت هذه المعركة إعلاناً وإيداناً بتدويل المشكلة التشادية وإنطلاقة للثورة التشادية المتكاملة سياسياً وعسكرياً فتناولت وكالات الأنباء العالمية خبرها .



**Hissein Habéré et Goukouni Weddey\***

(\* مولد جبهة فرولينيا وشاهد في لصورة فنين من أعضائها للرئيسيين وهما حسين هيري وكوكوني وداي).

وفي الجانب الآخر كان فرانسوا تمبل باي يشد قبضته على مقاليد أمور الدولة بحكمه الفردي المتسلط ، فعمد على إسناد الوظائف الهامة المدنية منها والعسكرية إلى أفراد قبيلته ساراء مجنفي الجنوبيين وتألبيهم على الإنتقام من كل من تسول له نفسه

بإبداء أبسط أنواع التمر والإحتجاج . فساد الإرهاب والتشفي وأخذ البرئ بجريرة المذنب طابعاً متميزاً للحكم . ففي منطقة الزغاوة مثلاً كان يؤتى بالرجل ويطلب منه تسليم أسلحته النارية إلى السلطة ، فيجبر على الإعتراف وان لم يكن يملكه ، والا سيُعذب أمام اهله الذين لم يسلموا كذلك من الإهانة والاذلال والانتقام ، فكان الفرد من أبناء الزغاوة لا يسلم سواء أنكر او اعترف لملكيته للسلاح ، أي أن مصيره واحد هو التعذيب والتكيل والتفتيل على زعم الحكومة أن منطقة الزغاوة متاخمة لحدود السودان الغربية التي يتخذها ثوار جبهة فروليننا نقطة إنطلاق للانقضاض على قوات حكومة تمبل باي . فكان أولاد الزغاوة اول من لبوا نداء الثورة للإنخراط في صفوفها وخاصة الجناح العسكري لتمرسمهم على حمل السلاح واجادة استعمالهم له التي اكتسبوها من حياتهم اليومية في البادية الصحراوية وراء ما شيتهم من الابل والبقر والغنم .

من العوامل التي كانت تسهل مهمة الثوار من أبناء الزغاوة وجود أقارب واهل في منطقة غرب السودان مثل الطينة وياهو واما وهوراوية وسريا وكولويوس والجتينة وأرارا وكنفو حرازه وهبيلا والفاشر فكونوا قادة محليين للجبهة لتيسير عملية تنقل سائر الثوار عبر منطقتهم الى الحدود السودانية دون عائق بعد تنفيذ عملياتهم العسكرية ضد النظام النشادي ، وذلك بتوفير المأوى والتموين والسلاح والمواصلات لرفاقهم القانمين من عمق تشاد ولاسيما عندما انحصرت الثورة في شرق تشاد في المديرية الشرقية بلتين ووداي وسلامات بعد أن اصبحت قوات الحكومة تسيطر على أماكن الثوار في وسط وجنوب تشاد.

وكان أول من انضموا للثورة النشادية من أبناء الزغاوة هم ممن تلقوا تعليمهم في السودان والأزهر بمصر ، حيث نهلوا العلم من مدارسها وخبروا محاسن الحرية والديمقراطية وعرفوا مساوئ الديكتاتورية وحكم الفرد كما شاهدوا وعاشوا ثورة أكتوبر الشعبية التي قوضت الحكومة العسكرية الأولى في السودان في 21 أكتوبر 1964م، فكانت مفاهيم ومبادئ تلك الثورة اكبر دعم لهم فيما بعد.

فروليننا بين فكي كماشة:

كانت حكومة جبهة الهيئات في السودان - برئاسة سر الختم الخليفة الانتقالية بعد ثورة أكتوبر 1964م على وفاق تام مع جبهة فرولينا . وعملت على مساعدتها بالاعتراف بها ودعمها ، غير أن الأمور سرعان ما تبدلت وتبددت الآمال بمجيء الحكومات المتعاقبة التي وطدت صلاتها مع تمبل باي ، ففطعت شرابيين التموين عن الثوار بوضعها حاميات للجيش السوداني على طول الحدود المشتركة وعملت على مضايقة القبائل الحدودية التي كانت تقدم العون للثوار .

وفي بداية السبعينيات ازداد الأمر سوءاً في عهد مايو الذي عقد اتفاقية ثنائية مع تمبل باي لتبادل المجرمين بين البلدين . وكان من بنودها إعطاء الصلاحيات لكل من الجيشين بتعقب الثوار واجتياز حدود البلد الآخر دون إذن مسبق . وكان من نتائج تلك الاتفاقية ان تم القبض على ثوار من مجموعة احمد حسن موسى في كل من الفاشر والجنينة وادري وتسليمهم للسلطات التشادية التي قامت بإعدامهم . ووقعت جبهة فرولينا بين كماشة الجيش التشادي والسوداني ، فصمدت إلى حين الا أن الأمر كان عسيراً رغم محاولات الثوار بالهجوم المباغت على مراكز الشرطة ليلاً والانسحاب منها في جنح الظلام . فانزعجت الحكومة التشادية وعملت على شن هجمات إنتقامة ضد سكان القرى الحدودية التي كان تتطنها تأوى الثوار وتتستر عليهم . وفي 1973 يتزعم حسين هبري رئاسة فرولينا ضد حكومة تمبل باي.

فرولينا تنتقل إلى الشمال :

لما رأت فرولينا أن مهمتها أصبحت عسيرة في المنطقة الشرقية لتشاد إثر الاتفاقية أنفة الذكر بين تمبل باي والحكومة السودانية وما نتج عنها ، قررت نقل الثورة الى شمال تشاد البعيدة جغرافيا من مراكز سلطة حكومة فورت لامي . فرحبت قبائل البديات والفرعان و البروقات والتويو في المديرية الشمالية (B.E.T) بقدومها وأكدت ولاءها الذي كان معطناً منذ أولى أيام الثورة. فتفتست فرولينا الصعداء بخروجها من فكي تلك الكماشة عوضاً عن كسبها لمنطقة حصينة يمكن الإنطلاق منها على العدو رغم بعد الشفة والمسافة من الفاحية الاستراتيجية.



محكمة ثورية شعبية عاجلة فيجطه الثوار يعترف بكل جرائمه امام اهله وذويه ثم يحكم عليه بالاعدام رمياً بالرصاص.

استفاد الثوار من فرع زغاوة الكويي الاخرى من تجربة البدايات هذه فعمموها وطبقوها في مناطقهم مما اقلق مضاجع الادارات الاهلية المتمثلة في السلطنة في هريباء والعموديات التابعة لها في مديرية بلتين كما اقتبست المناطق الاخرى تلك التجربة . وفي منتصف السبعينات ، احتضنت الجماهيرية الليبية جبهة فلولينا فانقل اليها كوارر فصائلها المختلفة من الجزائر وفرنسا وفتحت مكاتب لها كما انطلق صوت الثورة النشادية من الإذاعة التي افتتحت لها هناك . فكان أبناء زغاوة البدايات والكويي من أوائل الناس الذين نزحوا الى ليبيا حيث نلقوا فيها التدريب العسكري كما عملوا في الأنشطة المختلفة . وعاد الثوار من ابناء الزغاوة بأساليب عسكرية متقدمة وبأسلحة حديثة ومفاهيم اجتماعية جديدة . وبذلك نخلت الثورة في مرحلة ثانية تتضمن المواجهة العسكرية المباشرة للسلطة إضافة إلى الاصلاحات الاجتماعية.

ففي سنة 1976 أدخل الثوار نظام البلديات في تشاد لتحل محل الادارات الاهلية التي شغرت بتتحي زعمائها . وكان على غرار نظام الحكم الشعبي المحلي . ففي منطقة الزغاوة تمت تصفية سلطنة الكويي في هريباء والمناطق التابعة لها مما دفع بعض العمد "إبناء" الذين لم يستطيعوا مواكبة الثورة اللجوء الى السودان واتخذ البعض الآخر من أبيشي وفورت لامي ملاذاً لهم من بطش الثورة . وادخلت نظم جديدة على الصلاحيات المخولة للبلديات منها حماية الغابات من قطع الاشجار مع فرض عقوبات صارمة لمخالفيها . ومن المستجدات على العمل الاداري أمور تتعلق بتسهيل الزواج وتحديد المهور وتقليها مع معاقبة من يقدم على خرق الأوامر المحلية بهذا الخصوص.



(\* تلاحم الجيش النظامي والمليشيا الشعبية في تشاد)

قام تمبل باي بمحاولات عدة ليوهم العالم الخارجي بأنه بصدد ادخال اصلاحات سياسية في نظامه كتغطية لمفاسد حكمه الفردي ، فابتدع ما اسماه بالثورة الثقافية عام 1974م ، فزعم انه يعمل للتقارب مع العالم العربي والإسلامي. وأمر المواطنين في تشاد إلى تغيير أسمائهم الافرنجية الى أخرى وطنية او عربية فبدأها بنفسه وغير اسمه من فرانسوا تمبل باي إلى انقرتا تمبل باي ، كما غير إسم العاصمة من فورت لامي الى "انجمينا" وارسل نجليه للتعلم في الجامعة في بيروت ، وحسّن علاقاته مع نظامي مايو في السودان ومصر . ولكن هذا التخبط في سياسته لم يجد فتيلاً حيال تصميم الثورة التشادية من جهة والفتن المتنامية داخل أركان حكمه من جهة أخرى .

ففي 13 أبريل 1975م أطاح به إنقلاب عسكري دموي بقيادة القومندان عبد القادر كموجي فقتل . فتكون مجلس عسكري أعلى للإيقاد الوطني برئاسة الجنرال مالوم. وكان ممن ضمنهم ذلك المجلس الملازم محمود عبد الرحمن حقار وهو من زغاوة الكويبي . وفي حكومة الوحدة الوطنية الثانية برئاسة كوكوني وداي كان للزغاوة أيضاً ممثلاً في تلك الوزارة حيث عمل حسين كودي يعقوب وزيراً للاقتصاد .

وفي هذه الفترة التي تركزت السلطة عند الشماليين ظهرت بوادر الصراع داخل الفصائل المكونة للثورة التشادية بين اخوة المصير المشترك ورفقاء السلاح . و الزغاوة - مثل غيرهم من الثوار - كانوا ينتمون لعدة فصائل ، لكنهم جميعاً كانوا تحت مظلة

جبهة التحرير الوطني النشادي (فرولينيا) وعندما اشتد الصراع وتركز بين اثنين من أهم تلك الفصائل ناصر بعضهم الجناح الذي يتزعمه كوكوتي وداي فيما ناصر بعضهم



(\* للقومندان عبد القادر كاموقى)



(\* للجنرال فيليكس مالوم)

الأخر الجناح الذي يتزعمه حسين هبري . وفي معركة انجمينا الدامية التي وقعت في 12 فبراير 1979م اشترك فيها اعداد كبيرة من ثوار أبناء زغاوة الكوبي وزغاوة البديات جنبا إلى جنب مع رفقاتهم من ثوار أبناء الفرعان والتوبو وفصائل الثورة الاخرى . وفي 1979/4/29 تكونت حكومة الوحدة الوطنية.

وظل أبناء الزغاوة يشكلون نقلا عسكريا هاما في قوات الشمال المسلحة Force D'arme'e Du Nord(F.A.N) التي أنتت بحسين هبري رئيسا للجمهورية في يونيو 1972م. فانخرط كثير من أبناء الزغاوة في العمل في دواوين الحكومة وتسلموا أعلى المناصب في الجيش اذ صار إدريس ديبي وزيراً للدفاع وحسن جاموس قائداً للقوات المسلحة النشادية.

(\* حسين هبري)



\* حسن جاموس قائد أركان القوات  
التشادية من زغاوة الكوبي  
HASSANE D'JAMOUS



\* إدريس ديبي وزير الدفاع التشادي  
من زغاوة البديات  
IDRISS DEBY  
COMMISSAIRE AUX ARMEE

كما انتظم العديون ضباطاً وجنوداً في الجيش . اما على النطاق السياسي والاجتماعي فيوجد لديهم ممثلين في الحزب الحاكم "الإتحاد الوطني" من اجل الإستقلال والثورة" المعروفة اختصاراً "يونير UNIR وهي Union National Del'indépendance et La Revolution بينما خرج مناصرو جبهة القوات الشعبية ( F.A.P) Front D'arme'e Populaire التابعة لكوكوني وداي من انجمينا وذهبوا الى ليبيا وظلوا في المعارضة.

\* صور تبين قادة الفصائل التشنادية المعارضة



(\* ثلاثة من رؤساء لفصائل التشنادية لمقاتلة في ندوة "لوطن لعربي")



( \* احمد أصيل )

ملحق رقم "أ"  
أحداث تاريخية هامة

| الأحداث   | الفترة التاريخية |
|---|------------------|
| قيام مملكة العبدلاب على انقاض مملكة علوة لمسيحية (عاصمتها سوبا)                   | 1492             |
| السلطنة الزرقاء(مملكة الفونج) (عاصمتها سنار)                                      | 1821-1504        |
| التركية السابقة (الحكم التركي المصري)   | 1881-1821        |
| المهدية   | 1898-1881        |
| الحكم الثنائي (الانجليزي المصري)  | 1956-1899        |
| تولي سليمان سونق الحكم  | 1640             |
| مملكة الفور الأولى  | 1874-1650        |
| فترة حكم السلطان تيراب بن علي بكر   | 1787-1752        |
| فترة حكم مملكة وداي (عاصمتها أبشي)  | 1911-1635        |
| فترة حكم السلطان علي دينار بدارفور  | 1916-1899        |
| فترة حكم السلطان عبد الرحمن فرتي لدار الكوبي                                      | 1892-1879        |
| فترة عمل فرتي مع سلطنة وداي   | 1903-1892        |
| حكم السلطان عبد الرحمن فرتي ومملكته دون أن يكون تابعاً لأية سلطنة اخرى            | 1903-1892        |
| فترة مهادنة فرتي مع علي دينار إذ تم تزويجه لابنته                                 | 1912-1904        |
| معركة قرعة ومقتل السلطان عبد الرحمن فرتي  | 1912             |
| تأسست كبرياء عاصمة الجبراء الأولى   | 1916             |
| رسم الحدود الغربية بين السودان وتشاد بواسطة الانجليز والفرنسيين                   | 1924             |
| تأسست الطينة عاصمة الجبراء الثانية  | 1926             |
| وفاة السلطان حقار بن تيراب وتولي ابنه السلطان عبد الرحمن الحكم                    | 1942             |
| بداية حكم السلطان محمد شريف لمملكة وداي   | 1835             |
| بداية الخلافات في الأسرة الحاكمة لوداي عند تولي السلطان محمد يوسف بن محمد بن شريف | 1876             |
| توغل الفرنسيين في افريقيا وزحفهم على تشاد ودارفور                                 | 1905             |
| بداية دخول الفرنسيين تشاد   | 1909             |

|   |             |
|---|-------------|
| احتلال الفرنسيين لمملكة وداي والهيمنة على تشاد                  | 1911        |
| "أوقينو بيري" عام جفاف قضاة الكوبي في منطقة بيماراء جنوب كبابية | 1913        |
| "ديقنو بيري" عام المجاعة الطاحنة                                | 1914        |
| "أقيمي بورجو بيري" سنة الآفات والجراد                           | 1915        |
| "أبو دوقلاء بيري" سنة وباء السحائي التي عمت السودان             | 1915-1914   |
| "مريض بيري" سنة وباء الجدري التي عمت السودان                    | 1889        |
| "بوربور بيري" عام خروج علي دينار من الفاشر ولجونه الى جبل مرة   | 1916        |
| مقتل السلطان علي دينار  | 1916        |
| ولاد محمد احمد المهدي   | 1844        |
| سقوط الخرطوم في يد المهدي                                       | 1885/1/26   |
| وفاة المهدي   | 1885/6/22   |
| فترة حكم الخليفة عبد الله التعايشي                              | 1898-1885   |
| إندلاع الثورة المهدية في دارفور                                 | 1882        |
| ثورة الفكي عبد الله السحيني في نبالا ضد الانجليز                | سبتمبر 1921 |
| الحرب العالمية الاولى   | 1918-1914   |
| الحرب العالمية الثانية  | 1945-1939   |

## ملحق "ب"

### بعض التواريخ الهامة في تاريخ زغاوة الكوي

| الاسم             | تاريخ الميلاد<br>والوفاة | العمر          | ملحوظات                                       |
|-------------------|--------------------------|----------------|---|
| يعقوب             | 1516-1446                | 70 سنة         | عاصر مملكة الفور                              |
| يوسف              | 1546-1479                | 67،،           | ” ” ”   |
| الفكي محمد داج    | 1607-1514                | 93،،           | ” ” ”   |
| عبد الله "برو"    | 1623-1544                | 79،،           |   |
| عيسى "عيشى"       | 1643-1574                | 69،،           |   |
| الملك عمر         | 1669-1604                | 65،،           |   |
| الملك هلال        | 1714-1641                | 73،،           |   |
| الملك كوريه       | 1745-1682                | 63،،           | عاصر مملكة الفور الأولى (السلطان تيراب)       |
| السلطان طه        | 1806-1735                | 71،،           | عاصر كلا من السلطان تيراب وهاروت وحقار        |
| آدم               | 1810-1760                | 50،،           |   |
| بشاره             | 1855-1794                | 61،،           | عاصر نهاية دولة الفونج وبدلية التركية السابقة |
| السلطان عبدالرحمن | 1912-1829                | 83،،           | عاصر التركية والمهدية ومملكة الفور الثانية    |
|                   |                          |                | نقل الحكم 1879                                |
|                   |                          |                | تسلم الحكم وعمره 50 سنة                       |
|                   |                          |                | حكم 32 سنة                                    |
|                   |                          |                | خدم وعمل في سلطنة وداي 15 سنة                 |
|                   |                          |                | (حتى 1892)                                    |
|                   |                          |                | حكم من 1913-1981                              |
| السلطان دوسه      | 1981-1881                | 100 سنة تقريبا | اي حكم 68 سنة عاصر حكم السلطان عبد الرحمن     |

|   |           |  |   |
|---|-----------|--|---|
| <p>حَقَّار والسُلطان علي دينار .</p> <p>هو عم كل من عبد الرحمن فرتي وعبد الشافع</p> | <p>60</p> | <p>1887-1827</p> <p>1877 -؟</p>  | <p>الخليفة عبد الشافع</p> <p>السُلطان عبد الفقراء</p>   |
|   |           | <p>من 1821-1504</p> <p>من 1874-1650</p> <p>1881-1821</p> <p>1898-1881</p> <p>1911-1635</p> | <p>الفونج</p> <p>سلطنة الفور الأولى</p> <p>التركية السابقة</p> <p>المهدية</p> <p>مملكة وداي</p> |

| العدد | الموضوع   | الصفحة |
|-------|---|--------|
| 1     | الإهداء.....  | 3      |
| 2     | شكرو وتقدير .....   | 5      |
| 3     | لمقدمة .....  | 6      |
| 4     | لباب الأول : لمحات من تاريخ السودان وعلاقة الزغاوة به.....                    | 9      |
| 10    | لفصل الأول :مدخل .....  | 10     |
| 10    | لفصل الثاني: قبائل دوفرور ونوزيعها الإداري والجغرافي .....                    | 10     |
| 15    | الفصل الثالث :نبذة خاصة عن قبائل شمال دوفرور ذات لصلة المباشرة بالزغاوة ..... | 15     |
| 18    | لفصل الرابع : الزغاوة وسلطنة الفور .....                                      | 18     |
| 22    | لفصل الخامس: لزغاوة والمهدية : .....  | 22     |
| 28    | لفصل السادس: مملكة الفور وعلاقة لزغاوة بها .....                              | 28     |
| 37    | لفصل السابع: دخول الادوة الاهلية في دوفرور .....                              | 37     |
| 42    | لفصل الثامن: حركات لرفض في دوفرور .....                                       | 42     |
| 5     | لباب الثاني :أصل الزغاوة تاريخياً .....                                       | 47     |
| 48    | لفصل الأول : ممالك لزغاوة وتاريخها .....                                      | 48     |
| 52    | لباب لثاني : جغرافية دل الزغاوة:.....   | 52     |
| 55    | لفصل لثالث : فروع قبيلة لزغاوة: .....   | 55     |
| 6     | لباب لثالث : زغاوة لكوبي .....  | 101    |
| 102   | لفصل الأول : مقدمة عن لكوبي وتقسيماتها.....                                   | 102    |
| 107   | لفصل لثاني :النشاط لبشري وجغرافية المنطقة.....                                | 107    |
| 109   | لفصل لثالث: تاريخ التعليم في دار الزغاوة .....                                | 109    |
| 6     | لباب لرابع : التراث لشعبي لقبيلة الزغاوة .....                                | 113    |
| 114   | لفصل الأول : النظام الاجتماعي للزغاوة ... وللمعتقدات الدينية .....            | 114    |
| 115   | لفصل لثاني : الأفرانج .....   | 115    |
|       | الزواج - لطلاق- مظاهر رفض لزواج - لظهور                                       |        |

الأعياد - مايقال في التهنة بالعيد - التحية ومايقال عند لزيارة

لمطر والرعد

لزراعة والحصاد

إحضار الماء وجمع الحطب

129..... لفصل لتالث : المأكولات الشعبية

النار

لسفر

الأتراح

لأقال والشؤم

143..... لفصل لرابع : الحرب .. الأثار والفرع

144 ..... لفصل لخامس : لحداحيد

لغة الزغاوة - مقارنات في لهجات فروع لزغاوة

الأعداد لحصابية

أعاب التسلبية عند لكبار

أعاب الأطفال .

165 ..... لفصل لسادس : لطب لشعبي عند الزغاوة

جراحة لرأس / علاج الملوغ والمسوع / الحجامة ولفصادة والكي بالنار

لندلوي بالعقاقير لشعبية

لعلاج لشعبي للأمراض لعقلية

أساليب الوقاية عند الزغاوة

170 ..... لفصل لسابع : القصة عند الزغاوة

الأحادي والأمثال

176..... لفصل لتامن : الهمبنة عند لزغاوة :

أداب الهمبنة وسلوكياتها/ مشاهير لهمبنة

لغناء ولهمبنة

أمثلة من لوبيت همبنة لزغاوة

لنهب المسلح

183..... لفصل لتاسع : الرقص والغناء عند لزغاوة :

أغانى لكوري

لشعر عند الزغاوة

أنواع لرقص عند الزغاوة

لوبيت الزغاوة

|           |   |  |
|-----------|---|--|
| 195.....  | 6 | لباب الخامس : تاريخ الكوي لسياسي                                     |
| 196.....  |   | لفصل الأول : شجرة نسب الأنفو   |
| 202.....  |   | لفصل الثاني : تعاقب سلاطين الأنفو على حكم الكوي :                    |
| 204.....  |   | لفصل الثالث : فرتي يطلب الحكم من وداي :                              |
|           |   | عد الشافع يحارب ركب  |
|           |   | معركة مقولا كورون  |
|           |   | لسطان علي نينار ولكوي / فرتي يهادن نينار                             |
|           |   | لخلاف بين الجبراء والتوبراء مرة أخرى                                 |
|           |   | مقتل السلطان عبد الرحمن فرتي   |
|           |   | لحالة بعد مقتل سلطان   |
|           |   | كبرياء عاصمة جديدة للسلطة  |
| 222.....  |   | لفصل الرابع : الصراعات السياسية في تاريخ الكوي الحديث/ حركة الفلتيك: |
| 227.....  |   | لفصل الخامس : لكبراء/ شجرة نسب لكبراء / نظام لحكم                    |
|           |   | لسطان حسن برقر / الكبراء والصراع بين فرعي الأنفو                     |
| 230.....  |   | لفصل السادس : نور لزغاوة في الثورة لتشادية                           |
|           |   | مابعد الاستقلال ومولد جبهة فرولينا                                   |
|           |   | فرولينا بين فكي كماشة  |
|           |   | فرولينا تنتقل الى شمال   |
|           |   | موقف أبناء لزغاوة من الثورة لتشادية                                  |
| 240 ..... |   | ملحقات   |